



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الإرهاب الدبلوماسي من منظور إسلامي

إعداد

أحمد محمود دوابشة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1436هـ - 2015م

الإرهاب الدبلوماسي من منظور إسلامي

إعداد الطالب:

أحمد محمود دوابشة

بكالوريوس تربية إسلامية من جامعة القدس المفتوحة

إشراف الدكتور

شفيق عيَّاش

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الدراسات

الإسلامية المعاصرة من جامعة القدس

القدس/فلسطين

1436هـ - 2015م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

اسم الطالب: أحمد محمود دوابشة.

الرقم الجامعي: 21112563

المشرف: د. شفيق عيَّاش

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2015/5/6م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

- | | |
|---------------------------------------|----------------|
| 1- رئيس لجنة المناقشة: د. شفيق عيَّاش | التوقيع: |
| 2 - الممتحن الداخلي: د. عروة صبري | التوقيع: |
| 3 - الممتحن الخارجي: د. مروان القدومي | التوقيع: |

القدس / فلسطين

1436هـ - 2015م

إقرار

أقر أنا مقدم الرسالة، أنها قدمت إلى جامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما أشير له حيثما ورد، وإن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

أحمد محمود دوابشة

التاريخ:

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى والدتي العزيزة أطال الله في عمرها وأدام عافيتها وأحسن خاتمتها.

إلى أسرتي الصغيرة وأحفادي (بسنت وحمزه) حفظهم الله تعالى.

إلى كل من علّمني ونفعني الله سبحانه وتعالى بعلمه من العلماء والدعاة والأساتذة الكرام.

إلى كل من نذر نفسه داعياً إلى الله عزّ وجلّ وعاملاً لإعلاء كلمته.

إلى كل دبلوماسيّ وسفير وقنصل مسلم، يمثلّ أمته عند الأمم الأخرى، ويحمل إليها رسالة الإسلام وقيمه الرفيعة.

إلى كل توّاق لمعرفة تاريخ الأمة الإسلامية العريقة.

إلى كل الذين يتطلّعون إلى نهضة هذه الأمة وعودتها إلى مجدها وعزّتها.

إلى كل من أحزنه أمر المسلمين وأقلقه حالهم، فاهتمّ بهم وسعى لخلاصهم وعزّتهم.

إليهم جميعاً أهدي رسالتي هذه.

أحمد محمود دوابشة

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، سيد الأولين والآخرين يسرني ويسعدني وقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من كتابة هذه الرسالة أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور (شفيق عيَّاش) على تقبله الإشراف على هذه الرسالة، وما بذله لي من جهود كبيرة وآراء سديدة في هذه الرسالة المتواضعة. كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة الأفاضل الدكتور عروة صبري. والدكتور مروان القدومي على ما بذلاه من النصائح والإرشادات في مناقشة هذه الرسالة، آملاً من الله أن أكون عند حسن ظنهم جميعاً.

أحمد محمود دوابشة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية واضحة عن الحصانة الدبلوماسية التي وقرها الإسلام للسفراء والرسول الوافدين إلى ديار الإسلام، وحسن الضيافة والاستقبال من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، مما جعل بعضهم يسلم ويدخل في دين الله سبحانه وتعالى، ومن لم يسلم أذعن وصالح المسلمين. وكان الدافع لهذه الدراسة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من تهمة القتل والإرهاب بمختلف مسمياته، ومنه الإرهاب الدبلوماسي.

وقد انتهجت في الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً وقد استعنت بمراجع قديمة ومعاصرة تناولت هذا الموضوع من قبل، ففي الفصل الأول عرّفت الإرهاب لغةً واصطلاحاً وتحدثت عن أقسامه وأنواعه، وفي الفصل الثاني تحدثت عن مفهوم الدبلوماسية وتعريفها ونشأتها، وفي الفصل الثالث تحدثت عن السفارة والسفير لغةً واصطلاحاً وعن صفات الرسل في الإسلام وإلى من أرسلوا، وفي الفصل الرابع تحدثت عن الحصانة الدبلوماسية التي وفرها الإسلام للسفراء الوافدين إليه، وعن التطبيقات النبوية في الحصانة الدبلوماسية، مقارنةً إكرام رسول الله للسفراء الوافدين إليه، وما تعرض له بعض رسله من الإرهاب والقتل.

وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

إن احترام السفراء وصل إلى حد القداسة عند بعض الأمم الماضية، أقره الإسلام وأضاف إليه صوراً وأحكاماً تتناغم مع عالمية الإسلام وشموليته وكونه رحمة للعالمين.

ووجوب احترام الرسل في حالتي الحرب والسلم، وعدم إرهابهم وقتلهم حتى يتمكنوا من القيام بمهامهم على أكمل وجه. وإن حسن معاملة السفراء في الإسلام عبادة وقرى إلى الله قبل أن تكون قيماً إنسانية، وهو حدث تاريخي هام غير مسبوق وصالح لكل زمان ومكان.

وإن الإسلام قد سبق الأمم الحاضرة التي تتباهى بأنها هي أول من وضع القانون الدولي. الذي نظم العلاقة بين الدول في القرن العاشر للميلاد بينما سبقه الإسلام بالف وأربعمئة عام، وخاصة أن الإسلام لم يقم على أنقاض حضارة سابقة، ولم يرث ثقافة قديمة، بل هو بذرة جديدة في هذه الحياة، وطرارز فريد في العيش متكامل لا نقص فيه.

ثم كتابة بعض التوصيات التي رغب الباحث في نقلها للناس بشكل عام، ولكل من تلبس بهذا العمل من المسلمين بشكل خاص، ومنها ضرورة الاقتداء برسول الله في حسن معاملة السفراء.

Diplomatic Terrorism from an Islamic Perspective

Student's name: Ahmad Dawabsha

Supervisor: Dr. Shafeeq Ayash

Abstract

The study aims to clearly explain the diplomatic immunity, which Islam approves of and allows to ambassadors and envoys to Islamic state. The study also dwells on the hospitality and reception of Prophet Mohammad, peace be upon him, toward envoys. Such kind reception persuaded many to convert to Islam or succumb to Islamic rule.

The motive for the study is to defend Islam and Muslims against the accusations of murder and terrorism, including diplomatic terrorism.

The study follows historical and analytical approach. It is assisted by modern as well as historic references that had previously discussed the issue of diplomatic terrorism.

In Chapter One, the researcher defines the concept of terrorism and described the different types of terrorism. In Chapter Two, he describes the concept of diplomacy and its origin. In Chapter Three, he describes embassy and ambassador from a linguistic point of view, the characteristics of diplomats in Islam, and to whom diplomats were sent when Prophet Mohammad, peace be upon him, led the Muslims. In Chapter Four, he describes diplomatic immunity, which Prophet Mohammad, peace be upon him, bestowed upon the diplomatic missions and His practices concerning diplomatic immunity showing its characteristics and purposes and compared the way the Prophet, peace be upon him, respected the diplomatic envoys that were sent to Him and the way His diplomatic envoys were terrorized or even killed.

The conclusion includes the most important findings of the study such as:

- Previous nations sanctified ambassadors and envoys.
- Islam approves of immunity and respect of ambassadors and envoys; however, Islam adds principles that are consistent with the nature of Islam as religion and mercy for all people of Earth.

- Ambassador and envoys must be respected and protected in time of peace and conflict. They must not be terrorized and killed so that they could perform their duties.
- Good treatment and respect of ambassadors and envoys is revered by Islam as well as by humanitarian values.
- Islam takes precedence, compared to other nations, in diplomacy though such nations show pride in the making of the international laws and conventions. These nations' diplomatic product is relatively recent since it is the making of the 10th Century; whereas, Islam created diplomacy 14 centuries ago.
- Islam has organized and regulated relationships among nations. Islam was not built on the remains of other civilizations. It did not inherit ancient cultures. It is a new seed of life and unique way of life.

The study contains a number of recommendations that the researcher would like to pass on to people especially to Muslims who are involved in diplomacy and want to follow suit the Sunnah of Prophet Mohammad, peace be upon him.

فهرس المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	الإهداء
ج.....	شكر وعرفان
د.....	الملخص
و.....	Abstract
1.....	بسم الله الرحمن الرحيم
1.....	المقدمة
2.....	مشكلة البحث
3.....	أهمية البحث وسبب اختياره
4.....	الدراسات السابقة
5.....	منهج البحث
6.....	حدود الدراسة
6.....	خطة البحث
10.....	الفصل الأول: تعريف الإرهاب وأنواعه
11.....	المبحث الأول: تعريف الإرهاب وأقسامه في الشرع
11.....	المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً
17.....	المطلب الثاني: أقسامه في الشرع
21.....	المبحث الثاني: أنواع الإرهاب

المطلب الأول: الإرهاب الفكري (الديني).....	21
المطلب الثاني: الإرهاب الاقتصادي.....	38
المطلب الثالث: الإرهاب الدبلوماسي.....	46
الفصل الثاني_الدبلوماسية.....	50
المبحث الأول: مفهومها وتعريفها وتاريخها.....	51
المطلب الأول: مفهومها وتعريفها.....	51
المطلب الثاني: نشأة التاريخ الدبلوماسي.....	56
المطلب الثالث: الدبلوماسية عند الأمم الماضية.....	63
1. الدبلوماسية في الهند القديمة والصين.....	63
2. الدبلوماسية عند اليونان (الإغريق).....	64
3. الدبلوماسية عند الرومان.....	65
4. الدبلوماسية في وادي النيل والفرات.....	67
5. الدبلوماسية في الجاهلية.....	68
المبحث الثاني: أقسام الدبلوماسية.....	70
المطلب الأول: دبلوماسية قومية.....	70
المطلب الثاني: الدبلوماسية الإسلامية.....	76
المطلب الثالث: خصائص الدبلوماسية الإسلامية.....	78
المطلب الرابع: الحصانات التي وفرها الإسلام للسفراء.....	81
الفصل الثالث الرسول والسفير.....	83

المبحث الأول: معنى السفير والسفارة ومشروعيتها.	84
المطلب الأول: معنى السفير والرسول لغة واصطلاحاً.	84
المطلب الثاني: مشروعية السفارة:	88
المبحث الثاني: صفات سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم.	91
المطلب الأول: الكفاءة والعلم والفصاحة.	93
المطلب الثاني: الصبر والشجاعة.	96
المطلب الثالث: حسن الهيئة و المظهر.	101
المطلب الرابع: الصدق والامانة.	103
المبحث الثالث: الجهات التي أرسلوا لها.	104
المطلب الأول: سفراء الدول.	104
المطلب الثاني: سفراء في أرض المعركة.	116
المطلب الثالث: سفراء قريش إلى رسول الله في الحديبية.	120
المطلب الرابع: أغراض السفارة.	122
المطلب الخامس: الأسباب التي تعطل العمل الدبلوماسي بين الدول.	124
الفصل الرابع الحصانة الدبلوماسية.	126
المبحث الأول: تعريف الحصانة الدبلوماسية ومشروعيتها.	127
المطلب الأول: الحصانة لغة واصطلاحاً.	127
المطلب الثاني: مشروعية الحصانة الدبلوماسية.	129
المطلب الثالث: الحصانة التي منحها رسول الله للرسول الوافدين إليه.	131

المبحث الثاني: سفراء الإسلام ضحايا الإرهاب.	139
المطلب الأول: الشهيد الحارث بن عمير الأزدي سفيراً إلى ملك بصرى الشام.	139
المطلب الثاني: شهداء ماء الرجيع.	140
المطلب الثالث: شهداء بئر معونه.	141
المطلب الرابع: سفارة خراش بن أمية ثم عثمان بن عفان إلى قريش وما تعرضا له 142	142
المطلب الخامس: الشهيد حبيب بن زيد رضي الله عنه.	143
المطلب السادس: السفير فروة بن عمرو الجذامي.	144
المبحث الثالث: ردود الرسول عليه الصلاة والسلام على من آذى رسله:	145
المطلب الأول: عندما كان في مكة قبل الهجرة 145	145
المطلب الثاني: عندما كان في المدينة بعد الهجرة..... 146	146
المطلب الثالث: تطبيقات نبوية في الحصانة الدبلوماسية 150	150
الخاتمة..... 156	156
نتائج البحث..... 156	156
التوصيات والاقتراحات 159	159
فهرس الآيات..... 161	161
مسرد اطراف الأحاديث كما ورد في البحث 180	180
فهرس الأعلام..... 182	182
قائمة المصادر والمراجع: 184	184

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله سبحانه وتعالى للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

تميّز الإسلام عن غيره من الشرائع والأديان، أنه جاء عالمياً لكل الناس، وخاتماً لكل الرسل والرسالات فقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾².

ففي فترة زمنية قصيرة جداً خرج الإسلام من جزيرة العرب، وامتد إلى حدود الصين شرقاً وأبواب فرنسا غرباً، وفتحت له قلوب الناس قبل حصونهم، وذلك بعون الله أولاً، ثم بجهد العلماء والدعاة والسفراء الذين سبقوا القادة العسكريين العظام في نشر هذا الدين، فمثلما سجّلت جيوش المسلمين انتصارات عسكرية في أرض المعارك، سجل السفراء والدعاة إلى الله انتصارات في دعوة الناس وحكّام ذلك الزمان إلى الإسلام.

وكان المسلمون لا يضعون السيف في موضع الندى أبداً، ما دام للندى نفعه وفائدته:

ووضع السيف في موضع الندى مضر كوضع الندى في موضع السيف³

ولا شك أن موضوع الرسل والسفراء يعكس علاقة دولة الإسلام مع غير المسلمين، أي هو أبرز مواضيع العلاقات الخارجية ونافذة الدولة الإسلامية المطلّة على العالم الخارجي، لذلك كان اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفرائه في غاية الدقة والكفاية من حيث الفطنة والذكاء وجمال المظهر والمخبر، وجودة الأصل ونبل العشيرة.

¹ سورة الأنبياء، الآية 107

² سورة الأعراف، الآية 158

³ من ديوان المتنبي، أحمد بن حسين: يماني الأصل من حضرموت جنوب اليمن ولد سنة (303) هـ وعاش في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب. أبو عمر، شهاب الدين، ديوان المتنبي بزياداته، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، ط1، 2012

وضرب صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في المحافظة على السفراء الوافدين عليه من حيث صيانة أرواحهم وأموالهم ودوابهم، وإكرامهم غاية الإكرام وكان ذلك نهجاً لخلفائه والمسلمين من بعده، رغم ما تعرض له رسله وسفراؤه من القتل والتكيد والارهاب.

وقام الباحث بجمع ما تيسر في هذا الموضوع مما هو مبثوث في كتب العلماء القدامى والمعاصرين، عن السفارة عند الأمم القديمة، وعن معاملته صلى الله عليه وسلم للرسل الوافدين عليه من حسن الضيافة والاحترام، وتحليل ومقارنة ذلك بسوء معاملة الكفار لسفراء الإسلام في عهد النبوة، وحسن اختيار السفراء والرسل في الإسلام.

مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث تكمن فيما يلي:

ندرة البحث في هذا الموضوع بشكل محدد ومستقل، وقلة المراجع الإسلامية التي تدحض الإرهاب عن الإسلام والمسلمين، وخاصة أن وسائل الإعلام في الدول المعادية للإسلام والمسلمين تصدح في الليل والنهار تتهم الإسلام وأهله بكل أنواع الإرهاب ومنه الإرهاب الدبلوماسي، فأراد الباحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- 1- ما هو تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً، وما أقسامه وأنواعه؟
- 2- ما تعريف الدبلوماسية لغة، وما مفهومها شرعاً ومتى كانت بدايتها، وكيف اهتمت بها الأمم القديمة؟
- 3- ما المقصود بالإرهاب الدبلوماسي؟
- 4- ما معنى السفير لغة إصطلاحاً، وما هي حاجة البشرية له، وما هي أدلة مشروعيته، وما هي الصفات التي يجب أن تتوافر في السفير، ومن هم سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
- 5- ما معنى الحصانة لغةً واصطلاحاً، وكيف حققها الإسلام في عهد النبوة؟
- 6- كيف كانت ردوده صلى الله عليه وسلم على من اعتدى على حصانة رسله؟

أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث خاصة في هذه الظروف الاستثنائية التي تعيشها أمة الإسلام من الضياع والشرذمة، وتداعي الأمم عليها تداعي الأكلة على قصعتها، واتهام هذه الأمة وإسلامها بالإرهاب والقتل والتدمير والتعطش للدماء رغم أنها هي الضحية في كل بقاع الأرض.

ونتيجة لهذا الظلم الذي يقع على هذه الأمة يقوم بعض أبنائها ببعض ردود الأفعال التي لا تعبر عن أحكام الإسلام وأخلاق المسلمين، كقتل سائح أو سفير أو موظف إغاثة، أو اقتحام سفارة، مما يعطي أعداء الله تعالى مبررًا زائفًا للنيل من الإسلام وأهله بما ليس فيهم.

وقد وقع اختياري لهذه الدراسة للأسباب الآتية:

- 1- ندرة البحث في هذا المجال حسب علمي المتواضع لأن هذه الحوادث تزامنت مع الربيع العربي في وقتنا الحاضر، فلعلّ هذه الدراسة أن تتصف المظلوم من الظالم، والضعيف من القوي المتغطرس.
- 2- ارتباك وتخبّط المدافعين عن الإسلام في ردودهم على هذه التصرفات، فقد يشجبون فعل الضحية المظلوم سواء كان فردًا أم شعبًا، ويباركون خطأ المستعمر ولو كان جيشًا جرارًا.
- 3- لتلبية جانب من جوانب النقص في المكتبة الإسلامية لعلها تعطي صورة عن العمل الدبلوماسي الإسلامي في عصر النبوة وما بعده. وما وفره الإسلام للرسل والسفراء من الرعاية والحصانة.

الدراسات السابقة:

لا شك أن كتب الفقه الإسلامي عند أسيادنا الفقهاء الأوائل قد بحثت أحكام الرسل والسفراء بشكل مفصل من ناحية فقهية بحتة، يتناسب مع زمانهم الذي لم يكن الإسلام فيه متهمًا، وكانت أرض الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، والعلاقات الدولية مع الدول الأخرى واضحة جدًا، فكانت تعالج وتبحث واقعًا موجودًا ومألوفًا فدار الإسلام ودار الكفر ودار العهد مفردات كان يعرفها المسلمون بدهشة كما نعرف أسماء القارات في هذه الأيام.

وكان من أكثر الكتب التي أثرت هذا الموضوع قديمًا كتاب السير الكبير الذي وضعه محمد بن الحسن رحمه الله.

والمبسوط للسرخسي، والخراج لأبي يوسف، وكتاب رسل الملوك ومن يصلح للسفارة لأبي علي الحسين بن محمد (ابن الفراء) الذي كان أكثرها تفصيلًا في هذا الموضوع.

أما الدراسات المعاصرة في هذا الموضوع فمنها:

1- كتاب العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة النبوية، لمؤلفه محمد علي الحسن، والذي تحدث فيه بشكل مفصل عن أدلة التمثيل الدبلوماسي في الإسلام.

2- كتاب المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، لمؤلفه محمد صادق العفيفي، وقد تحدث عن ضرورة احترام الرسل والسفراء وصيانة دمائهم وأموالهم وأعراضهم . وتمكينهم من أداء شعائهم حتى يقوموا بمهامهم على أكمل وجه.

3- كتاب التأصيل الفقهي والقانوني للحصانات الدبلوماسية، لمؤلفه أحمد سالم باعمر، والذي قارن فيه بين الحصانة الشرعية والقانونية من زاوية فقهية.

4- كتاب السفارات في الإسلام، لمؤلفه محمد التابعي، حيث مال بحثه إلى السرد التاريخي للدبلوماسية الإسلامية في العصر النبوي، ثم عصر الخلفاء من بعده، ولم يبحث الموضوع من ناحية فقهية، لذلك كان من أكثر الدراسات قربًا من دراستي، وربما كان لعمله سفيرًا أثرًا كبيرًا على الناحية العملية والتاريخية.

5 - كتاب العلاقات الدولية في الإسلام لمؤلفه وهب الزحيلي الذي بين أثر الحرب على الدبلوماسيين وأنهم غالبًا ما كانوا ضحايا الخلاف السياسي بين الدول.

6 - كتاب العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية لمؤلفه سعيد عبد الله المهير الذي تحدث عن الحصانة الدبلوماسية في الإسلام في الماضي والحاضر، وكيف كان السفير يدخل الى بلاد الإسلام كافرًا ويعود إلى بلاده مسلمًا أو صديقًا أو منصفًا للمسلمين على أقل تقدير.

منهج البحث:

1- يقوم البحث على المنهج التاريخي الوصفي، حيث قام الباحث بقراءة ما كتب في موضوع الإرهاب الدبلوماسي وتجميع ما ورد من النصوص الشرعية، وحوادث السفارات في عهد النبوة.

2- قام الباحث بالاعتماد على المصادر والمراجع التاريخية والسيرة النبوية القديمة والمعاصرة التي تحدّثت عن السفارات، بالإضافة إلى ما كتب عن الدبلوماسية الحديثة.

3- أوجز الباحث ما كانت عليه السفارة عند الأمم السابقة مبينًا عراققتها التاريخية، وأهميتها عندهم.

4- قام الباحث بجمع حوادث إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم للسفراء الوافدين إليه، وما تعرض له بعض رسل وسفراء الإسلام من الإرهاب والقتل على يد الكفار.

5- قام الباحث بعزو الآيات الكريمة إلى سورها، وتخراج الأحاديث الشريفة والاستعانة بأهل العلم في الحكم عليها.

6- قام الباحث بالتعريف ببعض الأعلام الواردة، باستثناء الصحابة الكرام فهم أكبر من أن تجهل سيرهم.

7- قام الباحث بإعداد مسارد الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة حسب ترتيب السور القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة حسب الحروف الهجائية.

8- المصادر والمراجع التي ليس لها تاريخ أشار الباحث لها برمز (د، ت) والتي لا تشير إلى مكان النشر (د، ن) والتي ليس لها رقم طبعة (د، ط) في مسرد المصادر والمراجع.

حدود الدراسة:

اقتصر الباحث في دراسته على الحصانة الدبلوماسية في عهد النبوة، وكيف عامل الرسول صلى الله عليه وسلم السفراء الوافدين اليه، وكيف أدب من اعترض سفراءه بالسوء، داحضاً شبهات المغرضين من الكفار والمرجفين في بلاد المسلمين في وقتنا الحاضر.

خطة البحث:

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

وقد اشتملت مقدمة الدراسة على مشكلة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدود الدراسة.

وكانت الفصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: تعريف الإرهاب وأنواعه.

المبحث الأول: تعريف الإرهاب وأقسامه في الشرع.

المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أقسامه في الشرع.

المبحث الثاني: أنواع الإرهاب.

المطلب الأول: الإرهاب الفكري (الديني).

المطلب الثاني: الإرهاب الاقتصادي.

المطلب الثالث: الإرهاب الدبلوماسي.

الفصل الثاني: الدبلوماسية.

المبحث الأول: مفهومها، وتعريفها، ونشأتها.

المطلب الأول: مفهومها وتعريفها.

المطلب الثاني: نشأة التاريخ الدبلوماسي.

المطلب الثالث: الدبلوماسية عند الأمم الماضية.

1. الدبلوماسية في الهند القديمة والصين.

2. الدبلوماسية عند اليونان.

3. الدبلوماسية عند الرومان.

4. الدبلوماسية في وادي النيل والفرات.

5. الدبلوماسية في الجاهلية.

المبحث الثاني: أقسام الدبلوماسية.

المطلب الأول: الدبلوماسية القومية.

المطلب الثاني: الدبلوماسية الإسلامية.

المطلب الثالث: خصائص الدبلوماسية الإسلامية.

المطلب الرابع: الحصانة التي وفرها الإسلام للسفراء.

الفصل الثالث: الرسول والسفير.

المبحث الأول: معنى السفير والسفارة ومشروعيتها.

المطلب الأول: معنى السفير والرسول لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مشروعية السفارة.

المبحث الثاني: صفات سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الكفاءة والعلم والفصاحة.

المطلب الثاني: الصبر والشجاعة.

المطلب الثالث: حسن الهيئة والمنظر.

المطلب الرابع: الصدق والأمانة.

المبحث الثالث: الجهات التي أرسلوا إليها.

المطلب الأول: سفراء الدول.

المطلب الثاني: سفراء في أرض المعركة.

المطلب الثالث: سفراء قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية.

المطلب الرابع: أغراض السفارة.

المطلب الخامس: الأسباب التي تعطل العمل الدبلوماسي.

الفصل الرابع: الحصانة الدبلوماسية وموقف الإسلام منها.

المبحث الأول: تعريف الحصانة الدبلوماسية ومشروعيتها.

المطلب الأول: الحصانة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مشروعية الحصانة الدبلوماسية.

المطلب الثالث: الحصانة التي وفرها الرسول للسفراء الوافدين إليه.

المبحث الثاني: سفراء الإسلام ضحايا الإرهاب.

المطلب الأول: الشهيد الحارث بن عمير الأزدي.

المطلب الثاني: شهداء ماء الرجيع.

المطلب الثالث: شهداء بئر معونة.

المطلب الرابع: سفارة خراش بن أمية وعثمان بن عفان الى قريش.

المطلب الخامس: الشهيد حبيب بن زيد الأنصاري.

المطلب السادس: الشهيد فروة بن عمرو الجذامي.

المبحث الثالث: ردود الرسول صلى الله عليه وسلم على من آذى رسله.

المطلب الأول: ردوده عندما كان في مكة قبل الهجرة.

المطلب الثاني: ردوده عندما كان في المدينة بعد الهجرة.

المطلب الثالث: تطبيقات نبوية في الحصانة الدبلوماسية.

الخاتمة: والتي تضمنت بعض النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: تعريف الإرهاب وأنواعه

المبحث الأول: تعريف الإرهاب وأقسامه في الشرع .

المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: أقسامه في الشرع .

المبحث الثاني: أنواع الإرهاب .

المطلب الأول: الإرهاب الفكري (الديني).

المطلب الثاني: الإرهاب الاقتصادي.

المطلب الثالث: الإرهاب الدبلوماسي.

الفصل الأول: تعريف الإرهاب وأنواعه

المبحث الأول: تعريف الإرهاب وأقسامه في الشرع:

المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً:

الإرهاب مصدر أرهب يرهب إرهاباً من باب أكرم، وفعله المجرد (رهب) والإرهاب والخوف والرعب والوجل كلمات متقاربة، تدل على الخوف، إلا أن بعضها أبلغ من بعض، وإذا تتبعنا هذه المادة في القرآن الكريم مادة رَهَبَ أو أرهب وجدناها تدل على الخوف الشديد كما في تفسير الآيات الكريمة الآتية:

قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُوكُمْ﴾¹؛ أي: خافوني دون غيري، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾²؛ أي: طمعا في كائنا يُسْرِعُونَكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ³؛ أي: طمعا في رحمتنا، وخوفاً من عذابنا.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾⁴؛ أي: "تخيفونهم".

¹ سورة البقرة، الآية 40.

² سورة الأنبياء، الآية 90.

³ سورة الأنفال، الآية 60.

⁴ الصابوني، محمد علي، صفوة التفسير، دار القلم - بيروت، ط 5، 1986م، ج 1، (ص 53، 464، 511).

قال ابن جرير¹: "يقال منه: أرهبت العدو ورهّبتة، فأنا أرهبه وأرهّبه إرهابًا وترهيبًا، وهو الرّهَب والرّهَب"؛ أي: الخوف.

وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾³؛ أي: من الرّعْب⁴، وهذا التفسير للرّهَب بالرعب يدل على أن الرعب مرادف للرّهَب، وأن معناه الخوف الشديد، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "تُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةً شَهْرًا"⁵؛ أي: بالخوف.

والإرهَاب في اللغة يعني الخوف والفرع، وهو مصدر للفعل أرهب مشتق من الجذر (ر، ه، ب)، وقد ذكرت المصادر اللغوية معنى الإرهَاب فجاء في تلك المصادر:

رَهَبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا، بِالضَّمِّ، وَرَهَبًا، بِالتَّحْرِيكِ؛ أي: خافَ، وَرَهَبَ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرَهَبًا وَرَهْبَةً: خَافَهُ... وَالرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ وَالْفَرَعُ⁶.

وأرهبته ورهّبتة واسترهّبتة: أزعجت نفسه بالإخافة⁷.

¹ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري، (224-310هـ)، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف من أهل آمل طبرستان، كان أسمر إلى الأدمة أعين، نحيف الجسم فصيحًا طويلًا، وكان حافظًا لكتاب الله بصيرًا بالمعاني فقيهاً في احكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأحوال الصحابة والتابعين بصيرًا بأيام الناس وأخبارهم، له كتاب في تاريخ الأمم، وكتاب التفسير، وكتاب تهذيب الآثار، وكتاب العدد والتنزيل، وكتاب اختلاف العلماء، وكتاب تاريخ الرجال، وكتاب لطيف القول في الفقه، وكتاب التبصير في الأصول. انظر: القيسراني، محمد بن طاهر، (ت 507 هـ)، ابن القيسراني، محمد بن طاهر، تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)، 4 أجزاء، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، ط1، 1415هـ، دار الصميعة، الرياض، 710/2-712.

² ابن جرير الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: احمد عبد الرزاق واخرون، دار السلام للطباعة - القاهرة، ط 2، 1428هـ/2007م، ج 5، ص 3882.

³ سورة القصص، الآية 32

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 8، ص 6390.

⁵ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، (ت 256 هـ)، صحيح البخاري، دار الفجر للنشر - القاهرة، 1426هـ - 2005م، كتاب التيمم، حديث رقم 335، ج 1، ص 95.

⁶ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي المصري، (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1997م، مادة رهَب، 3/ 131.

⁷ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت 538هـ)، أساس البلاغة، دار الفكر - بيروت، د ط، 1409هـ/1989م 1998م، مادة ر ه ب، ص 261.

وأما الإرهاب اصطلاحاً:

إن السمة البارزة في تعريف الإرهاب هي عدم الاتفاق على ماهيته، رغم أن هذا المصطلح هو الأكثر شيوعاً في هذا القرن الذي نعيشه، وخاصة أنه أصبح مصطلحاً سياسياً، قد يطلق على دولة أو مجتمع أو عصابة أو فرد أحدث حالة من الرعب والفرع من أجل أن يحقق هدفاً معيناً غالباً ما يكون سياسياً¹.

وقد عرف القاموس السياسي الإرهاب بأنه محاولة نشر الذعر والفرع والخوف لأغراض سياسية، وهو وسيلة تعتمد عليها الحكومات الاستبدادية لإرغام شعوبها على الخضوع لمطالبها التعسفية².

وأما الموسوعة السياسية فقد عرّفت الإرهاب بأنه: استخدام العنف بشكل غير قانوني أو التهديد به؛ لتحقيق هدف سياسي، ويشمل عمليات الاغتيال والتعذيب والتشوية والتخريب بغية كسر روح المقاومة وهدم المعنويات لدى الهيئات والمؤسسات للحصول على معلومات أو مال معين³.

وعرفه آخرون: بأنه أعمال قتل وعنف واستبداد غير مقيّد بقانون وقاعدة، ويعود اهتمام المجتمع الدولي بالإرهاب إلى عام 1930 م على أثر تشكيل عصبة الأمم لجنة خاصة لدراسة جرائم العنف والإرهاب، والاعتداء على سلامة رؤساء الدول والحكومات⁴.

وعندما هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية، ودمرت مدينتي هيروشيما وناكازاكي على يد أمريكا حاولت اليابان أن تُفَعِّلَ قانون الإرهاب ولكنها كانت أضعف من ذلك بكثير⁵.

وعلى أثر عملية ميونخ⁶ في 9/8/1972م دعا (كورت فالد هايم) الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك لاتخاذ تدابير تمنع الإرهاب وتقاومه، بدعم من أمريكا وإسرائيل.

¹ بركات، جمال، الدبلوماسية والإرهاب الدولي، مجلة الدراسات الدبلوماسية، معهد الدراسة الدبلوماسية، السعودية، العدد 2، إبريل، 1985م، ص 151.

² عطية، أحمد، القاموس السياسي، دار النهضة - القاهرة، 1968م ص 450

³ الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية - بيروت، 1979م، د ط، ج 1، ص 153.

⁴ السماك، محمد، الإرهاب والعنف السياسي، الشركة العالمية للكتاب - لبنان، 1992م، ص 37.

⁵ الياسري، ياسين طاهر، مكافحة الإرهاب، دار الثقافة والنشر، - عمان، ط 1، 1432هـ/2011م، ص 35.

⁶ عملية ميونخ: قام بها فدائيون من فلسطين ضد الفريق (الإسرائيلي) في دورة الألعاب الأولمبية في ميونخ عام 1972 م، وانتهت بقتل الكوماندوز (الإسرائيلي) منفذي العملية والفريق الرياضي معاً. المصدر السابق.

وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001م قسمت أمريكا العالم إلى محورين:

أ - محور الخير: الذي تنزعه أمريكا ومن كان معها.

ب - محور الشرّ (الدول المارقة) حسب التصنيف الأمريكي الذي كان من نتائجه احتلال أفغانستان وتدميرها، واحتلال العراق وتقسيمه، وضرب الجماعات الكشميرية المجاهدة وتغليب مصالح أمريكا وحلفائها. حتى بلغت الغطرسة الأمريكية إلى القول: "أن من ليس معنا فهو ضدنا".

وفي ظل التنافس على قيادة العالم واستعباد الشعوب، وخلال فترة الحرب الباردة ظهر تيار سياسي فكري، كان له تأثير على سياسة أمريكا وإستراتيجيتها العالمية يقول بأنه في نهاية التاريخ لا بد من انتصار الحضارة الغربية (الرأسمالية) على العالم¹.

و قال بأن الخطر الذي يواجه الحضارة الغربية الرأسمالية هي الديانة الكونفوشوسية والإسلامية، وأنه لا بد من تصادم الحضارات المختلفة بالحرب والاقتتال وتفكك الدول، وقد برزت آثار هذا التيار في أهداف ومبادئ الساسة الأمريكيين الذين نادوا بوجود حلول الولايات المتحدة محل بريطانيا في المنطقة العربية على أثر الانسحاب البريطاني منها بعد الحرب العالمية الثانية، حتى لا يملأ هذا الفراغ من قبل أهل البلاد أو عدو آخر، والمحافظة على مصالح الغرب بأكمله، ولو أدى ذلك إلى تدخل أمريكي عسكري في الشرق الأوسط²، والعمل على ضم منطقة الخليج العربي إلى حدود المناطق الحيوية لأمنها القومي، وأعطت أمريكا نفسها الحق في التدخل عسكرياً في حال تعرضت مصالحها للخطر، فأنشأت قوتيّ التدخل والانتشار السريعتين³.

ويرى الباحث أن ما قامت به أمريكا من احتلال كل من أفغانستان والعراق وتدميرهما والسيطرة على مقدراتهما ما هي إلا ترجمة عملية لهذه المبادئ والتيارات.

فقال سفير أمريكي سابق معترضاً على الإرادة الإلهية: إنه لا بد من تصحيح خطأ الرب الذي جعل النفط في أرض العرب⁴ بينما العالم المتحضر في مكان آخر.

¹ رسول، محمد رسول، استدراج التعالي الغربي، دار أسامة، عمان، 2000، ص72

² مصطفى، أحمد عبد الرحيم، الولايات المتحدة والشرق العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، 1987م، ص 146.

³ إسماعيل، وائل محمد، قوة الانتشار السريع، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1988م، ص 67.

⁴ الحوالي، سفر الحوالي، كشف الغمة عن علماء الغمة، 1412هـ-1991م، (د.ط)، (د.ن)

وأنه لا بد لأمریکا أن تحارب من أجل قيمها وحضارتها، فالحرب التي تقوم بها قواتها طويلة ومقدسة وصليبية.

فأمريكا لا ترى قتل الملايين من البشر إرهاباً وظلماً ما دام ذلك في سبيل مصالحها وقيمها، وحتى نكون منصفين فإن ذلك لم يقتصر على بلاد المسلمين فقط، بل أن ما صنّعه مع الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، وما فعلته في هيروشيما وناكازاكي، يشهد أن شهية الإرهاب عندها ليس لها حدود.

وقد نالنا نحن المسلمين من هذه الأحداث شروراً لا حد لها، فهناك دول دمرت كالعراق وأفغانستان والصومال وضيق على الجاليات الإسلامية في بلاد الغرب، وحوصرت الجمعيات الخيرية والتعاونية، وأصبح العربي والمسلم في مطارات البلاد الغربية والأمريكية موضع تهمة وازدراء، وشُنّت الحملات الفكرية والإعلامية على الإسلام ديناً ورسولاً تحت طائلة محاربة الإرهاب، وإنه ليسهل على كل دولة أو أمة أو عقيدة أن تدّعي لنفسها ما تراه مناسباً من الأخلاق والإنسانية والأفكار المناسبة، ولكن الممارسة العملية على أرض الواقع تكذب ذلك أو تصدقه.

ولعلّ مقارنة بسيطة بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم تبين بأن كل الضحايا الذين سقطوا في محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم لأعدائه في تسع سنوات لم يتجاوز (203) قتيلاً من الكفار، و(183) شهيداً من المسلمين، بينما كانت ضحايا حروب أوروبا الدينية عشرة ملايين قتيل على أقل تقدير في القرون الوسطى¹.

وفي الحرب العالمية الأولى 1914م – 1918م قتل ثمانية ملايين جندي فقط، من أصل 65 مليون جندي اشتركوا في تلك الحرب².

وفي الحرب العالمية الثانية زاد عدد القتلى الذين سقطوا فيها على خمسين مليوناً من البشر، بالإضافة إلى الدمار الهائل الذي حلّ بالمدن والعواصم العالمية الكبرى، مثل دمار المدن البريطانية، الفرنسية، الإيطالية والألمانية، وقد حازت اليابان على أفضع جرائم الحرب حتى الآن³.

¹ السرجاني، راغب، لقاء تلفزيوني، بتاريخ 2010/4/29م، تحت عنوان انتشار الإسلام بالسيف.

² الحسن، عيسى، الحرب العالمية الأولى، الأهلية للنشر، عمان، ط1، 2009، ص16

³ ريشاور، أدوين أولدفادر، اليابان من هيروشيما، ترجمة يوسف سلب الشام، دار علاء للنشر، دمشق، ط1، 2000م، ص167.

وحرم الإسلام قتل الرسل والسفراء والمستأمنين من الأمم الأخرى، كالوافدين والسيّاح، فقال تعالى: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾¹.

وتشريعات الإسلام حافظت على دماء وأعراض وأموال المسلمين وغير المسلمين، وشرعت حدود القتل والجلد والرجم والقطع والصلب والتغريب صيانة لها وتخويفاً وزجراً من الاعتداء عليها. ولكن الدول العظمى دائماً تلصق الإرهاب بالدول والشعوب الضعيفة، وتتفي عن نفسها الإرهاب والقتل والتدمير، فعندما دمرت أمريكا ملجأ العامرية في بغداد على أكثر من ثلاثة آلاف إنسان، ما بين طفل وامرأة وعجوز، قد لجأوا إليه خوفاً من القصف والموت، فقصفته أمريكا بصواريخ تحمل أطناناً من المتفجرات، فأخرج من كان فيه إرهاباً إرهاباً متفحمين عجز الناس عن التعرف على قتلهم ليس إرهاباً².

بينما إذا ارتكبت عصابة صغيرة ولو كان عددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، جريمة ضد مصالح الكفار والمستعمرين ألصقوا صفة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، وغالباً ما يكون ذلك ناتجاً من شدة الظلم الواقع عليها من قبل الظالمين، وكأنهم يطلبون من الطائر الذبيح أن لا يلطخ الجزار بدمه وصدق الشاعر في قوله

قتل إمرة في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن قضية فيها نظر³.

ويرى الباحث أن الذي أدى إلى الاختلاف في تعريف الإرهاب هو اختلاف المعايير والموازين والمصالح والأيدلوجيات والأهداف، فكل دولة تعرفه بالطريقة التي تخدم مصالحها الخاصة، لذلك لم يتفقوا على معنى واحد فأحياناً يصفون الحروب المدمرة بأنها حرب على الإرهاب، كما فعلت أمريكا في أفغانستان والعراق، وأحياناً يصفون الاعتداء البسيط من الضعفاء بأنه إرهاباً، فيطلقون وصف إرهابي على الفلسطيني الذي يدافع عن نفسه عندما يقتلونه من بيته ووطنه ويشردونه، ويصفون اليهودي المستوطن في أرض الفلسطيني بقوة السلاح بالمدافع عن نفسه.

وأدرك الباحث أن الإسلام عندما أباح وحضّ على الإرهاب المحمود كالخوف من الله تعالى، وزيادة التقرب إليه بالعبادة، والخشية منه، فإن مردود نفعها عائد على من تلبس بها، لأنها تقربه الى الله في

¹ البقرة، الآية 190.

² مركز دراسات الوحدة العربية، الحرب على العراق، مركز دراسات الوحدة - بيروت، 2997م، ط 1، ص 419.

³ الشاعر أديب اسحاق: من مسيحيي دمشق، ولد فيها وتعلم في مدارسها، وعمل في ديوان المكس (الجمرك) ثم اعتزل العمل وتولى الكتابة والإتشاء. الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط8، ص1048-1049.

اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأما إعداد القوة لإرهاب الأعداء فهو لكبح جماحهم، وتخويفهم من التفكير بالاعتداء على أعراض ودماء وأموال المسلمين، وقد عبّر عنها بعض الأخوة الباحثين بعبارة (الاستخدام النظيف للإرهاب)، وهذا ليس له علاقة بما يجري في عالم السياسة اليوم.

وأما تصنيفات المستعمرين والظالمين للإرهاب فيجمله الباحث بأنه: (قانون جنون العظمة وخطرسة القوة) كالتي مارسها فرعون عندما اتهم موسى عليه السلام بالفساد ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾¹.

وخلاصة ما توصل له القانون الدولي في تعريفه للإرهاب: هو الإرهاب الذي تمارسه دولة واحدة أو أكثر عن طريق تسخير إمكانياتها الدبلوماسية والعسكرية لتحقيق هدف سياسي، أو الاستيلاء على مكتسبات أو ثروات دولة أخرى².

المطلب الثاني: أقسامه في الشرع:

1- إرهاب محرم و مذموم:

وهو الإرهاب الذي لا يجوز فعله وتحرم ممارسته، وهو من كبائر الذنوب والآثام، ويستحق مرتكبه العقوبة والذم وقد يكون على مستوى الدول والجماعات والأفراد وحقيقته: هو الاعتداء على الأمنين من قبل دول أو عصابات أو أفراد، بسلب الأموال والممتلكات، والاعتداء على الحرمات وإخافة المسافرين على الطرق البعيدة عن المدن، أو القطارات أو الطائرات أو السفن في البحار، والتسلط على الشعوب من قبل الحكام الظلمة، من كبت الحريات وتكميم الأفواه ونحو ذلك، والاعتداء على الرسل والسفارات والمعاهدين والذميين وغيرهم.

¹ سورة غافر، الآية 26.

² الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 1، ص 153.

فقد حرم الله تعالى الاعتداء على الكفار الآمنين المسالمين لكونهم كفارًا فقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾¹، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾²، وقال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾³. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁴.

وقال صلى الله عليه وسلم عن أهل الذمة: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تَوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"⁵.
وحُرِّمَتِ السَّيْرَةُ حَمْلَ السِّلَاحِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا"⁶.

وحرَّم على المسلم أن يروِّع مسلماً أو أن يشير إليه بحديدة ولو كان يقرؤه السلام، وحرَّم على الراعي أن يظلم رعيته فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع"⁷.

وقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم من وَلِيَ من أُمِّي شَيْئًا فَرَفِقَ بِهِمْ فَارْفَقَ بِهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَشَقَّ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ"⁸.

¹ البقرة، الآية 190

² المائدة، الآية 1.

³ الأنفال، الآية 58.

⁴ المائدة: الآية 33

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات 87. باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم، حديث رقم 3166، ج2، ص 386.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات 87، باب قوله تعالى: {ومن أحيائها 26}، من حديث عبد الله بن عمر، حديث رقم 6874، وحديث رقم 7070. ج 4، ص 313.

⁷ الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ومذيل بأحكام الألباني، دار إحياء التراث العربي - بيروت دط، دت، كتاب الجهاد 24 رقم الحديث: 1705. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج 4، ص 179، حديث رقم 1636. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صحيح بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومذيل بأحكامه باب في الخلافة ولأمانة، ط 2، 1414هـ مؤسسة الرسالة - بيروت، حديث رقم 4491، ج 10، ص 344، وقال عنه الأرنؤوط إسناداه صحيح على شرطهما.

⁸ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة 33، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم 5، حديث رقم 4723. ص 711.

ومن خلال هذه النصوص السالفة الذكر يرى الباحث مدى ما شرعه الله سبحانه وتعالى من الأحكام الشرعية للحفاظ على دم الإنسان وماله وعرضه، وكيف أن الله عاب على أهل مكة وأدهم للبنات وهن أحياء فقال المولى عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾¹.

وكيف أن الله تعالى جعل من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً، وكيف أن الله حرم ترويع الآخرين مهما كانت ألوانهم وأديانهم، وعندما استهجن الصحابة الكرام وقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجنازة يهودي، أجابهم بقوله: "أليست نفساً؟"².

وقد أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمن والطمأنينة على قلب رجل جاء يرتعد خوفاً عند دخوله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ"³.

وهكذا ما كان الرفق واللين في أمر إلا زانه، وما خلا منه أمر إلا شأنه، وجعل تبسم المسلم في وجه أخيه صدقة.

2 - إرهاب مشروع وممدوح:

وهذا الإرهاب شرعه الله لنا وأمرنا به، وهو إعداد القوة والمنعة، والتأهب لمقاومة أعداء الله تعالى في كل زمان ومكان قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾⁴.

¹ التكوير، الآيتان 7-8.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز 23، باب من قام لجنازة يهودي 49، من حديث سهل بن حنيف و قيس بن سعد 1312، و 1313 ج 1 ص 337. وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز 11، باب القيام للجنازة 24، من حديث سهل بن حنيف و قيس بن سعد، حديث رقم 2225.

³ ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي والأحاديث منبذة بأحكام الألباني، دار الفكر - بيروت، كتاب الأطعمة 29، باب القديد 30، من حديث عقبة بن عمرو بن ثعلبة رقم: 3312، ج 2، ص 1101، وقال المحقق هذا في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألباني حديث صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج 4 ص 496، رقم 1876.

⁴ سورة الأنفال، الآية 60.

فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يرهبوا ويخيفوا عدوهم، ويحسب لهم ألف حساب، وهذا يعني وجوب الإعداد للمعارك مع العدو سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب وهو ما يسمى قوة الردع، ويجب أن يكون الإعداد:

أ - مادياً: ويكون ذلك بزيادة الجيش عددًا وعدة وسلاحًا وتدريبًا.

ومثال ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا"¹، "واستعارته أسلحة من صفوان بن أمية في غزوة حنين"².

ب - ومعنويًا: وهي قوة الإيمان بالله تعالى وحسن التوكل عليه، والإكثار من الطاعات، والبعد عن الذنوب والمعاصي، والإخلاص والصدق مع الله قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكِ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾⁴. فالنصر بالكيف لا بالكم.

ومثال على ذلك: كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه قائد جيش المسلمين في مصر لأmir المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: إنا أقبلنا على قوم مثل الرمال فأمدنا بقوة وأمدنا برجال، وطلب منه أربعة آلاف مقاتل، فأمدّه بأربعة رجال وكتب اليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائد جيش المسلمين أما بعد: فاعلم أنكم لا تقاتلون عدوكم بقوتكم ولا بكثرتكم، وإنما تقاتلونهم بأعمالكم الصالحة فإن أصلحتموها نجحتم وإن أفسدتموها خسرتم، فاحترسوا من ذنوبكم كما تحترسون من عدوكم، وإن الله لا ينصر قوماً إلا

¹ البخاري صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير 56، باب من جهز غازياً 38، حديث رقم 2843، ج 2، ص 299.

² البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، دار الفكر - دمشق، ط 13، 1412هـ - 1991م، ص 290.

³ سورة البقرة، الآية 249.

⁴ سورة التوبة، الآية 25.

بصدق نبيّاتهم، وقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر فتقاتلونهم من سنين، فلما أتى الكتاب عمرًا جمع الناس وقرأه عليهم، وأمر الناس فتطهروا وصلوا ركعتين ففتح الله عليهم¹.

وقد نصر الله تعالى المسلمين ببدر وهم أدلة، ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه فقال "اللهم إنهم حفاة فأحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم اللهم إنهم جياع فأشبعهم، ففتح الله له يوم بدر"². وما سجل التاريخ يومًا أن جيش المسلمين فاق جيش الكفار عددًا ولا عدة، ولكنه انتظار إحدى الحسينيين إما النصر وإما الشهادة، ومعارك بدر وأحد والخندق ومؤتة والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت خير شاهد على ذلك.

المبحث الثاني: أنواع الإرهاب

المطلب الأول: الإرهاب الفكري (الديني):

1 - إرهاب الكفار للأنبياء: كانت أول وصايا لقمان لابنه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾³. لأن الشرك بالله هو إجحاف وظلم في حق العقل الذي وهبه الله للإنسان، فالعقل يدل صاحبه على معرفة الله، التي هي أعلى مراتب المعرفة، ولا يجوز للإنسان أن يكون إمعة إن أحسن الناس أحسن، وإن أساؤوا أساء، وكان أشهر من حجر على الناس تفكيرهم وأرهبهم فرعون، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁴. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلَأْ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطِيعُ إِلَٰهَ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁵.

¹ الشيخ، عبد الستار، الخلفاء الراشدون، دار القلم - دمشق، ط 1، 1420 هـ - 2000 م، ص 202.

² أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب في نقل السرية تخرج من العسكر 157، دط، دت، دار الكتاب العربي - بيروت حديث رقم 2749، ج 3، ص 33. صحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني، رقم الحديث (2747)، ج 6، ص 247، قال الألباني حسن.

³ سورة لقمان، الآية 13.

⁴ سورة النازعات، الآية 24.

⁵ سورة القصص، الآية 38.

وقد حملهم على ذلك بقوله: ﴿يَقَوْمُ لَكُمْ أَلْمَلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝¹﴾

وقال مهدياً موسى عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝²﴾

ثم حكم بالإعدام على السحرة الذين كانوا من أخلص الناس إليه، بعدما شرح الله صدورهم للإيمان، فما ضعفوا وما استكانوا بل ضربوا أروع الأمثلة في الثبات والصبر، حتى قال لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝^{١٢٣}﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَبِّحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝^{١٢٤}﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝^{١٢٥}﴾ وَمَا نَنْقُمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝³﴾ فقالوا لا ضير، واحتسبوا أجرهم عند الله تعالى.

وذكر الله تعالى في سورة البروج قصة قوم آمنوا بالله، فزجهم الطاغية في أخذود من النار فما ردهم ذلك عن دينهم ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝⁴﴾

وقد عتف كفار قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب دعوته إلى الله تعالى، ووصفوه بالمجنون والكذاب والساحر، بعد أن كانوا يطلقون عليه الصادق الأمين قبل بعثته.

فقال الله تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّبُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝⁵﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۚ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝⁶﴾

وفي مكة المكرمة عذبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، مثل زنييرة الشهيدة وبلال بن رباح وخباب بن الأرت، وابن مسعود، وصهيب الرومي، وقتلت سمية وزوجها ياسر رضي الله عنهما، وغيرهم من ضعفاء المسلمين.

¹ سورة غافر، الآية 29.

² سورة غافر، الآية 26.

³ سورة الأعراف، الآيتان 123-126.

⁴ سورة البروج، الآية 8.

⁵ سورة الحجر، الآية 6.

⁶ سورة ص، الآية 4.

وقد بين الله تعالى أهداف مكرهم بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝١﴾¹

وقد حاول كفار مكة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ليلة الهجرة، وطاردوه حتى وصلوا غار ثور، وجعلوا لمن يأتي برأسه حياً أو ميتاً مائة من الإبل ولكن الله سبحانه وتعالى سلم.

وقد خاض كفار قريش معارك بدر وأحد والخندق ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وساندتهم في ذلك اليهود في المدينة المنورة وخيبر، وبعض قبائل العرب.

وظلت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه حتى فتح الله مكة المكرمة على المسلمين ودخل الناس في دين الله أفواجا، وحطم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام الأصنام التي كان أهل مكة يعبدونها، وصعد بلال رضي الله عنه ظهر الكعبة مؤذناً، وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفوه عن قومه الذين عذبوه وقتلوا أصحابه وأخرجوه من مكة قائلاً لهم كما قال يوسف عليه السلام لأخوته لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فخرجوا فكأنما خرجوا من القبور فدخلوا في الإسلام بعد قوله "اذهبوا فأنتم الطلقاء"².

2: إرهاب الصليبيين

بدأ هذا الإرهاب من عام 1095م – عام 1291م؛ أي: قرابة قرنين من الزمان، متقلان بالدماء والعنف والاختصاب والخراب، عندما حرض "بطرس الناسك"³ في ذلك الزمان النصارى في أوروبا على حرب

¹ سورة الأنفال، الآية 30.

² البيهقي، احمد بن الحسن بن علي الخسروجدي الخرساني، السنن الكبرى، باب فتح مكة، حديث رقم 8275، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط 2، 1424هـ دار الكتب العلمية – بيروت، ج 9، ص 199. وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الضعيفة، حديث رقم 1163، د ط، د ت، مكتبة دار المعارف – الرياض، ج 3، ص 307. رواه ابن إسحاق في السيرة، وعنه الطبري في التاريخ، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، حسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ج 8 ص 333.

³ بطرس الناسك: أشهر دعاة الحروب الصليبية، طاف أوروبا على حمارة مستغلاً الشعور الديني بحجة تخليص القبر المقدس من المسلمين. انظر خان ظفر الدين، تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس – بيروت، ص 167. عويس، د عبد الحليم، المجرمون المائة، مكتبة مدبولي الصغير – الجيزة، 2011م، ط 1، 165.

المسلمين، مدعيًا أنها حرب مقدسة أمر بها الرب، وأن هدفها تخليص القبر المقدس من أيدي المسلمين، والتي أهلك الحرت والنسل في بلاد المسلمين¹.

"وما أحدثه الصليبيون في القدس عندما ذبحوا نحو من ستين ألفًا من المسلمين، حيث أفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يرحموا طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا، وكان سلوكهم المشين عندما دخلوا القدس نحو المسلمين، غير السلوك العادل من الخليفة عمر بن الخطاب نحو النصارى و فرق كبير بين ما فعله الصليبيون عندما دخلوا بيت المقدس وقتلهم آلاف المسلمين ذبحًا، بعد أن أعطوهم العهود والمواثيق بالأمان عليهم وعلى أموالهم وأعراضهم ومقدساتهم ودمائهم، وبين الرحمة التي مارسها عمر بن الخطاب عند فتحها، وصلاح الدين عند تحريرها"².

وفي الحملة الصليبية الثالثة قتل الصليبيون ثلاثة آلاف من أسرى المسلمين مرة واحدة بعد أن أعطوهم عهدًا بالأمن والامان وصون الدماء والأعراض.

وهنا نرى السماحة التي أبداهها صلاح الدين وجيشه الذين لم يعاملوا النصارى بمثل ما عاملوا المسلمين قبل أقل من قرن من الزمان، بل تساموا فوق الجراح وكان صلاح الدين يكرر على جنده قول الله سبحانه وتعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"³.

وعندما دخل صلاح الدين الأيوبي⁴ مدينة القدس أجيش نساء وأطفال الصليبيين بالبكاء في وجهه، فغفى عنهم وأعطاهم المال والطعام والمتاع ليبلغوا مأمنهم، وعلى أثر انتصاره في حطين عفى عن آلاف الأسرى من الصليبيين، وقدم لهم الطعام والشراب، بل عفى عن بعض الأمراء والملوك بعدما أقسموا على كل مقدس عندهم أن لا يحاربوا المسلمين، ومع ذلك نكثوا وحنثوا في قسمهم وغدروا، وقام صلاح الدين بقتل أرناط حاكم الكرك، لأن صلاح الدين كان قد أطلق سراحه سابقًا بعد أن وقع في أسره في معركة أنطاكية، فعاد لغدره فاعتدى على القوافل المتجهة من الشام إلى مصر، وعلى حجاج بيت الله الحرام، وجهاز أكثر من حملة عسكرية لاستهداف قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في

¹ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة - الكويت، د ط، د ت، ص 111.

² لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتر، دار العالم العربي - القاهرة، ط 1، 2009م، ص 12 - 13.

³ سورة النحل، الآية 90.

⁴ صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن ايوب ولد من اسرة كردية في تكريت سنة 532هـ ورث جهاد الأسرة الزنكية ووجد مصر والشام، وانتصر على الصليبيين في حطين ثم حرر القدس عام 583هـ. توفي فقير الحال في دمشق بعد جهاد طويل في سبيل الله عن عمر 57 عاما. انظر علوان، عبدالله ناصح، صلاح الدين بطل حطين، دار السلام، ط 3، دت، ص 11-14.

المدينة المنورة.بالإضافة الى قتله موكبًا من حجاج بيت الله الحرام، رغم أنهم ذكّروه بالمعاهدة وعقد الأمان، فقال متهمًا: "نادوا محمدًا ليخلصكم مني" وقتلهم شر قتلة.

وعندما وقع أسيرًا في يد المسلمين في حطين، قال له صلاح الدين: "أنا أنوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتلك" وقتله بيده¹.

ويرى الباحث أنه لا وجه للمقارنة بين عدل الإسلام ورحمته بالبشرية، وبين جرائم الكفار وإرهابهم، ابتداءً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله"² عندما رده أهل الطائف ردًا قبيحًا وعرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين.

وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه عندما دخل مكة فاتحًا: "أذهبوا فأنتم الطلقاء"³ وهم الذين عذبوا وقتلوا وقاطعوا وحاصروا أصحابه قبل الهجرة، وهاجموا المدينة المنورة في يوم أحد وحاصروها يوم الخندق، وهم الذين أصرّوا على قتله ليلة هجرته إلى المدينة المنورة ولكن الله سلّمه من غدرهم.

وهذه وثيقة المدينة المنورة التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة وتسلمه قيادتها، والتي ضمنت لليهود المدينة حصانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ولم يؤاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة يهودية بجريرة قبيلة يهودية أخرى، وما أخرج قبيلة أو عاقبها إلا بخيانة ارتكبتها ضد المسلمين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾⁴.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه العهدة العمرية التي ظلّ المسلمون يحترمونها طيلة عهودهم، والتي نصت على حقوق أهل الذمة في مدينة القدس وفلسطين الى يوم القيامة، فكان دخول المسلمين

¹ أبو فارس، محمد عبد القادر، دروس وتأمّلات في الحروب الصليبية، جبهة للنشر والتوزيع - عمان، ط 1، 1422هـ / 2002م، ص 177-178.

² ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق علي شيره، ج4، ص344.

³ ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، دار المنار، القاهرة، 1410هـ-1990م، (د.ط)، ج3، ص290. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم (307): قال الألباني إن هذا الحديث على شهرته ضعيف لا إسناد ثابت له.

⁴ سورة الأنفال، الآية 58.

لها فتحًا وسلامًا وأمانًا، لم ترق فيه قطرة دم واحدة، وقد شهد بذلك وأشاد كتاب التاريخ من أهل الكتاب الغربيين.

3 - إرهاب اليهود في فلسطين:

عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول في بازل¹، وكان من أهم قراراته العمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وعندما رفض السلطان عبد الحميد الثاني² إعطاء اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين، مقابل ما عرضوه عليه من المال، ليعالج أزمة بلاده الاقتصادية، ورد عليهم بقوله "إن فلسطين ليست ملكي ولا ملك آل عثمان، وإنما هي ملك المسلمين، ولئن اقطع إريًا إريًا أهون عندي من أن أفرط في جزء منها وليذهب اليهود بأموالهم، وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورؤوها بدمائهم"³.

فكانت النتيجة أن حاك اليهود مؤامرة لعزل السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يشكل حائلًا بينهم وبين سيطرتهم على فلسطين، فعلى أثر الحرب العالمية الأولى وعدت بريطانيا اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، سمي وعد بلفور بتاريخ 2/11/1917م. وما أن دخل الجنرال اللنبي⁴ قائد الجيش البريطاني مدينة القدس منتصرًا على المسلمين العثمانيين، حتى عبر عن مكنون حقه على الإسلام فقال "الآن انتهت الحروب الصليبية" وقال: "بأن فلسطين لليهود" و"اليوم أصبحت القدس لنا أبدية"، وكان ذلك بتاريخ 9/12/1917م⁵.

¹ بازل: مدينة سويسرية بمحاذاة نهر الراين، عقد اليهود فيها أول مؤتمر صهيوني عام 1897م، لإقامة وطن يهودي في فلسطين، وكان المؤتمر تحت قيادة هيرتزل. المنظمة الصهيونية العالمية، الموسوعة الفلسطينية، ج4، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط1، 1984م، ص328-329.

² هو السلطان العثماني الرابع والثلاثين، حكم من 1876-1909م، خدماته جلييلة وخاصة رفضه التفريط بفلسطين. الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، القاهرة 1980م، ج2، ص 999-1000.

³ الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية وعوامل النهوض، دار ألبيارق - عمان، ط 1، 1420هـ/1999م، ص: 699.

عمر، يوسف حسين، أسباب خلع السلطان عبد الحميد، دار الكتاب الثقافي - أريد، 1426هـ/2005م، د ط، ص 303.

⁴ ادموند اللنبي: قائد القوات البريطانية التي احتلت فلسطين عام 1917م ثم عمل مديرًا لجامعة أديرة بعد تقاعده العسكري ومات وعمره 75 عامًا. العبادي، احمد عويد، كتاب القدس هدية عيد الميلاد، مقال يوم الثلاثاء 2014/5/27م الموسوعة الحرة وانظر عويس، المائة المجرمون، ص 165.

⁵ محسن، عيسى خليل، فلسطين وسماحة المفتي أمين الحسيني، مطبعة قبة الصخرة - الاردن، ط 1، 1419هـ/1998م، ص 27.

سويدان، طارق، تاريخ فلسطين المصور، قرطبة للإنتاج - الرياض، ط 3، 1425هـ، ص 226.

وقامت بريطانيا أثناء احتلالها لفلسطين والقدس بفتح أبواب الهجرة لليهود من كل أنحاء العالم، وأمدتهم بالمال والسلاح لإقامة كياناتهم فيها.

وعندما اندلعت الحرب في عام 1948م أحدث اليهود مجازر في دير ياسين وقتلوا ما يزيد على 250 شخصاً من أهلها، لم يفرقوا بين طفل وشيخ وامرأة، وفرّ الباقون الى البلاد العربية المجاورة.¹

وفي قرية الطنطورة جنوب حيفا قتل اليهود من أهلها 90 شخصاً ودفنوا في مقبرة جماعية بشكل عشوائي، وفي قرية الدوايمة قتل اليهود من أهلها ما بين 700-1000 شخصاً، وهام الباقون على وجوههم في البلاد العربية بحثاً عن النجاة، ورغم فداحة هذه المجزرة إلا أنها من الصفحات المظوية في التاريخ.

ولا ننسى مجزرتي كفر قاسم وقبية في الخمسينات من القرن الماضي، واقتلاع قرى "عمواس، وبيت أولا ويالو" على إثر حرب عام 1967م، ولن تغيب عن أذهاننا مجزرة الحرم الإبراهيمي التي قتل وذبح فيها المجرم الصهيوني "غولد شتاين" في صلاة الفجر في الخامس عشر من شهر رمضان عام 1994م ثلاثين مسلماً وهم يصلّون صلاة الفجر.²

ولا يستطيع أي منصف في التاريخ أن ينكر مجزرة صبرا وشاتيلا في بيروت التي قتل فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف شهيد من الفلسطينيين ما بين طفل وشيخ وامرأة خلال 40 ساعة من الزمن ما بين 16-17/9/1982م، على يد المليشيات المتعاونة مع اليهود بقيادة شارون، رغم الضمانات التي تعهّد بها فليب حبيب مبعوث الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت. وتم ذلك بعد الصمود الأسطوري الذي أبداه المقاتلون الفلسطينيون في بيروت الذي دام ما يقارب 90 يوماً.³

وما قام به اليهود من حربين على غزة ما بين 27/12/2008م - 17/1/2009م في عملية الرصاص المصبوب، التي استشهد فيها ما يزيد عن 1400 شهيد، وعدة آلاف من الجرحى الذين أصيبوا بإعاقات دائمة وكاملة أو جزئية، ودمر فيها أكثر من 4000 آلاف من المنازل والمصانع تدميرًا كاملاً، و 16000 ألف بيت ومصنع ومنشأة تدميرًا جزئيًا. واستخدمت إسرائيل الأسلحة المحرمة دولياً، وصب الرصاص على أهل غزة صباً.

¹ أبو فارس، محمد، الإرهاب، دار الفرقان - الاردن، 1427هـ/2006م، د ط، ص 235-237.

² المصدر السابق، ص 237.

³ السعدي، غازي، ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين من 1936-1983م، دار الجليل - عمان، ط 1، 1985م، ص 287.

ثم كانت معركة الفرقان أو عمود السحاب التي استمرت ما بين 14-22/11/2012 م التي لم تقلّ عن سابقتها تفتيلاً وتدميرًا.¹ ثم كانت معركة العصف المأكول التي بدأت في 8/7/2014م، 11/شوال/1435هـ، والتي استشهد فيها أكثر من ألفي شهيد، وعشرة آلاف جريح، وآلاف المنازل والمساجد والمستشفيات المدمّرة، وربع مليون مشرّد بلا مأوى وهذا ليس مستهجنًا ولا مستغربًا.

ويرى الباحث أن هذه المجازر التي ارتكبت ضد الفلسطينيين غيّرت الخارطة الديموغرافية لفلسطين، فبعد أن كان اليهود في عام 1882م لا يتجاوزون 24000 نسمة أي ما يقارب 5% من السكان، وكانوا يتواجدون في مدن الخليل وصفد وطبريا والقدس كمواطنين ورعايا في الدولة العثمانية، أصبحوا الآن يشكّلون الغالبية العظمى من السكان بعد عمليات القتل والطرّد والتدمير والاستيطان، ليحقّقوا الشعار العنصري الذي نادوا به: "فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".²

وقد أدّت هذه المجازر التي ارتكبتها الصهاينة، إلى إرهاب أكثر من 420 من المدن والقرى المجاورة، مما أدى إلى هجرتهم إلى البلاد العربية، خوفًا على أعراسهم وأرواحهم وأموالهم، فحقّق الصهاينة هدفهم المنشود ألا وهو تفريغ فلسطين من أهلها. وقد توزّعت مخيماتهم في الأردن ومصر وسوريا ولبنان والعراق، وهاجر العديد منهم إلى أمريكا وكندا وأستراليا، وأوروبا بتسهيلات ممنهجة ومسيّسة.

وما كان ذلك ليتم بهذه الطريقة المؤلمة، لولا التفكير العنصري والتلمودي البغيض الذي أنسى الصهاينة حسن العشرة والمعاملة الحسنة التي وجدوها في كنف الإسلام والمسلمين في جميع العصور الإسلامية المتعاقبة.

ويرى الباحث أيضا أن الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة ضد الفلسطينيين والعرب ليست غريبة على ثقافتهم التوراتية المحرفة التي ينطلقون منها، حيث يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وإنهم أبناء الله وأحبّاءه، وأن بقية البشر من الأغيار الذين خلقهم الله خدماً لهم، بل ينظرون لهم نظرة دونية يوصلونهم إلى مرتبة الدواب وهوام الأرض وهذا ما ذكر في فتوى يهودية بثتها الفضائيات الإسرائيلية في أغسطس 2004م:

¹ أبو فارس، محمد، الإرهاب، ص 235-237. انظر نوفل، أحمد سعيد، وجواد الحمد، معركة غزة، مركز دراسات الشرق الأوسط - عمان، ط 1، 2011م، ص 64.

² المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية نحو تعريف أكثر تفسيرية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 102 جزيران 2000م ص 89.

"إن اليهودي عندما يقتل مسلماً فكأنما قتل ثعباناً أو دودة، لأن الثعابين والديدان يشكّلان خطراً كبيراً على البشر، لهذا فإن التخلص من المسلمين مثل التخلص من الثعابين والديدان أمر طبيعي أن يحدث".

وفي يونيو 2001م نشرت هارتس فتوى يهودية أخرى تقول فيها: "إن على السلطات الإسرائيلية أن تقضي على الخصوبة عند العرب المسلمين في فلسطين حتى يتوقف النسل الإسلامي تماماً، وتصبح فلسطين خالصة لليهود، وبعدها يمكن لليهود أن يقيموا الهيكل وإسرائيل الكاملة"¹.

وما أعظم دين الإسلام ورحمته بالعباد جميعاً، ونحن نقارن هذه الفتاوي الخالية من الرحمة والإنسانية، بمشهد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما وجد عجوزاً يهودياً يسأل الناس ويتسول في الطرقات، فأخذه إلى بيته وأعطاه ما تيسر له، ثم ذهب به إلى أبي عبدة خازن بيت مال المسلمين قائلاً له "ما أنصفناه أخذنا منه في شببيته، وننساه في شببيته، اضربوا له ولأمثاله من بيت مال المسلمين ما يكفيهم"².

4 - إرهاب الأمريكان ضد الهنود الحمر والزنج.

يتفق الكاتبان هويدي والعكش على أن الدولة الأمريكية قامت على دماء وجماجم وأشلاء الهنود الحمر، الذين كانوا يسكنون أمريكا منذ أقدم العصور، ويؤكدان على أنه قتل وأبيد أكثر من 100 مليون من الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين على يد المستوطنين البيض، وأصبح وجود الهنود الحمر وكيانهم أثر بعد عين بعد أن كانوا أهل البلاد الأصليين، وكان ذلك على يد الدولة الأمريكية التي تنادي بحق الشعوب الكامل في تقرير مصيرها، وتتادي بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

وعندما كتب الأمريكان تاريخهم الحديث، قالوا "بأن هذا الإنجاز الحضاري والعمراني الذي لديهم ليس موروثاً عن من سبقهم من الهنود الأصليين، بل هو ما أنجزه المستوطنون البيض، فهم أصحاب الفضل الكبير في ذلك مع أن كل المفكرين وكتّاب التاريخ يؤكدون بأن هذا الإنجاز قد سلب من الهنود

¹ عرفة، محمد جمال، المحرقة النازية حلال وهولوكست غزة حرام مجلة الفرقان، العدد 75، بقلم نبيل الدجاني، عنوانه الارهاب، ص 33.

² مجدلاوي، فاروق، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، روائع مجدلاوي، قطر الأردن لبنان، ط2، 1418هـ-1998، ص164

الحر كما سلبت أملاكهم ومقدراتهم وأراضيهم ونسيجهم الاجتماعي الذي أصبح خبراً بعد أن كان أنثراً¹.

وفي كتاب (أمريكا والإبادة الثقافية) يقول العكش: أن 112 مليون إنسان من الهنود الحر قد أبيدوا أو هجروا، والقلّة الباقية منهم قد همشت تماماً. وإن ما حل بهم كان أعظم وأفظع عملية تطهير عرقي عرفت على وجه الأرض، وإن المستوطنين البيض كانوا ينتزعون الجنين من بطن أمه الهندية ليعمّده في الماء المقدس، ثم يضربوا رأسه بالجدار ليسحقوه، ويقطعون أجساد الرجال والنساء قطعاً متناثرة، وخاصة الأعضاء التناسلية وهم على قيد الحياة. وفي تقرير برايس 1907م أورد بأن أطفال الهنود يموتون في هذه المدارس كالذباب نتيجة الاغتصاب والتتكيل والتعذيب لينسى من بقي منهم أنه من الهنود الحر. وإن احراق المزارع والحقول بما فيها من الهنود الحر - أطفالاً ونساءً وشيوخاً - وما فيها من المواشي والحبوب والمحاصيل بدون رحمة هو أمر طبيعي يُستقبل مجرموه استقبال الأبطال المنتصرين.²

وقد يقول قائل: إن هذا اجترار للماضي الذي انتهى أمره، وأمريكا اليوم أم الحضارة الغربية، وصلت مراكبها الفضائية الى القمر، وغواصاتها الى قيعان المحيطات، وجامعاتها محجاً لطلاب العلم من كل البلاد، وهي التي تنادي بحقوق الإنسان، وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها.

ولكن أليست أمريكا هي التي احتضنت إسرائيل بعد بريطانيا في حربها ضد أهل فلسطين بشكل خاص والعرب بشكل عام؟

أليست أمريكا التي تغطّي مجازر اليهود الإرهابية بالفيتو المتكرر عند كل إدانة لهم؟³

ألم تدمّر أفغانستان والعراق والصومال بحجة نشر الديمقراطية ومحاربة الإرهاب؟⁴

ألم تر كيف فعل الأمريكان مع نزلاء سجن أبي غريب في بغداد؟⁵

¹ هويدي، فهمي، مقال إستدعاء سيناريو إبادة الهنود الحر، مجلة الشرق الأوسط، العدد 23 / 1 / 2008م

² العكش، منير، أمريكا والإبادة الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، ط 1، 2009م، ص 99، 111، 155.

³ كيرك، جورج، الشرق الأوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ترجمة سليم التكريتي، دار واسط، العراق، ط 1، 1990م، ج 1، ص 194

⁴ ناعوم تشومسكي، الثالوث الخطر، أمريكا وإسرائيل والفلسطينيون، الاتحاد العام للكتاب الصحفيين، 1993، ص 28، 9.

⁵ النمورة، محمود طلب خليل، الغرب والإسلام وفلسطين، مطبعة بابل، حلحول، ط 1، 1427هـ-2006م، ص 214.

إن رائحة لحوم آلاف المدنيين العراقيين التي احترقت في ملجأ العامرية في بغداد لا تزال تتبعث من تحت الأنقاض وإن كل منصف لا بد له أن يقول إن أمريكا استنسخت في بلاد المسلمين ما فعلته مع الهنود الحمر قبل قرنين من الزمان من التقتيل والتدمير.¹

ويؤكد ذلك ما قاله الرافي في كتابه - الإسلام انطلاق لا جمود- الذي ألفه في الستينات من القرن الماضي: إن أمريكا تحرم بعض الأماكن على السود والزنوج، وكذلك في الجامعات والقطارات والحافلات التي يركبها البيض.

وأعطى مثلاً على ذلك بالفتاة الزنجية التي نجحت بدخول إحدى الجامعات فاعتبر الأمريكيون ذلك إهانة لكرامتهم، وقامت المظاهرات احتجاجاً على قبولها، مطالبين بطردها من الجامعة، ومعاقبة المسؤولين عن قبولها، ونزلت الجامعة عند إرادة البيض الأمريكيين، وطردت الفتاة من الجامعة، وهوجم المحامي الذي تطوع للدفاع عنها لأن ذلك تدنيس للشرف الأمريكي الذي لا يرضى أن يزامل المستوطن الأبيض الزنجي الأسود.

وفي حادثة أخرى يقول بأن زنجي دخل قاعة مسرح ليغني أغنية، وما أن صعد خشبة المسرح حتى إنهال عليه البيض ضرباً ولكماً لمجرد أنه زنجي. وفي حادثة ثالثة عندما مرت فتاة بيضاء طائشة، أمام شاب زنجي أسود مراهق، انتشى المسكين وراعه جمالها، فندت من بين شفثيه صغيرة إعجاب، فكان جزاؤه أن هوجم من قبل الشبان البيض، وإنهالوا عليه ضرباً وطعنًا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وقد أعلنت المحكمة براءة المهاجمين البيض لأن المغدور زنجي تحرش بفتاة بيضاء، ولم يشفع له أن الفتاة كانت لعوباً.²

¹ مركز دراسات الوحدة العربية، الحرب على العراق، ص 419.

² الرافي، مصطفى صادق، الإسلام انطلاق لا جمود، مكتبة الحياة - بيروت، د. ط، د. ت، ص 95 - 96.

ولا ننسى ما صنعه أمريكا في نهاية الحرب العالمية الثانية 1945م، عندما ألقت طائراتها قنابل ذرية على مدينتي ناكازاكي وهيروشيما في اليابان، فدمرت وحرقت وقتلت من فيها، وأصبحت هذه المدن وما حولها لا تصلح للحياة أبداً، مما أربى اليابان وحلفاءها في الحرب حيث اضطروا إلى التسليم.¹

فتقافة الإرهاب من معتقداتهم سواء في حربهم ضد الهنود الحمر قبل قرنين من الزمان، أو في ذبحهم للعراق وأفغانستان في هذه الأيام، فهم لا يفرقون بين طفل وشيخ وامرأة، ومخطئ من ظن يوماً أن للثعلب ديناً.

وإن الباحث ليرى شمس الحقيقة في إرهابهم الفكري والعائدي الذي لا ينفك عن تفكيرهم لحظة واحدة، وخاصة في أوج الخلاف عندما يخرجون ما تكنه قلوبهم من كلمات القوة والخطرة والكبرياء مثلما قال (الليفتنانت جنرال وليم بويكن) عن صدام حسين عند سقوط بغداد: "عرفت أن ربي كان أكبر من ربه، وعرفت أن ربي حقيقي، وأن ربه كان صنماً"².

وكأنه يكرر قول القائد الفرنسي غورو³ الذي دخل مدينة دمشق بعد معركة ميسلون البطولية في عام 1920م، ووصل إلى قبر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وركله برجله قائلاً: "قم يا صلاح الدين ها قد عدنا".

5 - إرهاب الإسبان (محاكم التفتيش):

إن غروب شمس الإسلام عن الأندلس كانت فاجعة عظيمة لم يشهد التاريخ البشري لها مثيلاً، في مدى الإذلال الذي حلّ بالمسلمين هناك، وفي الفظائع والجرائم التي تقشعرّ منها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان والتي قام بها الإسبان ضد المسلمين.

وكانت هذه المأساة قد بدأت بسقوط آخر معاقل الإسلام في الأندلس (غرناطة سنة 897هـ/ 1492م)، إذ شهدت تلك الفترة أعمالاً وحشية ارتكبتها محاكم التفتيش الإسبانية، لتطهير إسبانيا من آثار ومعال

¹ هورشيما وناكازاكي: مدينتان يابانيتان ضربتهما أمريكا بالقنابل الذرية مما أسفر عن تدميرهما بالكامل خلال ثوان معدودة فلم يبق فيها حياة، تاكيشي ايتوا، مأساة القنبلة الذرية، دار الشروق - القاهرة، ط 1، 1994م، ص 82 - 83.

² كارول جيمس، الحرب الصليبية، ترجمة قاسم عبده، مكتبة الشروق - القاهرة، ط 1، 1426هـ/ 2005م، ص 72.

³ غورو: هو القائد الفرنسي الذي احتل دمشق من القوات العربية سنة 1920م على اثر معركة ميسلون وفصل لبنان عن سوريا حسب اتفاقية سايكس - بيكو، وكيببدا الموسوعة الحرة. الموسوعة الحرة - موقع دمشق، اونلاين.

الإسلام والمسلمين، وإنهاء تراثهم الذي دام ثمانية قرون يشع نوراً وضياءً على أوروبا. وكان آخر فصول هذه المأساة عندما قام السلطان أبو عبد الله الصغير¹ بتسليم غرناطة إلى النصارى بعد توقيعه وثيقة الاستسلام معهم بتاريخ 890/1/21 هـ - 1491/11/25 م والتي تتضمن 27 مادة تحدد أولاً تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكين ملكي قشتالة والأرغون، تتضمن حقوق وواجبات المسلمين بعد الاستسلام ودخولهم تحت حكم النصارى. ولكن الأسبان نقضوا العهد والميثاق ونكثوه، وحولوا المساجد إلى كنائس والمآذن إلى نوافيس، وكان الختان والاغتسال ونوع اللباس من الدلائل التي يكون مرتكبها معرضاً للموت لأنها من علامات إسلامه.²

وقد علق غوستاف لوبون في هذا السياق فقال "وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض على الناس والشعوب بالقوة، فلما أجبر الأسبان النصارى عرب الأندلس على التنصر فضل هؤلاء القتل والموت والطرده على ترك الإسلام، ولم ينشر القرآن والإسلام بالسيف، بل بالدعوة وحدها"³.

وهنا آن للباحث أن يتساءل: ألم يدرك هذان الملكان المجرمان (ملكي قشتالة) والقساوسة الذين من حولهم أن الفتح الإسلامي في الأندلس خلّص النصارى واليهود من ظلم القوط وزعيمهم لودريك الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، بل إن الذي ساعد المسلمين وسهل لهم فتحها هم أهلها النصارى الذين استقبلوا المسلمين استقبال الفاتحين، وقالوا للمسلمين ما قاله نصارى الشام لجيش المسلمين عندما ردوا عليهم أموال الجزية التي أخذها منهم عندما انسحب عن بعض أراضيهم لطرف عسكري "انتم أحب إلينا من أبناء ديننا وأعدل؟".

ألم تكن الأندلس في زمن المسلمين قبلة العلم والعلماء، لجميع الفئات والأديان وكان الأوروبيون يتفاخرون بأن أبناءهم يدرسون في جامعاتها. ألم يكن عندهم علم بأن اثنين أو أكثر من بابوات الفاتكان قد تخرجوا من معاهدها وجامعاتها ؟ في الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في جهلها.

¹ أبو عبد الله الصغير: هو آخر ملوك الأندلس، والذي قام بتسليم غرناطة للأسبان، وقد أنبته أمه التي قيل بأن اسمها عائشة أو فاطمة، وقد أبقي الأسبان على بيتها في مدينة غرناطة اعترافاً ببطولتها، وكتبوا عليه (دار الحرية عائشة). الكتاني، علي بن محمد، ت1422هـ، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1426هـ، 2005م، ج 1، ص 435.

² الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي بين الفتح الإسلامي وسقوط غرناطة، دار القلم - دمشق، ط 2، 1429هـ/ 2008م، ص 569.

أنظر: إيرفنج، واشنطن، أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هلائي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ط 1، 2000م ص 406.

³ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 12

هل سجل التاريخ الإسلامي الأندلسي طيلة ثمانية قرون متواصلة أن المسلمين أكرهوا أحدًا منهم على ترك دينه ؟ أم إن المسلمين يتعبدون تلاوة وعملاً بقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْمُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹ الآية التي نزلت تنهى أحد الأنصار على إجبار أبنائه على الإسلام.

ولكننا على ثقة تامة أن لسيوف المسلمين أخلاقًا تتقيد بأوامر الله تعالى ونواهيه كما نتقيد ألسنتهم وجوارحهم، فلا تقتل طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا ولا راهبًا في صومعة وتوصي المسلمين بأهل الذمة خيرًا.

نعم لقد دخل طارق بن زياد الأندلس فاتحًا رحيمًا، وفرح الإسبان بهزيمة لودريك وانتصار المسلمين، وعاشوا في ظل الإسلام قرونًا ثمانية تشع بالعلم والخير والعدل، فلا قتل ولا إرهاب، بل أمن وسلام في ظل الإسلام، بل إن الإسبان هم الذين استجدوا بالمسلمين لإنقاذهم من الظلم والاضطهاد وسوء الأحوال الاقتصادية، فاستجابت الدولة الإسلامية الأموية لهم.²

وجاءت ساعة الرحيل المؤلم عندما تشرذمت الأندلس إلى دويلات ضعيفة متناحرة، تهاوت أمام ضربات الممالك النصرانية واحدة بعد الأخرى، وكانت آخرها مدينة غرناطة التي وقّع صك تسليمها السلطان أبو عبد الله الصغير، الذي له نصيب من اسمه في 21/محرم 897هـ/25 تشرين الثاني 1491 م.

والتي أقسم فيها الملكان الزوجان بشرفهما الملكي ودينهما الكاثوليكي، أن يحافظا على حقوق المسلمين وعهودهم، ولكن هذه الاتفاقية كانت ستارًا للغدر والخيانة، فقد ذاق المسلمون من الذل والهوان والتنكيل ما لا يخطر على بال بشر.

وخرج السلطان أبو عبد الله الصغير من مدينة غرناطة مع حاشيته ذليلاً وحزينًا، وعندما وقف على نهاية أطلالها في منطقة تسمى "تل البنودول" نظر إليها باكياً على مجدها ومجده التليدان، وأجهش بالبكاء، فأنبته أمه الاميرة عائشة بقولها: "ابك، ابك، ابك مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال" وسميت تلك التلة "تلة زفرة العربي الأخيرة" نسبة لبكاء ونحيب ودموع ذلك السلطان الطريد.

¹ سورة البقرة، الآية 256.

² شاكر، محمود، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة، دار أسامة للنشر - عمان، ط 1، 2002م، ص 422.

وهكذا غابت شمس الإسلام عن الأندلس وغرناطة وكأنها لم تغن بالأمس، وأقيم أول قداس نصراني في مسجدتها الجامع الأعظم الذي حوّل إلى كنيسة يعلوها صليب كبير. وخرج من مدينة غرناطة لوحدها أكثر من مليون مسلم، وبعض اليهود الذين لاذوا بحمى المسلمين في شمال أفريقيا، وقد عمّت الأفراح والليالي الملاح كافة أنحاء أوروبا فرحاً بهزيمة المسلمين وزوال سلطانهم من تلك الديار.¹

وقد رثاها عدد من الشعراء بقصائد تصف حال زوال راية التوحيد والإسلام عنها، ليحل محلها الصليب، وتصف حرائر المسلمين وعلوج الإسبان يقودوهن إلى الرذيلة، وكيف أن الأم تختطف من بين أبنائها وتغتصب أو تقتل، وكيف علت الصليبان مساجد المسلمين، وأقيمت فيها القداديس النصرانية، وكيف فتن الأندلسيون عن دينهم ووضعوا أمام خيارين إما الكفر وإما الموت، وما جرى في محاكم التفتيش أدهى وأمر من ذلك بكثير، وهذه بعض أبيات مما قاله الرندي في قصيدته التي رثى بها الأندلس بشكل عام وغرناطة بشكل خاص:

لكل شئ إذا ما تم نقصان	فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءت أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد	ولا يدوم على حال له شأن
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم	عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم	لهالك الأمر واستهوتك أحزان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد	إن كان في القلب إسلام وإيمان ²

ولم يبق للمسلمين في الأندلس إلا اسم جبل طارق بن زياد الذي تتنافس السيادة عليه بريطانيا وإسبانيا، ومسمى الأندلس الذي نطقه على بعض الشوارع والحدائق والمتاجر ودور السينما.³

¹ الحجي، التاريخ الأندلسي بين الفتح الإسلامي وسقوط غرناطة، ص 24 - 25.

² ديوان الشاعر: أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، (601 - 684هـ) من أبناء قرية رندة الأندلسية، شهد سقوط معظم المدن الأندلسية في يد الإسبان. كان محدثاً وفقهياً، وقد اشتهر بهذه القصيدة التي تسمى (مرثية الأندلس). جرار، د صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة - عمان، ط 1، 2007م، ص 115 - 118.

³ وفحوى هذه الخاتمة المؤلمة لهذه النهاية المفجعة كما فهمها الباحث من كتاب: الفلاح، حامد حسين، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، الجزء الثاني، دار الكتاب الثقافي - إربد، د ط، 1424هـ / 2003م ص 125 - 127..

وأخيراً يرى الباحث أن هذا الإرهاب والصنيع ليس غريباً على الإسبان أو غيرهم من الأوروبيين ضد المسلمين، فقد أُرهبوا وأُجرموا وقتلوا المذاهب النصرانية التي لا تدين بالكاثوليكية، وساموهم سوء العذاب. وقد ذكر الكاتبان عويضة ومايكل هاث إن الكنيسة في العصور الوسطى المظلمة في أوروبا، كانت تحارب العلم والعلماء وتقتل وتحبس وتحرق الذين يخرجون في علومهم عن تعاليمها، فقد حُرقت كتبهم وحرمت على الناس قراءتها، واتهمت العلماء والمفكرين بالزندقة والإلحاد والكفر، لأنهم قالوا بدوران الأرض وقانون حركة الأجسام.¹

6 - إرهاب الشيوعيين:

أذاقت روسيا القيصرية المسلمين فيها أصناف العذاب، فلم ترقب في مسلم إلا ولا ذمة، فلم تفرق بين طفل ولا شيخ ولا امرأة. وعندما قامت الثورة البلشفية فرح بعض المسلمين بزوال الحكم القيصري، ظناً منهم أن عهد الظلم قد ولى، وقامت الثورة البلشفية بخداع المسلمين، وأخذت تتاشدهم ليشدوا من أزرها ويكونوا عوناً لها ضد القيصرية، لأنه كان باستطاعتهم أن يغلبوا كفة أحد الطرفين المتحاربين على الأخرى، وقد خاطبوا المسلمين بندايات مأكرة وخادعة كقولهم: "إن مساجدكم التي هدمت لا بد أن تبنى، وإن حريتكم لا بد أن تعود، اخلعوا عن أعناقكم تأثير هؤلاء اللصوص، فانصروا الثورة البلشفية فهي عون لكل المظلومين".

وما أن استتب واستقر الأمر للبلاشفة حتى انكشفت نواياهم الحقيقية، فبدؤوا بإبادة المسلمين، ففي 1918م أصدر لينين أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية دون إنذار مسبق، فأخذت الدبابات تحصده المدن الإسلامية حصداً، وتلك الحصون والقلاع، وكانت الطائرات تمطرهم بالقنابل من كل جانب، فاستولوا على بخارى وتركستان وأذربيجان وجزيرة القرم، وقام البلاشفة الشيوعيون بتهجير المسلمين عن بلادهم، واستبدلوهم بالروس والسلاف والأوكرانيين، فقتل الشيوعيون من المسلمين التركستانيين سنة 1934م مائة ألف مسلم، وهدموا في التركستان وحدها 6682 مسجداً، وقتلوا العلماء والفقهاء وساسة المسلمين، وأحدثوا مجازر تقشع لها الأبدان، وأبادوا في يوغسلافيا 24 ألفاً من المسلمين.

وفي بلاد الشركس والقوقاز استمر جهاد المسلمين على أشده بكل عزيمة وإصرار حتى وقع زعمائهم في قبضة الروس، وعلقوا على أعواد المشانق، مما أدى إلى هروب بعض القبائل الشركسية والشيثانية

¹ عويضة، الشيخ كامل محمد، غاليلوغاليلية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1944م، 5 - 7.

إلى بلاد الشام. وقد أشاد لينين واعترف ببطولة القوقازيين واستبسالهم، وقال بأن الانتصار عليهم لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، وطلب من الروس البلاشفة أن يكون هؤلاء القوقازيين قدوة لهم في الصبر والقتال من أجل حريتهم، وقال: إنه لولا مقاومة القوقازيين لاستطاعت جيوشنا أن تحتل الشرق من مصر إلى اليابان وهي تسير على نغمات فرقها الموسيقية " وقد تفانى المسلمون في سيبيريا في الدفاع عن بلادهم أمام الزحف الروسيّ المجرم. وعندما تبعثرت قوات السلطان المسلم (كوجم)¹ عرض عليه السفير الروسي أن يقبل ويعترف بالاحتلال الروسي، ويعيش ملكاً تابعاً لهم، إلا أنه أصر على المقاومة حتى الرمح الأخير.

وفي أعقاب معركة أخرى شهدها السلطان المسلم (كوجم) هائماً على وجهه وقد فقئت إحدى عينيه، ومن حوله أكداس الجثث من جنده البواسل، فعرض عليه السفير الروسي أن يقبل حماية الروس فأبى إلا الاستماتة في أداء واجبه. وقد رد على الروس قائلاً: " لا أقبل عيش الأسير، ولا موت الذليل، ولست حزينا على فقد ملكي وأموالي، وإنما حزني على أولئك التعساء الذين سيعيشون تحت نير الاستعباد الروسي"² واستشهد هذا السلطان وابنه استشهد الأبطال الصابرين، ووضع الروس الشيوعيون أيديهم على هذه الأرض الغنية التي كان اسمها (صابري) وأسموها (سيبيريا).

ولم يكن حظ المسلمين على يد الماويين (الشيوعيين) في الصين أهون من إخوانهم تحت حكم الشيوعيين الروس البلاشفة، فبعد أن قامت الثورة الماوية (الثقافية) في الصين قال قائدها محرصاً على ذبح المسلمين: يا رجال الحرس الأحمر "لا يمكن أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعداً أن نهجم أكثر الأعداء تخفياً - المسلمين - الذين يقومون بنشاط ضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم" وقال: أيها المسلمون من الآن فصاعداً لا يمكنكم أن تضيعوا الوقت في الصلاة، ولا تتكلموا اللغة العربية لأنها ضد الصينية، ولن نسمح لكم بعد اليوم بقراءة الكتاب المقدس (القرآن) دمروا جوامعكم وأحرقوا القرآن عليكم بالزواج المختلط، وكفوا عن الصلاة، وألغوا الختان وادرسوا أفكار ماو، وإن لم تفعلوا ذلك فستندموا، ويجب أن تسحق جحور الجرذان الدنيئة، فلتحيا الثورة الثقافية... فلتحيا طويلاً طويلاً طويلاً "الرئيس ماو"³.

¹ السلطان كوجم: هو آخر سلاطين الإسلام في سيبيريا والذي جاهد الروس جهاد الأبطال وفضل الموت مجاهداً، على أن يعيش أو يستسلم ذليلاً. أنظر: الركن، د محمد، هولوكوست المسلمين، دار ابن حزم - بيروت، 1440هـ / 2001م، ط 1، ص 124.

² الغزالي، محمد، الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 9، 1410هـ/1990م، ص 105.

³ الغزالي، الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر، ص 37، 38.

ويرى الباحث إن ما ذكر عن إرهاب الشيوعيين ضد المسلمين في روسيا والصين ما هو إلا قليل من كثير، وغيض من فيض، وقطرة من محيط، لأن شرحه وتفصيله يطول.

وإن حملة التطهير العرقي في (سراييفو) ما بين عامي 1991م - 1995م وما جرى فيها من القتل والاغتصاب والتهجير الذي شاهده العالم الغربي والاوروبي قد شكل وصمة عار على ديمقراطيتهم المزعومة، وكان الاتحاد السوفياتي قد أقيم على جماجم المسلمين وأرضهم، والذي ضم تسعة أعشار أراضيه من أراضي المسلمين، فقد كانت مساحة روسيا 400 ألف كيلو متر مربع، فأصبحت بعد احتلالها لبلاد المسلمين أربعة عشر مليون كيلو متر مربعاً؛ أي: سدس اليابسة على الكرة الأرضية، ولا شك أن هذا الإرهاب الذي حصد أرواح الملايين من المسلمين على يد الشيوعيين في روسيا والصين ما كان له إلا سبب واحد، ألا وهو محاربة الله ورسوله والمؤمنين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾¹.

المطلب الثاني: الإرهاب الاقتصادي

تعريف الإرهاب: هو ما تقوم به الدول المستعمرة من سرقة أموال الأمم والشعوب الأخرى الضعيفة المتمثلة في مصادرها الطبيعية كالنفط والمعادن، سواء أكان ذلك بالاحتلال العسكري، أو بإغراقها بالقروض والديون، ثم السيطرة على كل مواردها بواسطة الشركات الاقتصادية الضخمة العابرة للقارات، مما يتسبب بنشر الجوع والفقر والمرض، وتفشي الأمية بين الناس.²

1- محاربة الإسلام للفقر:

كان الناس وما زالوا يتنافسون على مصادر الغذاء، فتنافست القبائل في الماضي على أماكن الكلاء والماء الذي يصلح لحياتها وأنعامها، وكانت القبائل القوية تستأثر بأخصب الأراضي دون غيرها ولسان حالهم يقول:

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه ولو كانوا غضابا

¹ سورة البروج، الآيتان 8، 9.

² الرمانى، زيد، اللغة الاقتصادية المعاصرة، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، 1420هـ، ص103.

وكانت بعض القبائل القوية إذا نزلت بأرض خصبة ووفرة الماء والكأ استعوت كلباً على أعلى مرتفع عندها، ثم تحمي كل أرض وصل إليها عواء ذلك الكلب، وتصبح محرمة على غيرها، ولما جاء الإسلام حرم كل حمى إلا حمى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، أي ما كان لصالح المسلمين جميعاً، فالناس فيه سواء، فلا يمنع إنسان أو حيوان أو طير أن يأكل أو يشرب من أي مصدر من المصادر التي وهبها الله لهذه البشرية جمعاء.

فقال المولى عز وجل في ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾¹.

وقال صلى الله عليه وسلم: "النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَأِ وَالنَّارِ، وَثَمَنُهُ حَرَامٌ"².

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا حمى إلا الله ورسوله"³.

وقد حض الإسلام على الإطعام والصدقة وسقيا الماء، وجعلها من الأجور التي تنفع المسلم بعد موته، فقال المولى تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁴.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينفع به أو ولد صالح يدعو له"⁵.

¹ سورة الملك. الآية 15.

² ابن ماجه، السنن، كتاب الرهن 16، (باب: الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ 16)، حديث رقم/2472، ج 2، ص 825، قال الألباني صحيح. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، الألباني، رقم الحديث (2472)، ج 5، ص 472.

³ البخاري، صحيح البخاري،، كتاب الحرث والمزارعة 41، باب لا حمى إلا لله ورسوله 11، حديث رقم: 2370، ج 2، ص 156.

⁴ سورة البقرة، الآية 261.

⁵ مسلم، ابوالحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الوصية 26، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 3، حديث رقم 4223 من حديث أبي هريرة. د ط، 1424هـ، المكتبة العصرية - بيروت، ص 619.

ومدح الله الصحابة الكرام بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿١﴾.

و مدح الأنصار لأنهم قدموا للمهاجرين ما يحتاجون من طعام وشراب وبيوت ومساعدة فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: "من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه قال: وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع وهم يعلمون فقد برئت منهم ذمة الله" (٣) وقال صلى الله عليه وسلم: "انقوا النار ولو بشق تمرة" (٤)، وجعل الزكاة ركن من أركان الإسلام والصدقة تطفئ الخطيئة، وجعل من أنفق بيمينه بحيث لا تدري شماله من السبعة الذين يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وقد تعلم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون البذل في سبيل الله تعالى بدون حدود، فالصديق كان يعتق الأرقاء لوجه الله تعالى، وعثمان بن عفان الذي جهز جيش العسرة وأنفق أموال قوافله التجارية بكاملها بفقراء وجيوش المسلمين.

وقد حظي الأسرى بأفضل الأطعمة عند المسلمين، وعيّن عمر بن الخطاب لفقراء أهل الكتاب ما يكفيهم من العطاء، حتى لا يتكففون الناس أعطوهم أو منعوهم، فلم يحاصر المسلمون أحداً ولم يرهبونه بالجوع والعطش على مر التاريخ الإسلامي عبر القرون الخالية، وقد مدح الله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٥). وما فهمناه من هدي الإسلام في تعذيب الله سبحانه وتعالى لامرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فلم تطعمها ولم تطلقها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت، لدليل قاطع على أن الإسلام لا يمكن أن يسلط سيف الجوع على أحد من العباد حتى ولو كان كافراً، ولا على الخلق عموماً حتى ولو كان هرة أو طيراً.

¹ سورة الإنسان، الآيات 8-9.

² سورة الحشر، الآية 9.

³ ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مسند بعبد الله بن عمر بن الخطاب، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط 2، 1420هـ - 1999م، مؤسسة الرسالة حديث رقم 4880، ج 8، ص 481.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة 24، باب انقوا النار ولو بشق تمرة 15، حديث رقم 1417، ج 1، ص 366.

⁵ سورة الإنسان، الآية 8

2 - سياسة قريش في تجويع الصحابة الكرام

عندما عجزت قريش عن رد المسلمين عن دينهم فرضت عليهم حصارًا إقتصاديًا واجتماعيًا في شعب أبي طالب، فقد كتبوا صحيفة المقاطعة الظالمة التي دامت ثلاث سنوات عجاف¹، أصاب الصحابة الكرام فيها من الفقر والجوع ما لا يخطر على بال بشر، حتى أن أحدهم داس شيئًا طريًا فأخذه والتقمه ولم يدر ما هو من شدة الجوع. وكانت قريش تسمع صياح أطفال المسلمين من شدة الجوع فلا ترق لمن بكى ولا تسمع لمن اشتكى، ومنعت أم مصعب بن عمير عن ابنها مصعب ما كانت تتفقه عليه قبل إسلامه، وتنازل صهيب الرومي عن أمواله لقريش حتى سمحت له بالهجرة إلى المدينة.

وما كان لسياسة المقاطعة والتجويع أن تحصل بين البشر لولا عداوة أهل الباطل لأهل الحق، ولكن صدق الله العظيم عندما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾² وقد بين الله في كتابه العزيز عداوة المنافقين في المدينة فقال فيهم تعالى: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ حَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾³ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ⁴

فيقول صاحب تهذيب تفسير ابن كثير إن المنافقين طلبوا من أهل المدينة عدم إطعام المهاجرين، وطردتهم وإخراجهم من المدينة، والتضييق عليهم ليعودوا إلى مكة⁴، ويرى الباحث عون الله ونصره وفرجه يتجلى للمسلمين عندما قام أهل المروءات والعزائم والشهامة من سادة قريش يتساءلون فيما بينهم بقولهم: أأناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يأكلون ولا يبتاعون والله لا نقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة⁵. نعم لقد تشقت الرحمة من قلوب هؤلاء الذين تعاهدوا على الظلم والعدوان، كما تتفجر الأنهار من بعض الصخور والأحجار، فتلاوموا على قطع أرحامهم وتجويع أقاربهم، وكتب الله لأكثرهم الدخول في الإسلام، وحسن إسلامهم، وكانوا خيارًا في الجاهلية والإسلام. وأما صهيب وإخوانه المهاجرين فقد أربح الله بيعهم، فاحتضنهم الأنصار رضوان الله عليهم، وتحقق رضى الله عليهم، لأنهم خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله

¹ ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص342.

² سورة البروج، الآية 8.

³ المنافقون، الآية 8.

⁴ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تهذيب وترتيب ابن كثير، دار الفاروق للنشر - عمان، ط 1، 1429هـ/ 2008م ص 3276

⁵ ابن هشام، ج1، ص342

ورسوله، فوصفهم الله تعالى بالصادقين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾¹.

3 - ما فعلته بريطانيا في الهند:

في عام 1600م سيطرت بريطانيا على شبه القارة الهندية سيطرة تامة بعدما نجحت في إخراج البرتغاليين والهولنديين منها، طمعاً في كثرة الموارد التي تحظى بها هذه القارة وذلك لسعتها وتنوع خيراتها، فأنشأت شركة الهند الشرقية بقرار سيادي ملكي بريطاني، وأطلقت يدها بكل حرية لتنهب ثروات البلاد الهندية، وأصبح للشركة قوة مسلحة تسيطر على مجالس الحكم في الولايات الهندية، وكانت بداية ذلك بمزاولة التجارة في الحرير والقطن والشاي والأفيون، وقد سرقت بريطانيا كل خيرات الهند وصدرتها للخارج، فعمّت المجاعة تلك البلاد ومات أكثر من ثلاثة ملايين هندي جوعاً ومرضاً، رغم أن الهند تشتهر بالأرز والقمح والحبوب والفواكه والخضار والتوابل التي تحول بين الناس والمجاعة.

وقد أذلت بريطانيا الشعوب الهندية إذلالاً لا مثيل له، فأقامت المشانق والمعتقلات وأصدرت الأحكام الصارمة والظالمة ضد من يخالف سياستها، وزعمت بأن الهند مدينة مادياً لشركة الهند الشرقية وهي عاجزة عن سداد الدين فلا بد من استعمارها وإدارتها من قبل بريطانيا حتى يصبح الشعب الهندي مؤهلاً لإدارة نفسه بنفسه، فدخلت إليها الجيوش البريطانية وأعلنتها مستعمرة بريطانية، وأطلقت عليها مصطلح "درة التاج البريطاني" لكثرة خيراتها وثرواتها، وظلت الهند ترزح تحت الاحتلال البريطاني البغيض قرابة قرنين من الزمان، حتى جاء عام 1947م وانسحبت القوات البريطانية من شبه القارة الهندية، بعد أن قسمتها الى عدة دول متنافرة متحاربة لا يجمعها جامع.²

ويرى الباحث حجم فداحة الإرهاب في لقمة العيش الذي يسوغه الكفار لأنفسهم، ولو كان ذلك على حساب موت عشرات الملايين من البشر، فقد فقدت الهند سيادتها بحجة الديون المترتبة عليها من قبل الشركات البريطانية المتعاونة مع الحكومة البريطانية، كما هو الحال في الوقت الحاضر، فإن

¹ سورة الحشر، الآية 8.

² محفوظ، د حازم، أزدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، دار الثقافة للنشر - القاهرة، ط 1، 1425هـ / 2011م، ص 111.132.

الشركات الأمريكية هي صاحبة القرار في الحرب والسلم والعدوان، وما الجيوش المسلحة إلا أداة لتنفيذ سياستها.

وقد عاشت شبه القارة الهندية قرنين من الزمان، كان البريطانيون فيها هم السادة والقادة، والهنود هم العبيد والأرقاء للحكومة البريطانية ومستوطناتها، حتى أصبحت اللغة الإنكليزية هي اللغة المشتركة التي يتقنها كل الهنود وسط لغاتهم المتعددة. وقد وصلت حالة الإذلال أن يحمل العتال الهندي سيده البريطاني على كتفيه، ومشتريات بيته على ظهره بعد التسوق، وهنا نستذكر فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش التي أخرجته من أحب البلاد إليه - مكة المكرمة - وعذبت أصحابه الكرام، وحاولت استئصال الإسلام والمسلمين منذ بعثته في مكة المكرمة وحتى يوم فتحها، ومع ذلك عندما منع ثمامة بن أثال قومه من إيصال القمح إلى مكة المكرمة، لأن قريش آذته حين أشهر إسلامه في أدينتهم، فمسهم الجوع والقحط، ناشدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر ثمامة بن أثال بأن يسمح بوصول القمح إليهم ففعل. وفي المبسوط أن رسول الله أهدى إلى أبي سفيان بمكة جرائب من تمر وعجوة وأدامًا، وخمسمائة دينار ليوزعها على فقراء مكة حين أصابهم القحط.¹

4 - ما فعلته أمريكا في العراق:

على أثر الهجوم الذي شنته أمريكا على العراق، وتدميرها البنية التحتية من جسور وموانئ وكهرباء، ومدارس وجامعات ومستشفيات، ومصانع غذائية ودوائية، وفرضت حظرًا اقتصاديًا على العراق دام أكثر من عشر سنوات عجاف، أدت إلى موت آلاف العراقيين جوعًا ومرضًا وقتلًا. فقد مات أكثر من 800 ألف من الأطفال العراقيين دون الخامسة من العمر، بسبب عدم توفر اللقاحات والأمصال الوقائية، بالإضافة إلى الحالات المرضية العجيبة والغريبة، وحالات التشوه التي احتار الأطباء في تشخيصها نتيجة استخدام أمريكا لأسلحة فتكت بالشجر والحجر والإنسان.

وقد أدى ذلك إلى انحناء شجر النخيل وقلة إنتاجه واصفراره، وعدم صلاحية مساحات واسعة من أراض العراق للرعي والزراعة بسبب عوامل التلوث الناتجة عن هذه الحرب المدمرة ومخلفاتها، أما المصانع والمنشآت والمستشفيات والجامعات فلم تكف أمريكا بتدميرها فقط، بل حرصت أن لا تعود

¹ السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد، (ت 101م)، المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421هـ - 2001م، ج 10، ص 101.

إلى سابق عهدها، فاستهدفت أمريكا العقول والكفاءات العلمية التي أشادت بها، فقامت بحملة اغتيالات واسعة النطاق ضد علماء وأطباء ومهندسي العراق، فمنذ اليوم الأول من احتلال العراق كان هنالك 15500 عالماً وباحثاً عراقياً على لائحة الإرهاب ليس لهم تهمة إلا الكفاءة العلمية، فكان مصيرهم أما القتل أو الاختطاف أو التهجير، فقد اغتيل حتى عام 2004م ما يزيد على 310 عالماً في ظروف غامضة، وهاجر أكثر من 17 ألف من أفضل الكفاءات العلمية على مستوى العالم، ومن اختطف منهم لا بد أن يدفع أهله فدية مالية عالية جداً لخلاصه.

ولا يمكن لأي إنسان أن يتصور ما أورده مراسل مفكرة الإسلام عندما ذكر بأنه تم احتجاز 319 عالماً ودكتوراً وأستاذاً في ساحة رياضية، حيث طلب من كل واحد منهم أن يكتب كلمة كلب باللغة الإنجليزية على يافطة يعلقها على ظهره، كي يتم ترقيمهم كالسجناء، وتم وضعهم في صفوف، وأخذوا ينادونهم كلب 1، أو كلب 2، أو كلب 3 والتهمة الأساسية هي الكفاءة العلمية¹.

ونتيجة لهذا الحصار والإرهاب الاقتصادي الظالم انخفضت قيمة العملة العراقية، مما أدى إلى زيادة الفقر والجوع والهجرة إلى مختلف أنحاء الدنيا، وغصت شوارع البلاد العربية بالنساء العراقيات اللواتي يفترشن الأرض ويلتحنن السماء، بل إن الجوع والفقر والعوز جعل بعض النساء يمارسن البغاء لإطعام أطفالهن. ولم تستيقظ ضمائر المجتمعات الغربية التي تنادي بحق الإنسان والنساء والطفولة في الحياة الكريمة. ويقول (بيلجر) معلقاً على النوايا الحقيقية لأمريكا: "مخطئ من ظن يوماً أن هدف أمريكا من حربها على أفغانستان هو قتل رجل في مغارة، بل هي للسيطرة على مقدرات الشعوب الأخرى لتصب في الخزينة الأمريكية، وما هذه الجيوش إلا وسيلة لتنفيذ سياستها"² ومع ذلك تدعي أمريكا أن الحرب على العراق حرباً نظيفة³.

وهكذا أصبح واضحاً لدينا أن الكفار لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فكلهم يرمون المسلمين عن قوس واحدة، وملة الكفر واحدة، فما فعلته روسيا في القرم هو ما صنعه أمريكا في العراق وأفغانستان، وما فعلته فرنسا في شمال أفريقيا، هو ما صنعه إيطاليا في ليبيا، وكذلك بريطانيا في الهند وبلاد أخرى، والشرح والتفصيل في هذا الأمر يطول ولا ينتهي والمثال يكفي. فأمريكا تقول عن حربها ضد العراق

¹ غريب، حسن خليل، تدمير تراث العراق وتصفية علمائه، دار الطليعة - بيروت، ط 1، 2008م، ص 162، 163، 166.

² المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، الحرب الأمريكية على الإرهاب، دار التوزيع والنشر - فلسطين، بقلم: جون بيلجر، ص 156، 158.

³ عودة، بطرس عودة، المحاصرون في الواقع العربي، المكتبة الوطنية - عمان، ط 1، 1998م ص 162، 229.

"بأنها صليبية ومقدسة وبأنها كانت لتصحيح خطأ الرب" لأن الله جعل البترول في ارض المسلمين، وهذه الجيوش ما جاءت إلا للسيطرة عليه، والقس الشرير (مالتوس)¹ يقول من أجل أن نقضي على مشكلة الفقر والندرة النسبية في الموارد الطبيعية، وحتى تصبح المواد المنتجة كافية للبشر، فيجب التقليل من عددهم بواسطة الحروب والقتل والتجوع²، فهؤلاء الساسة الغربيون والأمريكان ليس لهم دين ولا مبدأ إلا المنفعة والربح بغض النظر عن الأسلوب الذي يتبع في تحقيقه، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة.

5 - ما فعلته فرنسا وبريطانيا في مصر:

عندما أرادت فرنسا فتح قناة السويس قامت بإغراق الحكومة المصرية بديون كبيرة، أدى إلى خضوعها سياسياً واقتصادياً لسياسة فرنسا، فقررت أن تمتلك نصيب الأسد من أرباح قناة السويس، فكان نصيبها 56 % من الأرباح، وكان "دي لسبس" الفرنسي في البداية قد أعطى الحكومة المصرية 1 % من الأرباح، ثم أعطاها 5 % عندما وافقت أن يكون وزير المالية في الحكومة المصرية فرنسياً ليضمن سداد ديون فرنسا من الضرائب المفروضة على المصريين.

وعندما أصبح عدد السفن البريطانية، أو التي تحمل العلم البريطاني التي تمر من القناة تزيد على 75 % من عدد السفن، نافست بريطانيا فرنسا في حصتها من الأرباح بينما كانت الحكومة المصرية تكثفي بالفتات، وكما قال الشاعر:

كالعيس في الصحراء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول³

وعندما أمم الرئيس عبد الناصر قناة السويس عام 1956م شنت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عدواناً ثلاثياً على مدن القناة لإعادة احتلالها، ولكنها انسحبت على الفور نتيجة الضغط الأمريكي والسوفيتي من جهة، والمقاومة الباسلة التي أبداهها الشعب المصري من جهة أخرى.¹

¹ مالتوس: توماس روبرت مالتوس، 1766-1824، باحث سكاني واقتصادي وسياسي، انجليزي الأصل، له نظرية عن التكاثر السكاني تفيد بأن الموارد الطبيعية لا تكفي حاجات الإنسان المتزايدة، لذلك يجب التقليل من عدد البشر بواسطة الحروب، فسمي القس مالتوس الشرير.

² زكي، رمزي، المشكلة السكانية وخرافة مالتوس، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ط1، مقدمة الكتاب.

³ من ديوان الشاعر: موسى بن جابر بن الأرقم، حنفي نصراني يمامي جاهلي يعرف بابن لبلى وابن الفريعة وأزريق اليمامة. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت، ط4، 1422هـ-2010م.

وهنا يرى الباحث كيف أن الكفار لا يتورعون أن يجيعوا الشعوب الضعيفة من أجل إشباع حكوماتهم وشركاتهم على حساب الأمم المقهورة، ولا يبالون بموت هذه الشعوب جوعاً ومخمصةً ومرضاً وجهلاً، فكانوا يغرقون هذه الحكومات بالديون غير المبررة ثم يستردّون هذه الأموال من لقمة الشعوب المغلوبة، ولو علم الناس كم هي أعداد العمال المصريين الذين ماتوا أثناء حفر قناة السويس، والتي ما زالت مجهولة العدد والمصير، فمنهم من مات تحت الأنقاض، ومنهم من مات من المرض، فلا طبيب ولا دواء، ولم يمت فيها فرنسي واحد، وكانت جثامينهم لا تصل إلى ذويهم، ولا يدفنون بطريقة شرعية²، ومع ذلك فأرباح القناة للمستعمر الكافر وليس لنا إلا الفتات المتساقط حول المائدة.

المطلب الثالث: الإرهاب الدبلوماسي.

تعريف الإرهاب الدبلوماسي: هو ما يتعرض له السفراء والرسول وموظفيهم وعوائلهم أثناء عملهم الدبلوماسي من أعمال قتل أو إهانة أو اختطاف وما يتعرض له سفاراتهم وممتلكاتهم من التدمير والمحاصرة من قبل الآخرين سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دول.

1 - إرهاب قريش لرسول الله وصحبه.

منذ أن بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أمره بالإنذار والبلاغ ودعوة الناس إلى الإسلام، فقال تعالى في كتابه ﴿ ذَلِكَ لِكَيْتَبَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾³، وقال تعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنْ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾⁴ وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾⁵ وكأنها المؤهلات التي يحتاج إليها كل داعية إلى الله سبحانه وتعالى من العمل الدؤوب الذي لا يعرف النوم والكسل وإنه لا بد من الإنذار والبلاغ في الليل والنهار والسر والعلن، وبكل الوسائل والأساليب المتوفرة.

¹ جلال، السيد حسين، مؤامرة مد إمتياز شركة قناة السويس، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، 1990م، د ط، ص 45، 72، 145

² الشناوي، عبد العزيز محمد، السخرة في حفر قناة السويس، دار المعارف، مصر، 1966، ط3، ص109.

³ سورة البقرة الآية 1-2

⁴ سورة آل عمران: الآية 159.

⁵ سورة النساء: الآية 63.

فوعى صلى الله عليه وسلم خطاب ربه فقال لزوجته خديجة "مضى عهد النوم يا خديجة"¹ وعندما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو أهل مكة إلى الإسلام، وجد منهم كل أساليب التكذيب والتكيل والتعذيب والتضليل والتشويه، بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن أو سورة من مثله. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾²

وأخذوا يواجهون الرسول صلى الله عليه وسلم بكل الوسائل الإرهابية التي يملكونها، فوصفوا النبي الكريم بالسحر والكذب والجنون: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾³

وعندما أمره الله تعالى بقوله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴ وقف على جبل الصفا ونادى أهل مكة بطنًا بطنًا، وقبيلة قبيلة، فلما اجتمعوا قال لهم: رأيتم لو أخبرتكم بأن خيلاً تريد أن تغير عليكم من خلف هذا الوادي أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما عهدنا عليك كذباً قط. فقال: فإني رسول الله اليكم بين يدي عذاب شديد، فقال: أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله سورة المسد التي تبين هلاكه وأهله وخسارتهم في الدنيا والآخرة ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۚ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ﴾⁵. وهكذا كان هذا الصدع فاصلاً بين سرية الدعوة وعلاقتها⁶، وعندما وعد أبو جهل بن هشام قومه بأن يلقي على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً أثناء سجوده عند الكعبة، حال الله تعالى بينه وبين مراده واحبط عمله، وحمل الله رسوله من الأذى فقال الله تعالى في شأنه: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ۚ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۚ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ۚ﴾⁷ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾

¹ قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق - القاهرة، ط 30، 1422هـ / 2001م، ج 6، ص 3744. الحديث ذكره سيد قطب في موضعين من ظلال القرآن (ج 1 ص 76) و (ج 6 ص 3744)، قال الشيخ علوي السقاف في تخريجه لأحاديث وآثار كتاب ظلال القرآن: "لم أجد بعد بحث طويل.

² سورة البقرة، الآية 23

³ سورة الحجر: الآية 6.

⁴ سورة الحجر: الآية 94.

⁵ سورة المسد.

⁶ أبو بكر العربي، القاضي محمد بن عبد الله، احكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 3، 1424هـ / 2003م، ج 4، ص 84.

⁷ سورة العلق، الآيتان 16-19.

وعندما وضع عقبة بن أبي معيط ثوباً حول عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يتلثل به حتى كاد أن يخنقه، فدفعهم الصديق "رضي الله عنه" عنه قائلاً: "اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله"¹ فانكبوا على الصديق ضرباً حتى لم يشك أحد بموته، وما نال أصحابه الكرام خير شاهد على هذا الإرهاب، ابتداء باستشهاد سمية وزوجها ياسر، وتعذيب عمار بن ياسر حتى نطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان²، والرسول صلى الله عليه وسلم يواسي آل ياسر بقوله "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة"³. وما تعرض له بلال بن رباح على يد أمية بن خلف، واستشهاد زهير على يد أبي جهل، وما تعرض له ابن مسعود عندما اسمع قريش القرآن فضربوه حتى اخضلت عينه، وما واجهه مصعب بن عمير من حرمانه من مال أمه بعد أن كان أجمل وأثمن أبناء مكة هنداماً⁴.

وأورد البغوي⁵ حال خباب بن الأرت وهو يكشف عن آثار كي النار على ظهره قائلاً: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستتصر لنا، ألا تدعو لنا ؟ فقال: "قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"⁶.

وهذا الصحابي صهيب الرومي رضي الله عنه يترك ماله لقريش من أجل أن تسمح له بالهجرة إلى المدينة المنورة، وما أن اكتحلت عيناه بروية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نال البشارة العظمى

¹ أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف - القاهرة، ط 4، 1977م، ج 2، ص 333.

² ابن الأثير الجزري، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية - القاهرة، 2003م، د ط، ج 4، ص 112/ الاصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتب العربي - بيروت، ج 1، ص 140

³ الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، باب ذكر مناقب عمار بن ياسر حديث رقم 5646، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، ط1، 1411هـ، دار الفكر - بيروت، ج 3، 433، وقال الألباني حديث حسن صحيح، فقه السيرة، محمد الغزالي، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط7، 1988م، دار القلم - دمشق، ص 103.

⁴ الكاندهولي، محمد يوسف، حياة الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت، د ط، ج 1، ص 242.. الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1419هـ/ 1998م، ج 18، ص 290.

⁵ البغوي، أبو محمد بن الحسن بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله وعثمان ضميرية، دار طيبة للنشر، ط 4، 1417هـ / 1997م / ج 3، ص 342.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإكراه 89، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 1، من حديث خباب بن الأرت، حديث رقم 6943، ج 4، ص 332.

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له: ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى¹ فيقول الراوي: أقبل صُهيَّب رضي الله عنه مهاجرًا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفرٌ من قريشٍ، ونزل عن راحلته وانتقل ما في كِنَانَتِهِ، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ قد علمتمُ أني من أركامكم رجلًا وإيمُ الله لا تصلونَ حتى أرميَ بكلِّ سهمٍ معي في كِنَانَتِي ثم أضربُ بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، ثم افعلوا ما سئَلْتُكم، وإن سئَلْتُكم على مالي بمكةَ وخَلَيْتُكم سبيلي، قالوا: نعم، ففعل، فلما قدِم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: "ربح البيعُ أبا يحيى، ربح البيعُ أبا يحيى"²

قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾³.

وان هجرة المسلمين الى الحبشة، وما واجهوه من مشاق وأخطار السفر وآلام الغربة، وكتابة أهل مكة صحيفة المقاطعة الظالمة، وحصار المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات عجاف، حتى سمعت أصوات بكاء أطفالهم من مكة جوعًا، وقيام كل قبيلة بتعذيب من اسلم من أبنائها الا دليل صارخ على ذلك الإرهاب الذي قل نظيره في التاريخ الإنساني، ولم تكتف قريش بتعذيب أبنائها من المسلمين، فقد أهانت وفد الحبشة الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، وخرجوا من عنده وأعينهم تفيض من الدمع مما سمعوا من الحق، وما لحق بابي ذر الغفاري وغيره عندما صدعا بإسلامهما في أندية قريش.⁴

¹ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1416هـ/1996م، ج 4، ص 262. الذهبي، تاريخ الإسلام، حققه شعيب الارناؤوط، ط 3، 1405هـ/1985م ج 2، ص 23.

² الحاكم، المستدرک على الصحيحين، في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب صهيبي بن سنان مولى رسول الله، رقم 5700، ج 3، ص 450، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي في أسباب النزول ص 34 للحارث بن أبي أسامة في مسنده ولابن أبي حاتم، من حديث سعيد بن المسيب مُرسلاً، وقال الشيخ مقبل الوادعي في "الصحيح المسند في أسباب النزول" ص 38: له طرق أخرى أغلبها مراسيل وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدلل على ثبوته.

³ سورة البقرة: الآية 207.

⁴ ابن كثير، الامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق: حامد احمد الطاهر دار الفجر للتراث - القاهرة، ط 2، 1431هـ-2010م، ج 3، ص 40.

الفصل الثاني

الدبلوماسية

المبحث الأول: مفهومها، وتعريفها، ونشأتها.

المطلب الأول: مفهومها وتعريفها.

المطلب الثاني: نشأة التاريخ الدبلوماسي.

المطلب الثالث: الدبلوماسية عند الأمم الماضية.

1. الدبلوماسية في الهند القديمة والصين.

2. الدبلوماسية عند اليونان.

3. الدبلوماسية عند الرومان.

4. الدبلوماسية في وادي النيل والفرات.

5. الدبلوماسية في الجاهلية.

المبحث الثاني: أقسام الدبلوماسية.

المطلب الأول: الدبلوماسية القومية.

المطلب الثاني: الدبلوماسية الإسلامية.

المطلب الثالث: خصائص الدبلوماسية الإسلامية.

المطلب الرابع: الحصانات التي وفرها الإسلام للسفراء.

الفصل الثاني: الدبلوماسية.

المبحث الأول: مفهومها وتعريفها وتاريخها.

المطلب الأول: مفهومها وتعريفها.

للدبلوماسية مفاهيم عدة: فهي تطلق على اللباقة في التعامل مع الآخرين، أو المفاوضة على أرض أو حدود بين الدول، أو الاتفاق على المشاريع الاقتصادية المتنافسة والمتكاملة.

وتطلق على رجل السياسة الذي يقوم بمهمة الشؤون الخارجية للدولة، وكذلك تطلق على كل طبع أو موهبة أو مهارة أو كياسة في تسيير أمور الأفراد أو الجماعات أو الدول، وتطلق أحيانا على الدهاء بمفهومه السلبي الذي يتعلق بالمكر والخداع والغموض، فيقال عمن يتصف بهذه الصفات بأنه دبلوماسي.¹

وتعود لفظة الدبلوماسي بأصل اشتقاقها إلى اللغة اليونانية من اسم دبلوماسي diploma والتي تشتق منه كلمة دبلوم diplomé والتي كانت تطلق على الوثيقة الرسمية التي يصدرها أصحاب السلطة ويتمتع حاملها بمزايا معينة، فتسهل له الوصول إلى الأطراف المتخاصمة والمختلفة بدون أن يتعرض هؤلاء لأي حوائل وموانع.

- وتكون هذه الوثيقة مختومة وكأنها جواز سفر للمبعوثين على صفائح معدنية ذات وجهين، ومخاطة بطريقة خاصة، ثم تطورت إلى وثائق رسمية أخرى غير معدنية، ثم أطلق على الرسالة التي تبعث من شخص لآخر.

- وتكون مطوية ومصدق عليها بطريقة خاصة تحفظ عند أطراف المراسلة - المحفوظات وسجل المعاهدات، وظل الأمر على هذا الحال حتى وقعت اتفاقية عام 1915 م بعد مؤتمر فيينا.² ويخلص أبو عباة في كتابة الدبلوماسية، بأنها لفظة مشتقة من اليونانية (دبلوما) ومعناها الوثيقة أو الشهادة الرسمية التي تطوى على نفسها، وتصدر عن صاحب السلطة العليا في البلاد، وتخول صاحبها امتيازات خاصة، ثم اتسع مفهومها ليشمل الأوراق والوثائق الرسمية والاتفاقيات التي أبرمتها الدولة الرومانية مع القبائل والمجتمعات الأجنبية.³

¹ السير هارولد نيكسون، الدبلوماسية، دارالشماء للنشر والتوزيع، ترجمة وتعليق محمد مختار، مكتبة الانجلو-المصرية سنة 1957م، ص44.

² الشامي، علي حسين، الدبلوماسية، دار الثقافة للنشر، عمان، ط 5، 1432هـ، 2011م، ص27-29.

³ أبو عباة، سعيد محمد، الدبلوماسية، دار الشماء للنشر والتوزيع، ط 1، 1430هـ - 2009م، ص11-12.

وقد استخدم العلماء المسلمون الأجلاء كلمة أخرى تحمل نفس المضمون وهي كتب (السير) مثل السير الكبير للشيباني، وكتاب (الخراج) لأبي يوسف إذ يقول: إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملككم وهذا كتابه معي، وما معي من دواب ورقيق ومتاع فهدية للملك، فإنه يصدق ولا سبيل إليه.¹

إلا أن مصطلح السير في الفقه الإسلامي أوسع بكثير من مصطلح الدبلوماسية عند الأمم الأخرى.

فالسير: تعني إدارة سياسة الدولة الداخلية والخارجية، بينما تعني الدبلوماسية إدارة سياسة الدولة الخارجية.

وإذا كان القانون الدولي ينظم العلاقات الدولية في وقتي السلم والحرب، فإن فقهاء الشريعة أطلقوا على هذه القواعد "السير والمغازي".

فالسير: تلك القواعد التي تنظم العلاقات في وقت السلم، أما المغازي: فهي القواعد التي تنظم العلاقات في وقت الحرب.²

وكانت كلمة سفارة تستخدم عند العرب بمعنى الرسالة؛ أي: التوجيه والانطلاق إلى القوم بغية التفاوض معهم، والسفير: هو الذي يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين.³

وعند الفرنسيين: فإن كلمة سفير هو لقب يمنح فقط لممثلي الملوك والرؤساء إلى نظرائهم، وأما الإسبان فكانوا أول من استخدم كلمة سفارة وسفير بعد نقلها عن التعبير الكنسي بمعنى الخادم، وamlbssy بمعنى السفارة.⁴

وهكذا نرى أن كلمة الدبلوماسية استخدمت عند العرب مثلاً استخدمت عند اليونان والفرنسيين والرومان بمعنى واحد له أصوله وقواعده، واختلاف المفهوم نابع من الاختلاف في توصيف طبيعة العمل الدبلوماسي وكونها بالغة الاتساع والتعقيد لا يمكن الإحاطة بها إلا أنه لا يجوز أن يغيب عن

¹ السرخسي، محمد بن أحمد، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات - القاهرة 1971م، ج 1، ص 296

² الفتلاوي، د حسين، الدبلوماسية، دار وائل للنشر - عمان، 2010م، ط 1، ص 18.

³ المحمصاني، صبحي، تراث الخلفاء الراشدين، دار العلم للملايين، بيروت 1984م، ص 574

⁴ الشامي، الدبلوماسية، ص 32.

أذهاننا أن الدولة الإسلامية كانت تتعامل مع الدول الأخرى على أساس الإسلام، مقسمة الديار إلى ثلاثة أقسام: دار الإسلام، ودار العهد ودار الحرب.

وهذا بحكم الواقع الذي تتبدل به دار الإسلام اتساعاً وانحساراً، وقوة وضعفاً، لأن دار الإسلام ليس لها حدود ثابتة ما دام الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة.¹

وظلت علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى تتراوح بين الحرب والموادعة والمسالمة، وكانت علاقاتها الدبلوماسية تتخذ طابع السفارة المؤقتة، أو الدائمة.

وبقي هذا الحال حتى عام 1919م حيث انتهت الحرب العالمية الأولى، وقد قسمت الدولة العثمانية إلى دويلات عديدة، فعقدت الدول الأوروبية المنتصرة "معاهدة فرساي" التي تمخضت عن إنشاء أول تجمع دولي أطلق عليه "عصبة الأمم"، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945م عقدت اتفاقية "سان فرانسيسكو" التي تبلورت فيها هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها، التي حلت محل عصبة الأمم².

وقد أخذ التمثيل الدبلوماسي معناه الحديث، وقوانينه المتعارف عليها، كالسفارة والسفير والقنصل والمبعوث الخاص، وواجبات كل موظف وحقوقه المتعارف عليها حسب القانون الدولي الجديد، وأصبح المسلمون يحتكمون لهذه الدائرة الأممية وقوانينها سواء وافقت الإسلام أم خالفتها.

وعندما عرّيت اتفاقية فينا عام 1961م لم يعرّب هذا المصطلح، وإنما استخدم المصطلح الغربي "الدبلوماسية" وأصبح متداولاً بين الدول العربية والإسلامية.³

وكان من أبرز تعاريفها:

1- عرفها الهنود منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة بأنها "القدرة على إثارة الحرب، وتأكيد السلام بين الناس"

2- وقال معاوية رضي الله عنه فقال: "لو أن بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها، فإن شذوها أرخيتها وإن أرخوها شددتها".

3- أما ارنستوساتو فقال: بأنها (استخدام الذكاء والكياسة في العلاقات الدولية).

¹ السوقي، محمد، كتاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ط 1، دار الثقافة - الدوحة، 1407هـ - 1987م ص 326.

² نفس المصدر: ص. 327.

³ الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، ص 17

4- أما هنري كيسنجر: فيرى أن الدبلوماسية (هي تكيف الاختلافات بين الدول من خلال المفاوضات)

5- أما د. حسين الصعب: فيرى أن الدبلوماسية علم وفن وقانون وتاريخ ومؤسسة ومهنة.

6- أما د. هيثم توفيق: فخلص إلى أن الدبلوماسية هي علم وفن، وتمثيل للدول والمفاوضة.

وهذه التعاريف ظهرت في مراحل تاريخية مختلفة يمكن تسميتها (مراحل تطور الدبلوماسية) فكان الاسبان أول من استخدم كلمة (سفارة وسفير) بعدما نقلوها عن التعبير الكنسي¹.

أما العرب فقد استخدموا كلمتين للتعبير عن النشاط الدبلوماسي وهما:

(أ) كلمة (كتاب) وهي الوثيقة التي يتبادلها أصحاب السلطة فيما بينهم وتمنح حاملها الحماية والأمان والحصانة

(ب) والى جانب ذلك استخدمت كلمة (سفارة) من سفر أو أسفر بين القوم إذا أصلح بينهم².

وكل هذه التعريفات تكاد أن تلتقي في مضمونها على أن الدبلوماسية هي علم وفن، وتراكم للمعلومات التي تتصف بالحكمة والأمثال، والحيلة والدهاء، وحسن المفاوضة في كسب الأصدقاء وتأليف الأعداء، وزرع الفتن بين الأصدقاء.

ومنها من لا يلتزم بأية ضوابط ولا قوانين ولا مبادئ، فلا يبالي في سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل، لتحقيق طموحاته التي تجلب له الخير على حساب السوء للآخرين، كما قال ميكافلي في كتابه الذي ظهر عام 1513م، "لا محل للأخذ بقواعد الأخلاق في أمور الدول" وهذا ما جعل حكام أوروبا في منتهى القسوة والهمجية في حروبهم.

مما حدا بالعالم الهولندي (جروتوس) أن يهاجمه بشدة في كتاب ألفه سنة 1625م سماه "قانون الحرب والسلم" الذي التزمته الدول الأوروبية قرنين من الزمان، واعتبر مؤلفه أبو القانون الدولي، وارتبط اسم "جروتوس" بنشأة هذا العلم³.

¹ فياض، هيثم، الدبلوماسية المساومة القسرية والسياسة الدولية، دار دجلة، عمان، ط(1) سنة 2013 م، ص 10.

² المصدر نفسه، ص 113.

³ الدسوقي، محمد، كتاب الإمام محمد بن الحسن وأثره في الفقه الاسلامي، ص 315- 316

ومنها من يلتزم بالضوابط والقوانين والمبادئ الشرعية، ونشر الخير والسلام والرحمة، وتبليغ شرع الله إلى العباد، لا يقتل أسيراً ولا يجهز على جريح، ولا يروّع عسيفاً ولا أجيراً، وغالباً ما يجعل خيار الحرب آخر الخيارات.

وهذه سير الأنبياء والخلفاء خير شاهد على ذلك كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "انطلقوا بأسم الله في سبيل الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلّوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا ولا تفسدوا، إن الله يحب المحسنين"¹.

ويرى د. عكاوي أن الدبلوماسية: هي فن إدارة المفاوضات، وعقد الاتفاقيات بين الدول، أما في المعنى الشامل فإن الدبلوماسية: هي النشاط الرسمي للدوائر الحكومية في مجال الاتصالات الخارجية لإنجازها بالطرق السلمية المنصوص عليها في القانون الدولي.

وتقسم إلى دبلوماسية سرية: تجري بالخفاء وتكتّم نتائجها عن الغير حتى ولو كانوا من رعايا الدول.

والدبلوماسية العلنية: تتضح نتائجها حتى ولو جرت المفاوضات بصورة غير مباشرة²

ومن خلال ما تقدّم يرى الباحث أن تعريف الدبلوماسية يكاد أن يكون واحداً عند الجميع، وإن اختلفت العبارات والكلمات، إلا أن المضامين واحدة، وهي فن إدارة المفاوضات والمراسلات بين الأشخاص والدول، لتحقيق مصالح ومكاسب تعجز عن تحقيقها الجيوش، وتجلب الخير والأمن والسلام للناس بدون إراقة للدماء وقتل للأرواح والأبرياء.

إلا أن الاختلاف بين هذه التعاريف نلمسه في عقيدة وفلسفة كل دولة، فهناك دول شعارها: الغاية تبرر الوسيلة، فلا يوجد عندها قواعد أخلاقية أو دينية ولا ضوابط إنسانية، فكل مفعول جائز، وأما الإسلام العظيم ودوله المتعاقبة على مر التاريخ فشعارها: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾³ فالوفاء واجب شرعي مع المسلمين وغيرهم على حد سواء، وهو قربى إلى الله سبحانه وتعالى، "فالغاية

¹ أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين (90)، حديث رقم 2616، ج 2 ص 342، وقال الألباني ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني، رقم الحديث (2614)، ج 6، ص 114.

² عكاوي، ديب، دولة فلسطين والقانون الدبلوماسي الدولي، مؤسسة الاسوار، عكا، سنة 1991م، ص 12.

³ سورة المائدة، الآية 1.

لا تبرر الوساطة أو الوسيلة، لأن الطريقة من جنس الفكرة فلا يتوصل للحلال إلا بالحلال"، وهذا ما يفسر لنا دخول الإسلام إلى بلاد كثيرة، بدون أن ترى جيوش المسلمين وعساكرهم وسيوفهم.¹

المطلب الثاني: نشأة التاريخ الدبلوماسي.

لا شك أن بداية العمل الدبلوماسي والسفارة بين الشعوب والقبائل والأمم، قديمة قدم الإنسان على الأرض، فمنذ وجدت الأسرة والقبيلة والجماعات البشرية، نتج عن هذه التجمعات علاقات اقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية، وكان لا بد لهذه العلاقات من تواصل وتفاهم وتفاوض من أجل توفير سبل العيش الكريم وإشاعة الأمن والسلام ومنع الحروب بينهم.

فالجماعات الإنسانية المتمثلة بالقبائل الأولى، كانت تنشب بينها خصومات عديدة، لا تجد لها حلاً إلا على يد هؤلاء السفراء والمبعوثين، فيمشي السفراء والمبعوثون بين المتخاصمين يوطّدون الأمن والسلام، مفضّلين التسوية والسلام بدل النزاع والحروب، فيتقاسمون الينابيع والمراعي، ويتفقون على وسم الحيوانات وسمًا يدل على أن ملكيتها تعود لهذه القبيلة أو تلك، ويصبح عرفًا عامًا يجب أن يحترم ويصان. وكان استقبال السفراء يضيف جواً من الود والاحترام الذي يؤدي إلى تحقيق طموح الفريقين المتخاصمين.

وقد حظي السفراء بين القبائل العربية بمكانة تفوق مكانة شيخ العشيرة وسيدها باعتبارهم رمز الهدوء والسلام والحكمة، وقد شاع ذكرهم على كل لسان، منهم أكتف بن صيفي، وحاجب بن زرارة والحارث البكري وعبد المطلب بن هاشم، وعمر بن الخطاب الذي كان بمثابة آخر وزير خارجية لقريش قبل الإسلام.

ووضع هؤلاء قواعد دبلوماسية رفيعة قائمة على الفضيلة والأخلاق لا تزال موضع تقدير واحترام حتى يومنا هذا، فكان العرب يعتبرونهم رسل خير ومفاتيح فرج.²

ولا نستطيع أن نغفل السفارة عند العرب قبل الإسلام، مثل سفارة عبد المطلب إلى أبرهة الأشرم وهو على أبواب مكة على رأس جيشه، يريد أن يقترب أكبر جريمة في التاريخ البشري طالباً منه أن يتخلى

¹ الزين، سميح عاطف، الإسلام وثقافة الإنسان، دار الكتاب اللبناني _ بيروت، ط 7، 1401هـ، ص 691.

² الفتاوي، الحصانة الدبلوماسية، ص 11، 23.

عن جريمته، محذراً إياه أن للبيت رباً يحميه، فرفض أبرهة ما عرضه عبد المطلب ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وسفارة عبد المطلب إلى (سيف بن ذي يزن) لتهنئته بالملك بعد هلاك أبرهة، وسفارة عمرو بن العاص من قبل قريش إلى النجاشي لإقناعه بطرد المسلمين المهاجرين إلى بلاده¹.

وقد عقدت قبائل مكة أحلافاً عدة سجلها التاريخ مثل:

1- حلف الفضول: الذي لم يبق مظلوماً في مكة إلا نصره.

2- حلف المطيبين: الذي قسم الوظائف الإدارية والدينية في مكة على بطون قبائلها بدون نزاع.

3- أحلاف الموادعة والمساندة: يتعاونون في حالتي الحرب والسلم، في المغنم والمغرم².

ثم جاء الإسلام دين عالمي للبشرية، تبليغه للناس فريضة شرعية، من أجلها بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال: "... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة"³ مستجيباً لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁴

فكانت الدعوة إلى الله عنوان التواصل بين البشر حتى تتحقق عالمية الإسلام، فدخلت في الإسلام شعوب متعددة الأعراق والألوان واللغات، وانصهرت في بوتقته، مشكلة أمة واحدة عاشت بينها طوائف وأقليات أخرى لسان حالهم يقول للمسلمين: أنتم أحب إلينا من أبناء ديننا وأعدل.⁵

¹ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 4، ص 211.

² الصالح، سبيل الهدى والرشاد، مكتبة المدينة المنورة، ج 1، ص 9.

³ البخاري، صحيح البخاري، في كتاب التيمم 7، باب رقم 1، عن جابر بن عبد الله حديث رقم 335، ج 1، ص 95، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، عن جابر أيضاً، حديث رقم 1163.

⁴ سورة الأعراف: الآية، 158.

⁵ طيب الله، مولانا محمد، الإسلام والسلام، ترجمة: محمد عبد الفتاح، مطبعة الأنجلو - المصرية، سنة 1960م، ص 24

وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل و السفراء إلى الملوك والحكام وشيوخ العشائر، وعقد المعاهدات وتبادل الهدايا مع من أحسن استقبال رسله، وحارب من اعتدى عليهم، واحترم السفراء الوافدين عليه وأكرمهم، واقتدى به الخلفاء من بعده.

وكانت العلاقات بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى تسير على قاعدة أحكام دار الإسلام ودار الكفر، "امتثالاً للتكليف الرباني للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ولمن ولي أمرهم في تبليغ شرع الله إلى العباد"¹، إلى أن شاركت الدولة العثمانية في أواخر عهدها في المؤسسات الدولية الحديثة كما سيأتي مفصلاً في الفصول القادمة:

وأما عند غير المسلمين فقد تحدثت المصادر التاريخية بشكل تقريبي عن بدء الدبلوماسية المدونة والمكتوبة والموثقة على الشكل الآتي:

1 - كانت عند الفراعنة فترجع أول دبلوماسية موثقة إلى معاهدة "قادش" في القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عام (1278 ق م)، فهي أقدم وثيقة مكتوبة في تاريخ القانون الدولي.²

2 - وكانت الصينيون فترجع الدبلوماسية عندهم إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث دعا كنفوشيوس إلى تحسين عملية اختيار الرسل ليكونوا على أرفع مستوى علمي وثقافي يليق بممثل لبلاده عند الآخرين.³

3 - وأما بداية السفارة بين الهند وجاراتها ترجع الى عام (395) ق، م، عندما وصل السفير اليوناني إلى الهند في مهمة طلب فيها تحويل الطريق التجاري البحري الذي كان عبر البحر الأحمر، إلى الطريق البري عبر إيران والعراق والشام.⁴

4 - وفي بلاد الرافدين كانت شريعة حمورابي ودولته، قد تعاملت دبلوماسياً مع الدول المجاورة، وكان نظام البريد الذي اخترعه خير وسيلة لمعرفة أخبار جيرانهم من الأمم الأخرى.⁵

¹ العمري، عيسى صالح، دور المعاهدات في حكم العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، مطبعة الشعب - اريد، د ط، 2005م، ص 34

² أبو هيف، علي صادق، القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف - الإسكندرية، ط 3، 1975م، ص 73

³ أبو عباه، الدبلوماسية، ص 24/23.

⁴ البيروني، أبو الريحان محمد احمد، القانون المسعودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م، ج 1، ص 63.

⁵ منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين والقضية الفلسطينية، ط 3، 2007م، ص 91.

5 - وفي إيطاليا فإن الخطوة الأولى في الدبلوماسية الإيطالية ترجع إلى الدبلوماسية البابوية - إلى الكرسي البابوي، وخاصة دبلوماسية المدن الإيطالية التجارية مثل البندقية.¹

وقد نضجت هذه الدبلوماسية عند الأمم بعد التجارب التي مرت بها كل أمة بعينها، من حيث القوة والضعف، والازدهار والانحدار، وأيقنت كل أمة أنها لا تستغني عن غيرها من الأمم وأن القوة العسكرية وحدها لا تكفي، وأنه لا بد من التلاقي على قواسم مشتركة تحتكم إليها عند كل خلاف، فأخذت الدبلوماسية تتخذ طابعاً مؤسسياً مر بالمراحل التالية:

1 - مرحلة البعثات الدبلوماسية المؤقتة: وكانت بدايتها من سنة 476م - 1475م، وذلك بعد ضعف الدولة الرومانية، وإدراكها بأن الحل العسكري لوحده لا يكفي.

2 - مرحلة البعثات الدائمة: والتي امتدت ما بين 1475م - 1815م، وكان من عوامل وجودها تحجيم دور الكنيسة في أوروبا، وفصل الدين عن الدولة، وانحسار النفوذ الديني، بالإضافة إلى اكتشاف القارة الأمريكية، واحتدام الصراع الإنجليزي الفرنسي على الوطن العربي، وحصول فرنسا على بعض الامتيازات من الدولة العثمانية على إثر المعاهدة التي عقدت بينهما عام 1535م.

3 - مرحلة الاستقرار الدبلوماسي: وامتدت بين عامي 1815م - 1914م، وقد بلور مؤتمر فيينا عام 1815م تنظيم المبادئ الدبلوماسية دولياً، نتيجة التنافس الاستعماري على اقتسام العالم، فكان لا بد من دبلوماسية فذة لها مؤسسات تحتكم إليها الدول عند الاختلاف.

4 - مرحلة تطور القواعد الدبلوماسية: وقد بدأ ظهورها بعد الحرب العالمية الأولى، ووجود عصبية الأمم المتحدة، ثم هيئة الأمم المتحدة، متزامناً تقريباً مع ظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عسكرية فاعلة على المسرح الدولي، فخرجت العلاقات الدولية من عزلتها الأوروبية لتشمل دول العالم بكامله، فزادت أعداد البعثات الدبلوماسية كما وكيفاً.²

وقد اهتمت الأمم المتحدة بعد أن أنشأت عام 1945م بموضوع الدبلوماسية من أجل تطوير العمل الدبلوماسي ليتلائم مع التغيرات الدولية، فعقدت الدول الأعضاء مؤتمراً دولياً عام 1961م في فيينا

¹ الشامي، الدبلوماسية، ص 57.

² الفتلاوي، الحصانة الدبلوماسية، ص 46 - 51.

بالنمسا، وكان من قراراته اتفاقية دوليه تنظم العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين الدول الأعضاء في هيئة الامم المتحدة.¹

وخلص القول التي يراها الباحث في تاريخ الدبلوماسية عند الهنود والصينيين والفراعنة والأشوريين والإغريق واليونان والرومان والعرب وغيرهم من الأمم، هي أقدم مما ذكر بكثير، إلا أن الباحثين قد نقلوا لنا ما وجدوه مدونًا من مراسلات هذه الأمم على ألواح صلصالية أو نحاسية أو ذهبية تمكنوا من الوصول إليها.

وإن الخوض في مسالة بداية الدبلوماسية عند الشعوب بشكل دقيق لا يمكن حصره بزمان من الأزمان، أو كيفية من الكيفيات.

ولكن القاسم المشترك في هذا الموضوع، أنها وجدت منذ أوجد الله سبحانه وتعالى الخليقة على هذه الأرض، وأنها أقدم علوم الدنيا ممارسة وتطبيقًا.

فكل دبلوماسية عند كل أمة من الأمم وليدة زمانها ومن صنيع رجالها، وتتخذ أساليب ووسائل تتلاءم مع ذلك الزمان والمكان، ما دامت محققة لأهدافها التي تبعد شبح الحروب والاقتتال، وتنتشر السلام والمودة بين الشعوب والأمم.

وليس أدلّ على ذلك من قصة سليمان عليه السلام والهدد، الذي غاب مرة بدون إذن سليمان، مما حدا بسليمان عليه السلام أن يتوعد الهدد بالذبح أو العذاب إن لم يأت بعذر واضح، فجاء الهدد وأخبر سليمان عليه السلام بأنه وجد قومًا يعبدون الشمس من دون الله تعالى، ووجد امرأة تملكهم ولها عرش عظيم. فقام سليمان عليه الصلاة والسلام بإرسال الهدد برسالة لتحقيق غرضين:

أولاهما: التحقق من صدق الهدد لقوله تعالى على لسان سليمان ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾².

¹ الشامى، الدبلوماسية، ص 131.

² سورة النمل، الآية: 27.

وثانيهما: دعوة الملكة وقومها لدين الله سبحانه وتعالى.

حمل الهدد الكتاب وألقاه على بلقيس، فجمعت مستشاريها وأخبرتهم بالكتاب، ووصف الكتاب بأنه كريم ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتَوِيَ سُُلَيْمَانَ﴾¹ فالكتاب مختوم بختم سليمان، واسم المرسل واضح: إنه من سليمان النبي والملك، ومضمون الكتاب لا يعتريه لبس ولا غموض، ولا يقبل التأجيل أو التراخي ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين، فجمعت بلقيس مستشاريها وشاورتهم بالأمر، وأخبرتهم بأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، وإنها تميل إلى السلام وتبادل الهدايا وحسن الجوار.

وفوض المستشارون الأمر إلى بلقيس فهي صاحبة القرار في ذلك، فأرسلت سفراءها محملين بالهدايا والعطايا ليستكشفوا نوايا سليمان وقوة مملكته، فكان الرد من سليمان واضحاً وجلياً ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾² فرد الهدايا وطلب منهم أن يخبروها بضرورة الحضور على وجه السرعة وإلا جاءها بجيش لا قبل لها به.. فجاءت وزعماء قومها من اليمن إلى فلسطين.

وعندما علم سليمان بقرب وصولها أرسل من كان عنده علم من الكتاب وكان وزيراً صالحاً لسليمان ليأتي بعرشها، ووضع العرش في قصر أعده سليمان لها، وعندما شاهدت عظمة دولة سليمان وكرمه وحسن استقباله وضيافته أسلمت في الحال لله رب العالمين، وانتهت هذه العملية الدبلوماسية التي قام بها الهدد بقدم بلقيس وإسلامها مع سليمان لله رب العالمين، وضم سليمان مملكتها إلى مملكته، ورجح بعض أهل العلم زواجها من سليمان أو أحد مستشاريه، فكانت عملية دبلوماسية ناجحة نجاحاً منقطع النظير أدت إلى إسلام ملكة وشعبها، بل لزواج ميمون بين ملكين، ووحدة بين دولتين بدون أن تراق قطرة دم واحدة، حتى قال بعض أهل العلم: لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان. وقال ابن الفراء³ "ما نعرف رسولاً ألطف ولا كتاباً أوجز من هدد سليمان وكتابه"⁴.

¹ سورة النمل، الآيتان: 30/31

² سورة النمل، الآية: 36.

³ ابن الفراء، أبو الحسن ابن محمد، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1392هـ-1972، ص49.

⁴ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 25/26. انظر الطبري، أبو جعفر بن جرير، صحيح تاريخ الطبري، دار بن كثير للطباعة والنشر، دمشق وبيروت، ط 1، 1428هـ/2007م، ج 1، ص 359.

المطلب الثالث: الدبلوماسية عند الأمم الماضية.

1. الدبلوماسية في الهند القديمة والصين:

لا شك أننا نلمس هذه الدبلوماسية والحصانة عند الهنود في كتبهم المقدسة وخاصة كتابي (الفيدا والمانوا) وكتاب (قانون مانو) التي تتضمن بعض القواعد الخاصة بالعلاقات والسياسة الخارجية، والسفراء وشؤون الحكم والسلطان، وقد تحدثت هذه الكتب عن كيفية اختيار الرسل والسفراء وصفاتهم، وأنه لا بد أن يكون عندهم إلمام واسع بالقواعد والمعارف الدينية، والجغرافية المكانية والسكانية، وعلم الأنساب، والتمتع بالاستقامة والشجاعة والفصاحة، ويعتمد على السفراء اعتمادًا تامًا في حالتي السلم والحرب، بل إن المادة (65) في (قانون مانو) تقول: بأن الحرب والسلم يعتمدان على السفير.

وتقول المادة (66) "بأن السفير هو الذي يقرب الأعداء ويوقع الخلاف بين الحلفاء"¹ ومما هو معلوم في الحضارة الهندية بأن الهنود كانت نظرتهم إلى الأجانب نظرة عدا وريبة، مما جعل محاربتهم أمرًا واجبًا، لذلك ركّزوا نشاطهم الدبلوماسي على التجسس واستقصاء المعلومات عن الشعوب الأخرى، فكان لا بد أن يكون السفراء والمبعوثين من النخب الطيبة ذات الشرف الرفيع، والقدرة العالية، والذكاء المميز، والتمتع بالفراسة العالية التي تكشف مكنون الكلمات وحركات الوجوه، وقد تتضمن قانون (مانو) توصيات بوجوب معالجة الجرحى من كلا الفريقين المتخاصمين على حد سواء².

ويقول البيروني عن السفارة بين الهند وجاراتها في عام (395) ق. م، بأن السفير اليوناني الذي بعثه (سلوكس الأول) إلى مؤسس دولة (الموريا) بعد جلاء (الإسكندر) عن الهند كانت مهمته أن يطلب من الهند تحويل مجرى التجارة الهندية من الطريق البحري الذي يؤدي إلى البحر الأحمر فمصر إلى الطريق البري عبر إيران والعراق والشام التي كانت خاضعة له.³

أما الصينيون فقد اهتموا بالعمل الدبلوماسي، وأقاموا علاقات مختلفة مع الدول المجاورة، وكانت تعليماتهم للسفراء دقيقة وصارمة، واهتموا بجمع واستقصاء المعلومات عن غيرهم من الدول، وقد دعا كونفوشيوس الفيلسوف في القرن السادس قبل الميلاد إلى اختيار الرسل والمبعوثين والسفراء ممن يتحلون بالفضيلة والكفاية ليكونوا ممثلين لدولهم على المستوى الدولي. وفضّل الفيلسوف الصيني

¹ طشطوش، هایل عبد المولى، مقدمة في العلاقات الدولية، طبع عام 2010 م، جامعة اليرموك، ص 15

² أبو عياه، الدبلوماسية، ص 23-24.

³ البيروني، القانون المسعودي، ج 1، ص 63.

"كوانج سينغ" اللجوء إلى استخدام الوسائل السلمية على الوسائل العسكرية في حل النزاعات، داعياً الدولة إلى تخصيص ثلثي ميزانيتها للإنفاق على الاتصالات السياسية، والبعثات الدبلوماسية.¹

2. الدبلوماسية عند اليونان (الإغريق).

كان لظهور الفلاسفة الكبار في بلاد اليونان وظهور قائد كبير هو (الإسكندر المقدوني) الذي وحد بلاد كثيرة تحت رايته في دولة واحدة، دلّ على وجود عمل دبلوماسي أوجبه ذلك الاتّساع السياسي والعسكري والجغرافي والفكري لتلك الدولة المترامية الأطراف.

وكان النشاط الدبلوماسي قد بلغ ذروته في تلك الحضارة العريقة، وقد تميزت أساليب الدبلوماسية وممارستها في عهد الإغريق بثلاث مراحل هي:

1. مرحلة المنادين أو (حملة الأعلام البيضاء)، وقد اكتسبوا صفة دينية تجعلهم موضع احترام المتحاربين باعتبارهم ممثلين للآلهة.

2. مرحلة الخطباء: وهي أعلى مستوى من مرحلة المنادين، وكان المبعوث فيها لا بد أن يكون من الخطباء والفلاسفة والحكماء.

3. مرحلة ازدهار حضارة دولة المدنية: حيث اعتمدت على وسائل ثابتة في مجال السلم والحرب وعلى وسائل اتصال وتبادل معلومات تلبي الرغبة في السلم والحرب، وكان أسلوب السفير المؤقت هو المعمول به عندهم، وكان السفراء يحملون تصريحاً للسفر والانتقال مما يضمن لهم حسن الضيافة والاستقبال، وكان يوفر للسفير كل ما يتعلق بتكاليف النفقة أثناء السفر والإقامة على أكمل وجه.

وكان السفراء لا يخضعون لقانون الدولة المضيفة، بل لقوانين بلادهم، وبلغت حصانة السفراء أن يتمتعوا بحماية الآلهة، وكثيراً ما كانت تقوم الحروب بسبب انتهاك حرمة السفراء، وحرّم عند الإغريق على السفراء أن يأخذوا الهدايا والهبات أثناء القيام بمهامهم الرسمية، وانبثق في زمن اليونان (مبدأ

¹ أبو عباد، الدبلوماسية، ص، 26.

التسوية) وهو التراضي والمصالحة وقبول الحلول الوسط، بدل النزاع والحرب وإيقاف الأعمال العدائية والهدنة المحلية والمؤقتة.

وكان عقد الصلح والسلم بالنسبة للإغريق أقرب الاستخدامات والأسماء المحببة للقلوب، وهم أول من اتخذ غصن الزيتون علامة للسلام، ولا يغيب عن بال كل واحد منا أن لفظة الفعل (دبلوم) مشتقة من اللغة الإغريقية، باعتبارها لفظة دبلوماسية، لذلك كانت معايير انتقاء السفراء في أعلى درجاتها للمكانة العالية التي كانوا يتمتعون بها.

وقد بلغ الأمر بالإغريق أن يحتفظوا بالرسائل الدبلوماسية، والوثائق ومحفوظات الدولة في المعابد (مثل معبد مترون) والمتاحف احتراماً وتقديساً لحرمتها، ومن أجل عدم العبث بها، وقد نصّت بعض وثائق الإغريق التي اكتشفت أن الجرحى والأسرى والمرضى لا يجوز الاعتداء عليهم أثناء الحروب ولا يعتدي عليهم إلا من كان بربرياً؛ أي: (متوحشاً)¹.

وإذا نجح السفير في مهمته استقبل باحتفال مهيب، لأنه أوقف أو دفع حرباً، أو جلب مصلحةً لبلده، فاستحق أن يعطى حديقة زيتون باعتبارها وساماً رفيعاً له، ويدعى إلى وليمة تقام على شرفه في دار البلدية،² تكريماً له على المساعي الخيرة التي قام بها.

3. الدبلوماسية عند الرومان.

كانت الدبلوماسية الرومانية في بداية عهدها تقوم على غاية واحدة ألا وهي (خدمة الأهداف الخارجية لروما) فتقوم على مبدأ السيطرة وإخضاع الشعوب الأخرى بالقوة، والعمل على استيعابها، وصهرها في بوتقة الدولة الرومانية، فكانوا يفضلون استعمال القوة العسكرية الاستعمارية على الأساليب الدبلوماسية.

وعندما آلت الأمور في الدولة الرومانية إلى القسطنطينية التي اعتبرت (روما الشرقية)، أدركت بأن فضّ الخلافات بحدّ السيف وحده لا يكفي، فأخذوا بقيادة الشعوب وتذليلها بوسائل دبلوماسية وسلمية: إما بالرشوة والهدايا، وإما بإعطاء بعض الامتيازات التي تحقق لهم ما يتطلعون إليه، فآخذوا يعلمون السفراء كيفية التعامل مع الدول الأخرى، بطرق دبلوماسيه عالية المستوى، فكان على أثرها افتتاح أول سفارة مسيحية في عدن في العصر الحميري سنة 365 ق. م.

¹ ابو عياه، الدبلوماسية، ص 28.

² طشطورش، مقدمة في العلاقات الدولية، ص 15.

وقام الرومان بإنشاء ديوانًا يخص الأجانب (الشعوب والدول الأخرى) وسمي حسب تعبيرهم (ديوان البرابرة) وكان يهتم بالسفراء والرسل القادمين للدولة الرومانية، وإكرامهم واحترامهم، والسهر على راحتهم، ومجاملتهم بالأحاديث وحسن الضيافة والاستقبال، وقد بلغت مكانة السفراء عند الرومان درجة الشيوخ والنبلاء والفرسان وكانوا لا يقبلون أن يهان لهم سفير لأن ذلك يعتبر إهانة للدولة، وإذا أخطأ السفير المعتمد لديهم رحّلوه إلى بلده ليحاكم فيها حسب القوانين المعمول بها في بلاده.¹

ويرى أبو عباة أن الدبلوماسية الرومانية تميّزت بأربع خصال:

1. كان مجلس الشيوخ هو الذي يدير العمل الدبلوماسي والسياسة الخارجية.

2. كان مجلس الشيوخ هو الذي يقوم بقبول السفراء والاستماع إليهم.

3. كان يرّحل السفراء الأجانب إلى بلادهم إذا قاموا بمخالفات للقانون الدولي.

4. كان السفراء يتمتعون بحصانة دبلوماسية عالية المستوى لدى روما.

ومن أجل ذلك أنشأ الرومان مهنة (أمناء المحفوظات) و(المراسيم الدبلوماسية) عبر تشريعهم لقوانين خاصة لكيفية استقبال السفراء، وتحديد إقامتهم، ونوعية معاملتهم، ومنحهم بعض الامتيازات والحصانات التي تعطى لرؤساء البعثات ومرافقيهم.²

ويجمل الشامي سياسة الرومان الدبلوماسية بأنهم خاضوها بدهاء تام، بعد أن وجدوا أن السيف وحده لا يكفي في فض الخلافات، فابتكروا ثلاثة أساليب هي:

1. شراء صداقة الشعوب والقبائل بالرشوة والهدايا والمساعدات المالية.

2. سياسة إضعاف الشعوب والقبائل البربرية من خلال نظرية فرق تسد.

3. إدخال أكبر عدد من الشعوب في الديانة المسيحية لكسب ولائهم.³

ويرى الباحث أن هذه السياسة هي التي جعلت بعض القبائل العربية تقف مع دولتي الروم والفرس ضد العرب المسلمين في حروبهم، ففي معركة مؤتة وغزوة تبوك ومعركة اليرموك والقادسية كانت القبائل

¹ د / حنان خميس /تاريخ الدبلوماسية Http: www.asharglaraly.org.uk

² أبو عباة، الدبلوماسية، ص 30.

³ الشامي، الدبلوماسية، ص 79 / 80.

العربية تشكّل جزءاً كبيراً من جيش الروم والفرس، فقد اعتنقت بعض القبائل العرب النصرانية، وكان قادتها يأخذون رواتبهم من هذه الدول المستعمرة.¹

4. الدبلوماسية في وادي النيل والفرات.

كان من أبرز الأحداث الدبلوماسية التي جرت في واد النيل معاهدة "قادش" التي أبرمت بين ملكين على قدم المساواة "رمسيس الثاني الفرعوني" و "ملك الحثيين" في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وذلك في عام (1278 ق.م) ونقشت هذه المعاهدة على الفضة، وتبادل الملكان النسخ، وأهم مبادئ هذه المعاهدة:

1. أهمية المبعوثين والرسل، والإعتراف بدورهم ومركزهم في تحقيق السياسة الخارجية.
 2. التأكيد على العلاقات الودية وإشاعة السلام القائم على سيادة القانون.
 3. مبدأ الرعاية الإلهية للعهد والميثاق والقسم وتحريم النكث بالعهد، وتبادل المجرمين بينهما.
- وتكمن أهمية هذه المعاهدة أنها من أوائل الوثائق المكتوبة في تاريخ القانون الدولي، وبقيت إلى العصور الوسطى هي النموذج المتبع في صياغة المعاهدات، وتصف حال الممالك في الشرق وانصهارها لشخص الحاكم أو الملك، وقد جرى بين ملوك الفراعنة وغيرهم تبادل للهدايا، والزواج السياسي والمصاهرة لمنع الحروب، والتبادل الدائم والمؤقت للرسل والمبعوثين.²

وقد اكتشفت مجموعة من الرسائل يبلغ عددها (36) لوح صلصال تسجل عليها العلاقات الدبلوماسية بين الفراعنة وملوك بابل والحثيين والسوريين والفلسطينيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر قبل الميلاد عرفت باتفاقية "قادش" سنة 1278 ق.م، مكتوبة باللغة البابلية.³

أما الدبلوماسية في وادي الرافدين: فقد عرفت أول مفهوم للدولة في التاريخ البشري وذلك لظهور الدولة المنظمة المتمثلة بالدولة السومرية والبابلية والآشورية، وقد عثر على أقدم معاهدة في التاريخ، وهي المعاهدة التي عقدت بين دولة مدينة (كلش) ودولة مدينة (أوما) المجاورة سنة 3100 ق.م، حيث

¹ ابن عساکر، علي بن الحسن الشافعي، السيرة النبوية، تحقيق: العلامة أبي عبد الله العاشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ-2001، ج2، ص6.

² أبو عیاء، الدبلوماسية، ص 24/23

³ منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين والقضية الفلسطينية، ص 91.

نقشت على نصب حجرى بالخط المسماري تضمن الاتفاق على الحدود، وكانت الكتابة باللغة السومرية لأن السومريين هم أول من اخترع الكتابة.

وكان البابليون أول من طبق القواعد الدبلوماسية في تعاملهم مع الدول الأجنبية، وكان لشريعة حمورابي الفضل الكبير في ذلك، لأن حمورابي أوجد نظام البريد الذي يطلع من خلاله على أحوال الرعية، وإخبار الدول المجاورة له، سواء كانت مسالمة أو محاربة، ثم ما لبث نظام البريد ان انتقل إلى الفرس واليونان، كما انتقل إلى المسلمين فيما بعد.

وقد تعاملت الدولة الآشورية مع الدول الأخرى بوساطة السفراء والمبعوثين الذين جنّبوا البلاد والعباد ويلات الحروب والدمار، وقد وفر الآشوريون الحماية للسفراء لأهميتهم البالغة عندهم.¹

5. الدبلوماسية في الجاهلية.

أورد ابن كثير رحمه الله أن أبرهة الأشرم عندما وصل جيشه إلى المغمس على مشارف مكة، أخذ مافيها من الإبل، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، فأرسل أبرهة الأشرم سفيره "حناطة الحميري" إلى مكة، وطلب منه أن يأتيه بأشراف أهلها، ويخبره أن أبرهة ما جاء لحربهم، ولكنه جاء ليهدم هذا البيت، فلا تحاولوا صده عن ذلك، فلما وصل مكة قابل عبد المطلب وأخبره بقول أبرهة.

فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه ولا طاقة لنا بذلك، فهذا بيت الله الحرام فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، فوالله لا طاقة لنا بحربه وقتاله، فطلب "حناطة" من عبد المطلب أن يقابل أبرهة ممثلاً لأهل مكة، فذهب عبد المطلب فلما رآه أبرهة أجّله وأعظمه، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن الهيئة والمنظر، ونزل أبرهة عن سريره وجلس مع عبد المطلب على البساط، وقال لعبد المطلب ما حاجتك؟ فقال عبد المطلب: إن حاجتي أن ترد عليّ إبلي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كبرت في عيني عندما رأيته، وعندما عرضت عليّ حاجتك وكلمتني في إبلك ولم تكلمني في بيت هو دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه صغرت في عيني، فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه، ثم عرض عبد المطلب ثلثي ثمار تهامة على أبرهة مقابل أن يرجع عن البيت فأبى، فرد أبرهة الإبل لعبد المطلب ورجع إلى قومه وأمرهم بالصعود إلى الجبال والتحصن فيها خوفاً عليهم من معرة الجيش،

¹ غالي، د بطرس بطرس و/ د محمود خيرى عيسى، المدخل إلى علم السياسة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط 9.1990م، ص 342.

وهم أبرهة بدخول مكة المكرمة، ولكن الله أراد غير ذلك فحال بينه وبين بيته الحرام، فأرسل طير الأبابيل التي قتلت أبرهة وجيشه، وحمل الله بيته من أبرهة، وسمي ذلك العام عام الفيل، وفيه ولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وزادت هيبة مكة في نفوس أهلها ونفوس عرب الحجاز، وما حولها من الناس لهذا الحدث العظيم. وما نلاحظه أن السفارة بين أبرهة وأهل مكة قد سبقت هذا العذاب الذي لحق بأبرهة وجيشه، واستقرغ عبد المطلب سيد قريش كل جهده للخروج من هذه الأزمة بدون حرب وقتال، وكان واثقاً كل الثقة أن من أراد بهذا البيت سوءاً أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.¹

وقد أنزل الله سورة الفيل على رسوله لتذكّر قريش بنعمة الله عليهم والتي شاهدها وعاصرها بعضهم لعلّ هذا التذكير يشجّعهم على الإسلام.

وبعدها بعامين ظهر وانتصر "سيف بن ذي يزن" على عامل الحبشة على اليمن بعد هلاك أبرهة وجيشه وبقايا نوابه في الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله بعامين، وأنته وفود العرب من كل حذب وصوب يهنئونه على حسن بلائه، فرحين بنهاية من أراد ببيت الله سوءاً، واختارت كل قبيلة أفصح وأشعر وأحكم أبنائها ليمثلها عند (سيف بن ذي يزن) ليقدموا له التهاني والتبريكات لأنه جاء بعد زوال حاكم تعدّى على حرّامات الله، واختارت قريش أن يمثلها في هذه المناسبة "عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد بن أسد" سفراء قريش ووجوهها، وكان عبد المطلب بن هاشم هو الناطق الرسمي باسم الوفد أمام سيف بن ذي يزن لمكانته في قومه، فهو كريم الخصال وصاحب الأخلاق الطيبة، وسفير قومه إلى أبرهة الأشرم من قبل، وكان فصيحاً مليحاً ذا هيبة ووقار، وكان جميل المطلع والمحيّ، سريع البديهة، وقد خاطب سيف بن ذي يزن فأعجبه وأكرمه غاية الإكرام ومنحه الوفد المرافق الهدايا والعطايا العظام، وكان عبد المطلب وصحبه أبرز الوفود والمعمها، وقد أكرم سيف بن ذي يزن هذا الوفد وأنزلهم في (دار الكرامة والوفود) فأقاموا عنده شهراً كاملاً يتمتعون بشرف الضيافة وحسن الاستقبال، وذلك تعظيماً للبيت الحرام وأهله، وقد أسر ابن ذي يزن إلى عبد المطلب أن نبياً حان ظهوره في مكة، فاحرصوا عليه من اليهود.²

¹ ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج 1، ص 329/ 330. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، القاهرة، ج 4، ص 550.

² ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 207/ 208.

وفي سيرة عمر بن الخطاب عند الجزري يقول "وكان من اشرف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كان إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافراً أو فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافراً ومفاخرًا".¹

المبحث الثاني: أقسام الدبلوماسية.

المطلب الأول: دبلوماسية قومية.

نشأة الدبلوماسية القومية: منذ بداية القرن العشرين شعرت الدول الاستعمارية بنجاحها في نشر الفكر القومي بين الأتراك والعرب فدعت الأتراك بواسطة الجمعيات الماسونية إلى سياسة التتريك في سياسة الدولة العثمانية، فلبت جمعية الاتحاد والترقي هذا المطلب، وأخذت تنادي بالقومية التركية.

وقد جاب لورنس بلاد العرب ما بين عامي 1908م - 1914م يحرض العرب على الأتراك، ويثير فيهم العصبية العربية مهياً للثورة العربية ضد الأتراك، وقامت (جريدة القبلة) العربية بالرد على (جريدتي إقدام وطنين) التركيتان اللتان وصفتا العرب بمصطلحات قبيحة مثل وصفهم بأنهم (سياء عربي) أي العربي الأسود، (وبيس عربي)، أي: العربي النجس، (وعقلز عربي)، أي: العربي السخيف.²

وشجعت ودعمت العرب على الاستقلال عن الدولة العثمانية على أساس قومي، فأصبح للعرب دبلوماسية قومية عربية، وللأتراك دبلوماسية قومية تركية بعد أن كانوا أمة واحدة يمثلها الإسلام، مما سهّل هدم الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك بدعم من المستعمر (البريطاني والفرنسي) في 28/ رجب/ 1342م، الموافق 1924/3/3م.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية وألمانيا على يد بريطانيا وفرنسا، حافظتا على وحدة الدولة الألمانية النصرانية، وقسمتا الدولة العثمانية الإسلامية، وخاصة البلاد العربية.³

¹ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 4، ص 125. شاكرو، محمود، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، ط 3، سنة 1421هـ، 2000م، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ج 3، ص 111.

² الأحمد، محمد علي، سقوط الخلافة، دار الإسراء للنشر والتوزيع - عمان، ط 1، 1428هـ/2007م، ص 383، 552 م.

³ زلوم، عبد القديم، كتاب كيف هدمت الخلافة. دار العلم للملايين - بيروت، 1382هـ-1962م، ص 109 - 111

وشجّعتا حركات الاستقلال على أساس قومي أو قطري، فأصبح لكل قطر أو قوم دبلوماسية تخدم عرقاً من الأعراق، أو قومية من القوميات مثل القومية التركية أو القومية الكردية أو القومية العربية، ولكن هذه الدبلوماسية فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق مصالح لبني قومها، ولناخذ مثلاً على ذلك دبلوماسية القومية العربية وإخفاقاتها فالأصل في العرب أن لهم آمالاً وآلاماً واحدة لأنهم أصحاب لغة واحدة، ويعيشون في بقعة جغرافية واحدة، ويدّعون وحدة الأصل، سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهود وقد جسّد الشاعر (فخري البارودي) ذلك في قوله:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

ومن مصر إلى يمن إلى نجد فتطوان

فلا حد يباعدنا ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان¹

وعندما أسست بريطانيا الجامعة العربية على أساس قومي، بدل الخلافة الإسلامية، قال الشاعر علي الجارم:

تذوب حشاشات العواصم حسرة إذا دميت من كف بغداد إصبع

ولو صدعت في سفح لبنان صخرة لدك ذرى الأهرام هذا التصدع

ولو بردى أنّت لخطب مياهه لسالت بوادي النيل للنيل أدمع²

¹ الشاعر فخري البارودي: شاعر عربي سوري عاش ما بين 1887م - 1966م يرجع نسبه إلى ظاهر العمر، خدم في الجيش العثماني، وسجنّة فرنسا بعد دخولها دمشق عقب معركة ميسلون عام 1920م.

² الشاعر علي الجارم: شاعر مصري ولد عام 1881م في مدينة الرشيد - الجيزة وتعلم في الأزهر خلط شعره بمفاهيم العروبة والإسلام وكان من عشاق اللغة العربية، وتوفي عام 1949م له مؤلفات عدة منها (النحو الواضح) و (من ادب العرب). فرهود، كمال قاسم، موسوعة اعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار المشرق - شفا عمرو، 1994م، ج 5، ص 536.

وكانت الجامعة العربية هي الغطاء الهشّ والبالى الذي يحمي السيادة القطرية، ويخرس دعاة الوحدة والتغير وكأنها تقول: أنا بيت العرب فلا تبحثوا لكم عن بيت غيري، مع أن الكافر المستعمر قطع ومزق بلادنا قبل أن ينسحب منها إلى دول متفرقة ومتناثرة لا يجمعها جامع.

وأبقى على مناطق محايدة ومختلف عليها فيما بين هذه الدول لتتصارع عليها، كما هو الحال في منطقة حلايب بين مصر والسودان، وحقل الرميّة بين العراق والكويت، وشط العرب والأهواز بين العراق وإيران، والصحراء الغربية بين المغرب والجزائر، ولواء الإسكندرونة بين سوريا وتركيا¹، ونادى القوميون العرب بشعار "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"² وقد فشلت هذه الدبلوماسية في كل مجالاتها:

ومن المعروف لدينا كمسلمين أن الوحدة على أساس غير الإسلام لا تجوز شرعاً، وهي هدم لوحدة الأمة على أساس العقيدة الإسلامية، ورجوع إلى العصبية الجاهلية التي حاربها الإسلام وهي تخالف أمر الله بالوحدة والاعتصام بحبله الذي يقول ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾³.

وقال أحد الشعراء متبجحاً في حربه على الوحدة الإسلامية، ومنادياً بالقومية ولو كان المصير دخول النار.

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم⁴

وقد ثبت عجز الدبلوماسية القومية في كل قضايا المسلمين وأبرزها قضية فلسطين والعراق.

1 - أما الدبلوماسية العربية في القضية الفلسطينية:

بدأت القضية الفلسطينية في بازل على أثر المؤتمر الصهيوني الذي عقد 1897، ثم وعد بلفور الذي أعطته بريطانيا لليهود وطناً قومياً، ثم قرار الأمم المتحدة رقم 194 في عام 1947م، والقاضي بتقسيمها إلى دولة عربية وأخرى يهودية.

¹ الجاسر، محمد طه، تركيا ميدان صراع بين الشرق والغرب، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط1، 2002م، ص 223.

² خوري، مجيد، الإتجاهات السياسية في العالم العربي، مؤسسة ابن رشد للنشر - القدس، 1970م د ط، ص 207.

³ سورة آل عمران: الآية 103.

⁴ الشاعر رشيد سليم الخوري، (الشاعر القروي) كان يطلق عليه (قديس القومية العربية) ولد في لبنان عام 1887م من أسرة أرمنية، وتعلم في بيروت وهو من شعراء المهجر. الفاخوري، تميم محمد، اعلام الشعر العربي، دار المعرفة - بيروت، ط 1 2003م، ص 339.

وكان قد سبقها وعد بلفور المشؤوم عام 1917م الذي كان بداية المعاناة للشعب الفلسطيني، وقد تجسّد وجود الدولة العبرية في فلسطين برعاية بريطانيا التي حاربت الثورات الفلسطينية المتلاحقة مثل ثورة البراق عام 1929م التي استشهد فيها المئات من المتظاهرين، واستشهد على أعواد المشانق في سجون عكا مجموع وحجازي والوزير في يوم الثلاثاء الحمراء، وثورة عام 1936م وإضرابها المشهور وسقوط مئات الشهداء وكان من أبرزهم القائد إبراهيم الحج محمد رحمه الله.¹

وقد شنت إسرائيل حرب عامي 1948م / و1967م ونجحت في فرض السيادة والسيطرة على ما تبقى من فلسطين، وعجزت جيوش العرب العسكرية، وبعثاتها الدبلوماسية عن تحقيق أي هدف عسكري أو دبلوماسي يذكر. واقتصرت جهود الجامعة العربية والدول التابعة لها على الإدانة والاستنكار.²

وفي عام 1982م اجتاحت الجيش الإسرائيلي لبنان وحاصر بيروت لمدة 90 يومًا، فكان لا بد من تخليص الجيش الإسرائيلي من مأزقه العسكري والإعلامي، فطلب الدبلوماسي (فليب حبيب) من الدول العربية الضغط على المقاتلين الفلسطينيين للخروج من بيروت إلى تونس واليمن وليبيا ففعلوا، فأخرج إسرائيل من مأزقها العسكري والإعلامي أمام العالم، وأدى ذلك إلى المجزرة المشهورة (صبرا وشاتيلا).

وكان الرد الدبلوماسي العربي على هذه المجزرة هو عقد قمة عربية في المغرب تمخض عنها مبادرة فاس للسلام مكافأة لإسرائيل على عدوانها.

وعندما اجتاحت الجيش الإسرائيلي مدينة رام الله وبقية المدن الفلسطينية، وحاصر الرئيس الفلسطيني عرفات في المقاطعة، كان ذلك متزامنًا مع انعقاد مؤتمر القمة العربي في بيروت عام في 29 / آذار / 2002م والذي تمخض عنه "المبادرة العربية للسلام"، واندلعت المظاهرات في بلدان عربية سرعان ما قامت الدول العربية بإخمادها.

وما زال هذا الضعف والعجز والتشرذم الدبلوماسي العربي واضحًا وجليًا حتى إعداد هذه الرسالة، فهذه جحافل المستوطنين تجوب ساحات المسجد الأقصى المبارك في كل يوم، ولا يجدون من يعترضهم أو يردعهم إلا تكبيرات المصلين التي تنبعث من أروقة المسجد.

¹ أبو فجر، صقر، الحركة الوطنية الفلسطينية، دار الشروق - رام الله، ط 1، 2003م، ص 117، 127،

² جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، دار الشروق - رام الله، ط 1، 1998م، ص 164، 227. الحمد، جواد، المدخل للقضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق - عمان، ط 1، 1997م، ص 203.

وللدلالة على عجز الدبلوماسية العربية فإن بعض التقديرات تؤكد أن الجهاز الدبلوماسي العربي يتكون من:

1- 2500 سفير عربي في العالم على رأس عملهم. 2 - وما يقرب من 12000 - 15000 دبلوماسي عربي على رأس أعمالهم كذلك. 3 - و1500 سفارة وقنصلية عربية منتشرة في 190 دولة وعاصمة عالمية.

4 - ومن هؤلاء 22 سفيراً عربياً، وأكثر من 500 دبلوماسي عربي في العاصمة الأمريكية، يقابلهم سفير إسرائيلي واحد، وسفارة إسرائيلية واحدة، ومع ذلك فقد أخفق هذا الجيش من السفراء في إيصال الصوت العربي إلى العالم في جرائم الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين، وفي عدالة القضية الفلسطينية، وكذلك في حرب أمريكا ضد العراق، وكشف أكاذيبها.¹

وما استخلصه الباحث مما مضى أن الدبلوماسية القومية العربية كانت في مثل هذه الأحوال مفككة وضعيفة ومعطلة وغير فاعلة، تفتقر إلى أي مبادرة ذاتية، أو هدف وغاية محددة.

وفي نفس الوقت كانت إسرائيل تحقق نجاحاً دبلوماسياً على مستوى العالم وتسمي جيشها جيش الدفاع، رغم احتلاله لأراض فلسطينية وأردنية ومصرية وسورية ولبنانية، وتدميره المفاعل النووي العراقي، وقصفه حمامات الشط في تونس، واغتياله القائد الفلسطيني أبا جهاد.

2 - وأما الدبلوماسية العربية في قضية العراق:

ما أن دخلت القوات العراقية أرض الكويت وإذ بالانقسامات العربية تدق طبولها، فمن العرب من استنجد بالكفار لإعادة الكويت إلى أهلها، ومنهم من قال بأن الكويت قد رجعت إلى حضن أمها العراق، ومنهم من كان في منزلة بين المنزلتين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل ينتظر لمن تكون الغلبة، وكانت الدبلوماسية العربية في أبشع صورها متناقضة متحاربة ومتضاربة حتى اعتبر بعض

¹ نكسون، ريتشارد، نصر بلا حرب، تقديم المشير عبد الحليم أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة - القاهرة، 1409 هـ/1988م، ط 1، ص 55.

الدبلوماسيين العرب سقوط بغداد في يد الأمريكان نهضة وانتصارًا وفجرًا جديدًا، وأن عهد الاستبداد قد ولى وأدبر¹.

وكان لسان حال الدبلوماسي العربي كأنه مترجم لتصريح دبلوماسي كافر، ينقله من اللغة الأجنبية إلى العربية، فيما رأى فريق آخر أن سقوط بغداد في يد الأمريكان هو كارثة تاريخية لا تقل مصيبتنا فيها عن سقوطها في يد المغول عام 656 هـ وزوال الخلافة العباسية من الوجود.

وشاركت الدبلوماسية العربية في حصار بغداد اقتصاديًا اثني عشر عامًا، ولا شك أنها كانت مثار سخرية عند العالم حتى قال مسئول أرجنتيني عندما هاجمت بريطانيا جزر الفوكلاند مخاطبًا بريطانيا "نحن لسنا عربًا"² وهذا لا يدع مجالاً للشك بأنه لا يوجد هنالك دبلوماسية عربية موحدة تمثلها الجامعة العربية - الأم البديلة عن الخلافة الإسلامية - بل يوجد هنالك دبلوماسيات قُطرية لا تلتقي ولا تتفق مع بعضها البعض.

فالدبلوماسية العربية مريضة، لمرض السياسة العربية لأنها تابعة لها؛ لأنه من المعلوم أن الدبلوماسية الصحيحة هي التي تحقق المصالح الوطنية للبلد والشعب، وهي التي تعبّر عن رغبات الشعب وطموحاته، أليس من العار

على بعض الدبلوماسيين العرب أن يقول: إن بقاء الاحتلال الأمريكي للعراق هو من قبيل الحفاظ على استقراره والمحافظة على أمنه؟³ فهل أصبح الاستعمار مطلبًا للشعوب؟ أم أن هذا الصنف من الدبلوماسيين لا يعرف إلا فن التنازل؟.

¹ فؤاد، مدحت، عرب ما بعد العاصفة، المكتب العربي للمعارف، مصر الجديدة، ط1، 1991، ص38-40

² نكسون، ريتشارد، نصر بلا حرب، ص 57.

³ إيرك، لوران، عاصفة الصحراء، ترجمة: محمد مستجير، ط1، (د.ت)، ص246.

المطلب الثاني: الدبلوماسية الإسلامية.

منذ اليوم الأول لبعثته بدأ صلى الله عليه وسلم يدعو الناس كل الناس إلى الإسلام، فدعى الرجال والنساء والأحرار والعبيد، والأسود والأبيض، والعرب والعجم، وعباد الأصنام واليهود والنصارى على حد سواء.

وقد أنزل عز وجل ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلامِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾¹، وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب أهل مكة بقوله: " قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم".² وقد أمره الله تعالى بالصدع بالدعوة إلى الإسلام، وأن لا تبقى حبيسة صدره، فصعد جبل الصفا ونادى أهل مكة المكرمة وأخبرهم بأنه رسول الله إليهم، مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾³ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقصّد الوافدين على مكة المكرمة من العمار والتجار داعياً إلى الله تعالى، ويذهب إلى أسواق العرب كعكاظ، التي كانت تشكل سوقاً ثقافياً يتبارى به العرب بكل ما أبدعوه من الشعر والنثر.⁴

وعندما أسلم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه جاء مكة المكرمة مستفسراً عن رسول الله ودعوته، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعود الى قبيلته داعياً إلى الله سبحانه وتعالى.

وعندما أسلم الطفيل الدوسي أمره رسول الله بالعودة إلى قبيلته يدعوها إلى الإسلام حتى يظهره الله، وقال عن نفسه: عندما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلى علي القرآن فو الله ما سمعت قط أحسن منه ولا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وأرجعني إلى قومي داعياً، وفي طريق هجرته الى المدينة المنورة وعندما أدركهم سراقه بن مالك، وحال الله بينهم وبينه، ووعده رسول الله صلى الله عليه وسلم سراقه بسواري كسرى وكتب له كتاباً بذلك.⁵

¹ سورة الأعراف، الآية 158.

² التميمي، محمد بن عبد الوهاب، جامعة محمد بن سعود - الرياض، حققه: عبد الرحمن بن ناصر البراك، ج 1، ص 81. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبيل الهدى والرشاد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1993م، ج 2، ص 451.

³ سورة الحجر، الآية 94.

⁴ طهماز، عبد الحميد، سيرة النبي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار القلم - دمشق، ط 1، 1424هـ 2003م ص 197. جاد المولى، محمد احمد قصص العرب، المكتبة العصرية - بيروت، ط 1 2008 م 1429 هـ، ص 19.

⁵ أبو زهرة، محمد، خاتم النبيين، دار التراث - بيروت، د ط، ج 3، ص 158. الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، وفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ/ 1987م، ط 1، تحقيق: عمر عبد السلام، ج 1، ص 377.

وعندما هُزم الروم على يد الفرس وأخذوا منهم مدينة القدس، وفرح المشركون بهذه النتيجة نزلت سورة الروم تبين بأن هذا النصر لا يدوم ﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾¹

وكان إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ومصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة ونجاحهما الباهر في مهماتهم لدليل واضح على عالمية الرسالة للعالمين. وفي أحلك الظروف والأوقات وأثناء حفر المسلمين للخندق حول المدينة المنورة، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة استعصت على المسلمين، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بفتح بلاد الشام وفارس وكنوز كسرى وقيصر، وافتح القسطنطينية وروما "لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَلَنِعَمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعَمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ"².

وبعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، كان يتطلع إلى حال المستضعفين في مكة المكرمة الذين لا يستطيعون الهجرة إلى المدينة المنورة ويدعو لهم في صلاته، بل إن الله حرّض المسلمين على القتال من أجلهم فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِّنْ لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِّنْ لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾³. وما أن عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش حتى قام بأوسع حملة دبلوماسية ما عرف التاريخ لها مثيلاً من حيث عدد السفراء الذين خرجوا في آن واحد لأعظم دول العالم، وما حظي به هؤلاء السفراء من احترام وتقدير وحسن معاملة، فلم يقتل من سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سفيراً واحداً، ولم تمزق له عليه السلام إلا رسالة واحدة.⁴

وإن اهتمام الإسلام بالبلاد الواقعة خارج الجزيرة العربية كالشام ومصر والقسطنطينية وروما واليمن، إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه البلاد والكون كله مجال للدعوة إلى الله عز وجل، وهي من السياسة والدبلوماسية التي يجب على المسلمين أن يمارسوها، والأمانة التي يجب أن يحملوها فقد قال

¹ سورة الروم، 1-5.

² ابن حنبل، أحمد، المسند، مسند بشر بن سحيم، حديث رقم 18957، ج 31، ص 287. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج 14 ص 331، حديث رقم 878.

³ سورة النساء، الآية 75

⁴ شبارد، عصام محمد، الدولة العربية الإسلامية الأولى، دار النهضة العربية - مصر، ط 3، 1995، ص 183.

المولى عز وجل في كتابه في شأن بيت المقدس والشام: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹.

وفي حديث عبد الله بن حوالة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستجندون أجنادًا: جندًا بالشام، وجندًا بالعراق، وجندًا باليمن"، قال عبد الله بن حوالة: خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: "عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم؛ فإن الله توكل لي بالشام وأهله"².

ووصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بأهل مصر خيرًا عندما تفتح عليهم فقال: "إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا" وفي رواية: "ذمة وصهرًا". قال الزهري: الرحم باعتبار هاجر، والذمة باعتبار إبراهيم عليه السلام، والذمة هنا بمعنى: الحرمة والحق³. والله أعلم.

فهذه دبلوماسية رسالة سماوية إلى العالمين تجاوزت مكة المكرمة إلى خارج الجزيرة العربية، إلى ما بلغ الليل والنهار مكانًا، وحتى تقوم الساعة زمانًا، وتجاوزت قريش والعرب إلى الأبيض والأحمر والأسود من الناس لتنادي البشرية كل البشرية بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَظِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁴.

المطلب الثالث: خصائص الدبلوماسية الإسلامية

تتميز الدبلوماسية الإسلامية عن غيرها من الدبلوماسيات بعدة خصائص منها:

1 قامت الدبلوماسية الإسلامية منذ بدايتها على الأسلوب الذي اعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اتسم بطابع الدعوة السلمية، والتي تضمنت مبدأ الصلح وعدم البدء بالقتال، إلا عند الدفاع عن

¹ سورة الإسراء، الآية 1.

² أبو داود، السنن، كتاب الجهاد 15، باب في سكنى أهل الشام 3، حديث رقم 2485، وقال الألباني حديث صحيح، الألباني، صحيح أبو داود، غراس للنشر، الكويت، ط1، 1432هـ، حديث رقم (2294)، ج7، ص246، باب سكنى الشام.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة 44، باب وصية صلى الله عليه وسلم بأهل مصر 56، حديث رقم 6493، ص 960.

⁴ سورة الحجرات، الآية 13.

النفس وحماية المستضعفين من الناس، مثلما أجرى صلح الحديبية مع قريش، والاتفاقيات مع القبائل العربية القريبة من تبوك لتكون البلاد أكثر أمنًا لجيوش المسلمين عند مرورها بديارهم في قادم الأيام¹.

2 كان إختيار السفراء في الإسلام ممن عرف عنهم الصبر والشجاعة، والصدق والأمانة، والفصاحة والبلاغة، وجمال الوجه والهيئة والهندام، والذكاء وسعة الحيلة، حيث كان السفراء يظهرون بأبهى حُلّة وأجمل منظر ترتاح العيون لرؤيتهم، والآذان لسماعهم فيجذبون إليهم المستمعين، ويرتاحون لمجالستهم والإصغاء إليهم، فتنفذ الرسالة إلى نفوسهم، فيصبحوا مسلمين أو مسالمين².

3 تقوم السفارة في الإسلام على أساس العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية، فلا تأخذ ببعض الأعراف والتقاليد التي تخالف الإسلام كالسجود والإنحناء لزعيم قوم من الأقوام، أو شرب الخمر أو أكل الخنزير، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكنها راعت بعض الأعراف التي كانت تسير عليها بعض الأمم والتي لا تتناقض مع الإسلام، فعندما علم عليه الصلاة والسلام أن الروم لا يقرؤون كتابًا إلا إذا كان مختومًا اتخذ خاتمًا من فضة وكتب عليه محمد رسول الله³.

4 اتّسمت الدبلوماسية الإسلامية بالصدق والصراحة، والوفاء بالعهود وعدم المخادعة، لأنها جزء من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، يقول أبو رافع رضي الله عنه: "بعثتني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيته وقع الإسلام في قلبي، فقلت يا رسول الله لا أرجع إليهم، فقال: "إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس الرسل، إرجع إليهم فإن كان الذي في قلبك الذي فيه الآن، فارجع"⁴.

فالدبلوماسية في الإسلام ليست كما هي عند الآخرين غش وخداع وكذب كما يقول أحد سفراء بريطانيا في القرن الثامن عشر متندرًا " إن السفير رجل شريف أوفدته بلاده للخارج ليكذب من أجلها⁵.

1. منحت الدبلوماسية الإسلامية السفراء الوافدين علينا حصانة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم من أي أذى يتهددهم، حتى يتمكنوا من القيام بمهامهم على أكمل وجه، حتى لو نطقوا بكلمة الكفر في

¹ مروءة، حسين، النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي - بيروت، ط 1، 1979م، ج 1، ص 409 - 422.

² أبو عامر، علاء، الوظيفة الدبلوماسية، دار الشروق - عمان، ط 1، 2001م، ص. 56.

³ العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إدارة الإفتاء والبحوث - السعودية، ج 3، ص 296.

⁴ أبو داود، السنن، كتاب الجهاد 15، باب في الإمام يستجن منه في العهود 163، حديث رقم 2760، ج 3، ص 37، وقال الألباني صحيح، السلسلة الصحيحة، حديث رقم 702، ج2، ص 315.

⁵ باعمر، احمد سالم، الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي، دار النفائس - عمان، ط 1، 1421هـ / 2001م، ص 245.

حضرة إمام المسلمين كما فعل رُسُلُ مسيلمة الكذاب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قالوا نقول ما يقول مسيلمة، فقال لهما "أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"¹.

وكان رسول الله يكرم الرسل غاية الإكرام وينزلهم أفضل وأوسع المنازل، فقد أنزل وفد ثقيف في بيت المغيرة بن شعبة الواسع، ووفد نجران في دار أبي أيوب الأنصاري، وأنزل عبد الرحمن الهذاني في دار يزيد بن أبي سفيان، وأكرم وفد هوازن بالهدايا، وقبل هدية حاكم معان المرسل مع رسوله (فروة بن عمرو الجذامي) ومنحه رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم².

2 استخدمت الدبلوماسية الإسلامية الرسل في حالتها السلم والحرب، لأن الإسلام لا يتخذ الحرب المباغلة وسيلة للفتوحات، بل لا بد أن يسبق الحرب دعوة الأعداء إلى الإسلام، لأنه لا يجوز قتال فرد أو فئة أو قبيلة قبل إبلاغها وعرض الإسلام عليها، ثم الجزية، وأخيرًا الحرب³.

3 تتصف الدبلوماسية الإسلامية بالرحمة والعدل والإنسانية وحب الخير لجميع البشر، لأن رسالة الإسلام عالمية، وهذا ما ظهر لنا من قول ربي بن عامر لرستم قائد جيش الفرس "نحن قوم إبتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"⁴.

4 ومن أعظم خصائصها بأنها ثابتة لا تتأثر بالهوى والرغبات لشخص السلطان أو القيادة، لأن مصادرها الكتاب والسنة وما أرشدا إليه، فهي ملزمة لجميع المسلمين حكامًا ومحكومين، لأنها تشريع رباني نتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، لا يجوز لنا أن نتعداه ما داموا على العهد والميثاق، لقوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾⁵، أما القانون الدولي فكل ذلك مرهون بإرادة الدولة والمعاهدات التي ينقضونها في أي وقت من الأوقات⁶.

¹ أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في الرسل 166، حديث رقم 2763، ج 3، ص 33، وقال الألباني صحيح في ضعيف وصحيح أبي داود، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن - الإسكندرية، حديث رقم 2761، ج 6، ص 261.

² السرخسي، شرح كتاب السير الكبير للشيباني، ج 1، ص 296.

³ نامي، معروف، أصالة الحضارة العربية، وطبعة التضامن - بغداد، ط 1، 1969م ص 18-19.

⁴ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص 622.

⁵ سورة التوبة، الآية 7.

⁶ الفتاوى، الدبلوماسية، ص 16-17.

المطلب الرابع: الحصانات التي وفرها الإسلام للسفراء

شرع الأسلام أحكاماً كثيرة للسفراء للمحافظة على ارواحهم وأموالهم وأعراضهم، ليتمكنوا من القيام بمهامهم على أكمل وجه بدون خوف أو وجل، وقد منحوا هم وعوائلهم وبقية أفراد بعثتهم إمتيازات خاصة ليتمكنوا من مباشرة أعمالهم بكل سهولة ويسر ومنها:

1. الحصانة الشخصية: والتي تعني ان لا يتعرض أحد من افراد المجتمع الإسلامي وحكوماتهم بالأذى أو الأهانة أو التحقير أو الاعتداء على سفراء الدول الأخرى ما دام السفير على رأس عمله، ولا يجوز التعرض لمسكنه وأمتعته ومراكبه بأي أذى، ما دام السفير يقيم في بلاد المسلمين سفيراً.

وإذا كان القانون الدولي الصادر في فيينا عام 1961م يقول في المادة 29 "بأن ذات المبعوث الدبلوماسي مصونة " فإن الله سبحانه وتعالى يقول " وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه "1.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فعندما استقبل رسل مسيلمة الكذاب وهم على دعوته لم يتعرض لهم بقتل أو إهانة، وعلل ذلك لأنهم رسلاً كما أسلفنا سابقاً، وهذا يدل على حرمة قتل الرسل الوافدين من الكفار إلى بلاد المسلمين حتى ولو تكلموا بكلمة الكفر في حضرة إمام المسلمين.

وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة "إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه . فإن قال: أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب وهذا كتابه فإنه يصدق ولا سبيل إليه، ولا يتعرض له أحد"2.

2. الحصانة المالية: نص الفقهاء على إعفاء السفير والرسول من الضرائب المفروضة على أهل الحرب كالعشور والرسوم الجمركية، ولهم أن يتاجروا ما لم يخالفوا النظام العام في البلد، ويسمح له بتمرير الثياب والمتاع بين الدولة الإسلامية وخارجها"3.

¹ سورة التوبة، الآية 6.

² أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، المطبعة السلفية - مطر، ط4، 1392هـ، ص 188.

³ أبو يوسف، الخراج، ص 204.

3. الحصانة القضائية:

وتتمثل في حماية السفراء والرسل من الملاحقات الجنائية والمدنية، وعدم خضوعهم لمحاكم الدول التي يمثلون دولهم بها، والذي نصت عليه المادة 31 من القانون الدولي التي تتضمن الحصانة القضائية للمبعوث الدبلوماسي، وهذا الموضوع محل خلاف بين علماء المسلمين.

ويرى جمهور العلماء أنه يجب إقامة الحدود على السفراء والرسل صيانة للمجتمع المسلم من الفساد، وأن الحدود تقام عليهم قياساً على الذميين، وكذلك فإن الرسل والسفراء لا يعفون من حقوق العباد أبداً. وأما العقوبات التعزيرية فإن أمرها موكل إلى إمام المسلمين فله أن يوقعها أو يرفعها عن السفير إن رأى أن ذلك في مصلحة الإسلام والمسلمين¹.

¹ السرخسي، محمد بن احمد، شرح السير الكبير تحقيق صلاح المنجد - ج 9، ص 55.

الفصل الثالث الرسول والسفير

المبحث الأول: معنى السفير والسفارة ومشروعيتها.

المطلب الأول: معنى السفير والرسول لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مشروعية السفارة.

المبحث الثاني: صفات سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الكفاءة والعلم والفصاحة.

المطلب الثاني: الصبر والشجاعة.

المطلب الثالث: حسن الهيئة والمنظر.

المطلب الرابع: الصدق والأمانة.

المبحث الثالث: الجهات التي أرسلوا إليها.

المطلب الأول: سفراء الدول.

المطلب الثاني: سفراء في أرض المعركة.

المطلب الثالث: سفراء قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية.

الفصل الثالث: الرسول والسفير.

المبحث الأول: معنى السفير والسفارة ومشروعيتها.

المطلب الأول: معنى السفير والرسول لغة واصطلاحاً:

ومعنى كلمة رسول لغة: الإرسال: التسلّط والإطلاق والإجمال والتوجيه، والاسم هو الرسالة، وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض¹. وهو الإرسال والتوجيه، والسفارة كسحابة، وسفارة - بالكسر - هي الكفالة والكتابة، ويراد بها التوسط للإصلاح فهو سفير - كأمير - وهو المصلح بين القوم،² وإنما سمي سفير لأنه يكشف ما في قلب كل منهما ليصلح بينهما، وهو ما يطلق على الرسول لأنه يظهر ما أمر به.

"والرسول من الإرسال وهو التسليط والتوجيه وكأن الرسول يتسلط ويوجه إلى من أرسل إليه لإسداء مهمته وعمله" وقال في معنى السفير "سفره تسفيراً؛ أي: أرسله"³، وذكر ابن الأنباري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: "الرسول والرسيل والرسالة سواء"⁴.

أما السفير فهو الرسول المصلح بين القوم، والجمع سفراء، وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعثمان رضي الله عنه: "إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم"؛ أي: جعلوني سفيراً، وهو الرسول المصلح بين أفراد القوم، يقال: "سفرت بين القوم: إذا سعيت بينهم في الإصلاح"⁵ وجاء في الصحاح: السّفير: الرسول المصلح بين القوم، والجمع سفراء، مثل فقيه فقهاء، وسفرت بين القوم أسفر سفارة أصلح.⁶

ويقول صلاح المنجد في معنى الرسل والسفراء: "فالرسول مأخوذ من الإرسال، وهو التسليط والإطلاق والتوجيه، والذي يُرسل هو الرسول أو الرسيل، وكأن في معنى الرسول أنه يطلق إلى آخر ويوجه إليه ويسلط عليه.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 71 - 72.

² الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الجيل - بيروت، 1987، 7، م، د ط، ص 300.

³ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (بيروت: عالم الكتب، د. ط، د. ت) ج 4، ص 384.

⁴ القرطبي، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، وعبد القادر القط، (بيروت - دار الكتاب العربي، د ط، د ت)، ص 377.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 295.

⁶ الرازي، مختار الصحاح، ص 301.

والسفر هو الكتاب، وقيل الكتاب الكبير، وقيل هو جزء من التوراة، والسفرة: الكتبة، واحدهم سافر، قال تعالى: "بأيدي سفرة" وقيل سميت الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله وبين أنبيائه. وسموا سفرة لأنهم ينزلون بوحى الله وبإذنه وما يقع بين الناس فشبهوا بالسفراء الذين يصلحون بين الرجلين، وفي الحديث: مثل الماهر بالقران مثل السفرة، وهم الملائكة جمع سافر، والسافر في الأصل هو الكاتب سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه.¹

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَلْقَتْهُمْ سَفُوفًا فَصَبَّوهُم بِالْغُلَامَةِ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ أَجْلًا﴾²؛ أي: أطلقوا إليهم وسلطوا عليهم، وقالوا في معنى إرسال الله عز وجل أنبياءه إلى البشر أنه توجيههم إليهم لإنذارهم،³ وبهذا يكون معنى السفير كما قال القلقشندي هو: "الرسول والمصلح بين القوم".⁴

وأما اصطلاحاً:

هو الشخص صاحب المرتبة الأعلى في السفارة الذي يمثل رئيس الدولة ذات السيادة لدى بلاط دولة أخرى أو عاصمتها ويخضع لسلطانها سائر أفراد البعثة الدبلوماسية والموظفين في السفارة.⁵

لقد حققت السفارات في الإسلام دوراً مكماً لم يحققه الجيوش الجارة، ويرجع الفضل في ذلك، إلى حسن اختيار السفراء من حيث الدراية والدهاء وسعة العلم والثقافة، وقد أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب السفراء الوافدين إليه بحسن الضيافة والاستقبال، وإيثارهم بالمأكل والملبس وأماكن الاستراحة والنوم، وكان ذلك سبباً في إسلام بعضهم، أو مهادنة الآخرين، وامتدت هذه المعاملة الحسنة لهم في كل العهود الإسلامية الماضية.

وقد امتلأت كتب السير والمغازي بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسفرائه إلى الملوك والرؤساء بشكل مستفيض ومفصل، وإن كانت قد استعملت كلمة رسول بدل كلمة سفير، بينما أطلق المؤلفون

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 295.

² سورة مريم، الآية 83.

³ المنجد، صلاح، فصول في الدبلوماسية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة، ط 1، 1947م، ص 107 - 108.

⁴ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية - القاهرة، د.ط، 1963م، ج 1، ص 15.

⁵ الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 3، ص 206-207.

المحدثون مصطلح سفير بدلاً عن رسول، وهذا ما استقر عليه العمل في السياسة الدولية والقوانين والنظم المعاصرة.¹

يقول القرطبي²: "وعلى الرغم من التقارب بين مصطلحي الرسول والسفير في اللغة إلا أن هناك فروقاً بينهما، فمهمة الرسول إبلاغ الرسالة المكلف بها من قبل مرسله ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾³، بينما تتضمن مهمة السفير الصلح بين المرسل والمرسل إليه، والصلح يتطلب أحياناً التنازل والمساومة من كلا الطرفين المتنازعين عن حقه للطرف الآخر. وقد أطلق على الأشخاص الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء وشيوخ العشائر مصطلح سفير، بينما لم يطلق هذا المصطلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مهمته محددة بإيصال الرسالة كما هي، فالرسالة تنزل عليه وأصحابه من حوله يبلغهم إياها⁴.

بينما يورد ابن كثير رحمه الله قول ابن عباس: السفرة بالنبطية: القراء، وقال ابن جرير: والصحيح أن السفرة هم الملائكة الذين بين الله سبحانه وتعالى وخلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس بالصلح والخير كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغشٍّ إن مشيت⁵

ويرى الباحث أن هذا القول ليس على إطلاقه، فرسول الله احتاج إلى السفر ليبلغ رسالة ربه، فقد تنقل بين أندية قريش وأسواق العرب، ليلتقي بوفود القبائل يعرض عليهم الإسلام، وسافر إلى الطائف يدعو أهلها للإسلام فردوه ردّاً قبيحاً، وقد أشارت إليه كتب السيرة تحت باب طلب النصرة.

وخلاصة ما توصل إليه الباحث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلغ رسالة ربه بدون زيادة أو نقصان مستجيباً لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^٦ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

¹ إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ط 2، 1972 م، ج 1، ص 459.

² هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرخ الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، الإمام المفسر، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة، رحل إلى المشرق، واستقر بمصر، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة 671 هـ. اليعمرى المالكي، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، (ت 799 هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 317 - 318.

³ سورة العنكبوت، الآية 18.

⁴ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البديري، دار الكتب للملايين - بيروت، ط 2، 1424 هـ / 2004 م، ج 19، ص 141.

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 471. من ديوان المتنبي، أبو عمر شهاب الدين، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط 1، 212.

رِسَالَتُهُ»¹. وقام بالسفارة أحياناً وكلف بها غيره أحياناً أخرى، وكثيراً ما كان يصلح بين قبيلتين أو حينين مفوضاً غيره بإمامة الصلاة أثناء انشغاله بالإصلاح، كما حصل ذلك عندما اقتتل أهل قباء حتى تراموا بالحجارة، فقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: "اذهبوا بنا نصلح بينهم"². وحادثة الخلاف بين الأوس والخزرج التي أشعلها يهودي عندما ذكرهم بيوم بعث، فتتادوا لحمل السيوف فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: "ما بال دعوة الجاهلية، دعوها فإنها مننتة"³.

فأغمدوا السيوف وعانق بعضهم بعضاً امتثالاً لهديه ووساطته.

وقد استقرّ تعريف السفير في العصر الحديث "السفير هو أعلى مراتب السلّك الدبلوماسي، وهو رئيس البعثة الدبلوماسية في السفارة"⁴.

وجاء في المادة الأولى من اتفاقية فيينا بأن عبارة "رئيس بعثة" - وعادة ما يكون رئيس البعثة بدرجة سفير - وهو الشخص المكلف من قبل الحكومة المعتمدة بالعمل بهذه الصفة.⁵

¹ المائدة، الآية 67.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح 53، باب قول الامام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح 3، من حديث سهل بن سعد الساعدي رقم 2693، ج 2، ص 250.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير 65، باب قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم 5، حديث رقم 4905، ج 3، ص 376.

⁴ عطية الله، أحمد: القاموس السياسي، ص 779.

⁵ الفقرة الأولى من المادة الأولى من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961م. صباريني، غازي حسن، الدبلوماسية المعاصرة، دار الثقافة، عمان، ط3، 2011، ص348.

المطلب الثاني: مشروعية السفارة:

أدلة الكتاب الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹، وقال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾²، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾³، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁵.

فهذه الآيات الكريمة، تبين لنا أن الله تعالى بعث الرسل الكرام لهداية الناس وإخراجهم من الضلال إلى الهدى، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده، وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، ولا بدّ من القيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل، وحتى يتحقق تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، كان لا بد من التبليغ والإنذار، لذلك أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾⁶ فَرَفَّاهُ.

وقال الصنعاني في شرح بلوغ المرام بأن النبوة سفارة بين الله تعالى وبين ذوي العقول من عباده، لإزاحة غلهم في معاشهم ومعادهم، وقد أشار رحمه الله إلى التبليغ الذي أوجبه الله على الرسل الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وكيف أن الله جعل العلماء ورثة للأنبياء.⁷

¹ سورة الأنبياء، الآية 107.

² سورة الحجرات، الآية 13.

³ سورة الأعراف، الآية 158.

⁴ سورة إبراهيم، الآية 4.

⁵ سورة النساء، الآية 64.

⁶ سورة المدثر، الآيتان 1-2.

⁷ الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير البهني (ت 1182هـ)، سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار التراث العربي - بيروت 1417هـ - 1997م، د ط، ج 1، ص 21.

والرسول صلى الله عليه وسلم: إنسان أنزل الله عليه شريعة من عنده بطريق الوحي: فإذا أمره بتبليغه إلى الغير سمّي رسولاً، وفي أنوار التنزيل: الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي أعم من الرسول صلى الله عليه وسلم. والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.¹

ومن حكمة الله تعالى أن جعل الرسل والأنبياء سفراءه إلى الناس، ليبلغوا رسالات الله، وجعل للرسل والأنبياء صفات واجبة في حقهم كالعلم والأمانة والفتانة والتبليغ، والعصمة من الزلل في التبليغ، والفصاحة والسلامة من العيوب المنقّرة، وكان لكل رسول ونبي حواريين وأصحاب، يشاركون الرسل مهمتهم في التبليغ والدعوة إلى الله وإقامة الحجة على العباد، وجعل العلماء ورثة الأنبياء في نشر رحمة الله إلى العباد، ولا بدّ لأي رسول أن يخاطب الناس بلغتهم التي يعرفونها، حتى تتحقق له الطاعة وحسن الاستجابة من العباد.

وأما أدلة السنة النبوية:

فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة، ليبلغ أهلها الإسلام، وكتب الله له النجاح في ذلك، وهو أول سفير في الإسلام²، وقبلها بعث جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي، وعندما منعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، من دخول مكة المكرمة معتمرين، أرسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خراشة بن أمية الخزاعي ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهما من الحديبية سفراء، ليبيّتا لقريش أن المسلمين قدموا إلى مكة معتمرين وليسوا محاربين.³

وقد استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراء قريش الأربعة على التوالي، بديل بن ورقاء، ثم عروة بن مسعود، ثم الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، ثم سهيل بن عمرو الذي مثّل قريش في صلح الحديبية.⁴

¹ الحنفي، العلامة ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ط1، ص109.

² ابن الأثير الجزري، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 5، ص 164.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 193. وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 87.

⁴ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 201/202. البخاري، المغازي 4178/ 4179. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 85/ 86.

وبعد أن عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش، أرسل رسله وسفراءه إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، كفارس والروم والقبط وغيرهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وحمل كل سفير ورسول كتاباً مختوماً بختمه الذي اتخذ من الفضة، لعلمه صلى الله عليه وسلم إنهم لا يقرؤون كتاباً وصلهم بدون خاتم، فنقش عليه "محمد رسول الله"¹.

فبعث عليه الصلاة والسلام:

- 1- دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر هرقل ملك الروم.
- 2- عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس.
- 3- عمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي ملك الحبشة.
- 4- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية.
- 5- شجاع بن وهب إلى الحارث الغساني ملك عرب النصارى.
- 6- سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي.
- 7- عمرو بن العاص إلى جيفر وعياد ابني الحندي الأزديين، ملكي عمان.

فكانت ردودهم على رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم متباينة بين الدخول في الإسلام، والرفض القبيح، والرد الحسن.²

ويرى الباحث أن إرسال رسول الله هؤلاء السفراء إلى زعماء ذلك الزمان، وتجاوزه للجزيرة العربية مكاناً، وخروجه إلى الأعاجم لغة وعرقاً، لهو ترجمة عملية لعالمية الإسلام، وإرسال الرسل ما هو إلا حمل للدعوة الإسلامية إلى الآخرين، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾³.

¹ أبو داود، السنن، كتاب الخاتم 35، باب ما جاء في اتخاذ الخاتم 1، حديث رقم 4221، ج 4، ص 122. وقال الألباني صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني، كتاب اللباس، رقم (4214)، ج 9، ص 214.

² الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية دار الكتب العلمية - بيروت، ط 3، ج 3، ص 357-339.

³ سورة فصلت، الآية 33.

"فالدعوة إلى الله أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصدق في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، وإن النهوض بواجب الدعوة إلى الله أمر شاق، ولكنه شأن عظيم"¹.

ويكفينا ترغيباً في هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ومعاذ رضي الله عنهما عندما بعثهما إلى اليمن بعد أن أمرهما بالتيسير وعدم التعسير والتبشير وعدم التنفير: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"².

وقوله صلى الله عليه وسلم: "تضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فبلغها، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه"³.

فتسابق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دعوة الآخرين للإسلام، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب حتى أصيبت عينه، فتمنى أن يصيب أختها ما أصابها في ذات الله تعالى وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول خطيب في الإسلام⁴، يدعو قريشاً للإسلام في أندية، فيضرب ضرباً شديداً بالنعال، فيغشى عليه ما يصدّه ذلك عن دينه.

وكذلك عروة بن مسعود الثقفي الذي عاد إلى قومه بعدما أسلم، فقتلوه بعد أن كان سيدهم⁵ وهكذا كانت مهمة السفراء شاقة ومحفوفة بالمخاطر، فمنهم من كتب الله له النجاح في مهمته، كمصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة المنورة، ومنهم من قضى نحبه، كالحارث بن عمير الأزدي، على يد شرحبيل بن عمرو الغساني، عامل قيصر على البلقاء⁶، كما سيأتي بيانه لاحقاً بإذن الله تعالى.

¹ قطب، سيد، الظلال، دار الشروق - القاهرة، ط 30، 1422هـ، 2001م. ج5، ص4121.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، 56، باب فضل من أسلم على يديه رجل 143، عن سهل بن سعد الساعدي، حديث رقم 3009، ج 2، ص 341.

³ ابن ماجه، السنن، كتاب فضل العلم، باب من بلغ العلم 18، حديث رقم 230، ج 1، ص 84. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج 2 ص 298، حديث رقم 1721. الترمذي، السنن، كتاب العلم 38، باب في ما جاء بالحث على تبليغ السماع 7، حديث رقم 2657، ج 5، ص34. قال ابوعيسى حديث حسن.

⁴ السيوطي، جلال الدين، (ت 911هـ)، الخلفاء الراشدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1308هـ - 1988م، ص 29. ورضا، محمد، تراجم الخلفاء، دار الحديث - القاهرة، سنة 1425 هـ 2004م، ص 17.

⁵ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 4، ص 28.

⁶ البلقاء: تقع على بعد 30كم غربي عمان وتسمى حالياً السلط وكانت تضم سابقاً اريد وعجلون وجنين ونابلس وعمان في الفترة الرومانية. العبادي، محمد عويد، تاريخ الأردن وعشائره، مجدلاوي للنشر، عمان، 2014. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مطبعة الحلبي مصر 1970. ج 2، ص 173.

المبحث الثاني: صفات سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان السفراء والرسول عند العرب قبل الإسلام يمثلون أفضل وسيلة اتصال بينهم أثناء الحروب والخلافات، وكان السفير ينقل وجهة نظرهم ومطالبهم إلى القبائل الأخرى، من أجل أن يحقق الهدف الذي ذهب من أجله.

وكان العرب من فطنتهم وذكائهم يستخدمون لهذه المهمة رجالاً تتوفر بهم مجموعة من الصفات والخصال والشروط التي لا تتوفر لغيرهم، كاللباقة والكياسة وحسن المنظر، والنطق السليم، وقوة الشخصية والحكمة والرزانة والدهاء والفتنة والذكاء.

وقد قالت العرب قديماً: "أرسل حكيماً ولا توصه"¹.

وكان السفراء عند العرب قبل الإسلام حمائم خير ومودة و سلام، يجدون الاحترام والحصانة في حالتهم السلم والحرب باعتبارهم وسطاء ومفاتيح خير.

وكان الاعتداء عليهم جريمة نكراء لا تغتفر في أعراف القبائل العربية وكانت حمايتهم من صفات العرب الحميدة.

وعندما جاء الإسلام عزز دور السفراء والرسول، وأصبح نوعاً من الدعوة إلى الله التي تسبق إرسال الجيوش، وكثيراً ما حقق العمل الدبلوماسي من الأهداف والأعمال أكثر مما حققته الجيوش الجرارة، كما لاحظناه من الإنجازات التي حققها سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حكام وزعماء ذلك الزمان، وإن عدد المسلمين الذين دخلوا في الإسلام بدعوة اللسان أضعاف أضعاف من دخلوا بدعوة السنان، وإن إسلام أهل المدينة المنورة واليمن وأندونيسيا وماليزيا لهي أكبر شاهد على ذلك.

وقد شكّل إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم للرسول والسفراء نقطة تحوّل في سياسة دولة الإسلام، فقد عظم دورها وأصبح لها شأنًا عظيمًا عند الأمم والدول الأخرى، فقد عرف حكام ذلك الزمان بالدين الجديد ودوى صداه في كل ناحية من هذا الكون وأقام الحجة على بطلان عقائدهم، فكانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل في طياتها الترغيب في الإسلام والجنة، والترهيب من الكفر والنار، لأن الإسلام رسالة للعالمين، وأصبح العمل الدبلوماسي الإسلامي له رجاله وقواعده وأهدافه.

¹ العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل وقطامش، دار الفكر ن ط 2، 1988م، ج 1، ص 9

ولو كان هنالك إنصاف للحقيقة لكانت دراسة أحوال وصفات ومهام ونتائج أعمال سفراء صدر الإسلام بشكل خاص وسفراء المسلمين بشكل عام، موضع دراسة واهتمام وتأمل وإعجاب من المسلمين في زماننا هذا.

وقد امتاز سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأوصاف الآتية:

المطلب الأول: الكفاءة والعلم والفصاحة:

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم اللغة السريانية من أجل مراسلة ومكاتبة اليهود، الذين ما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكرهم، فتعلمها زيد بن ثابت رضي الله عنه في نصف شهر تقريباً فكان كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم.¹

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي رسولاً إلى الروم لأنه كان يعرف لغتهم وأعرافهم وعاداتهم وبلادهم، لأن قبيلته كانت محاذية لهم في سكنها، وله علاقة قديمة ووطيدة مع قيصر الروم.

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بجيلة وأبا موسى الأشعري رسولين إلى اليمن، لأن بجيلة والأشعريين قبائل يمانية، وكان جرير بن عبد الله أحد زعماء قبيلته، لذلك قال صلى الله عليه وسلم عندما جاء جرير مسلماً: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"² وكان شاعراً بليغاً فصيحاً صاحب حجة وبيان.

وكذلك كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خطيباً وشاعراً، وكان يحبر³ القرآن الكريم تحبيراً في قراءته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول له: شوقنا إلى الله، وهو من أشار على الخليفة عمر بن الخطاب والصحابة الكرام رضي الله عنهم أن يؤرخوا ويتفقوا على بداية تاريخ لهم، فأرخوا

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 5، ص 394. با عمر، الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي، ص 158.

² ابن ماجه، السنن، كتاب الأدب 33، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه 19، حديث رقم 3712 من حديث عبد الله بن عمر، ج 2، ص 1233. وصححه الألباني في تحقيقه لسنن ابن ماجه، وفي السلسلة الصحيحة ج 3 ص 202، رقم 1205.

³ التحبير: حبر الشيء زينه ونمقه، فيقال حبر الشعر والكلام والخط، وفي حديث أبي موسى الأشعري: "لوعلمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً"

بالهجرة، وكان من القضاة المشهورين من الصحابة الكرام كعمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.¹

وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ومن معاذ بن جبل أن يبقيا في مكة المكرمة بعد فتحها ليعلمّا الناس القرآن وأمور الدين.²

وكان العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البحرين من القلائل الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة في مكة المكرمة، فأصبح من كتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين. وكان داهية واسع الحيلة، وشاعراً فصيحاً بليغاً استطاع أن يفتح البحرين (هجر) صلحاً لا حرباً وقد خاطب المنذر بن ساوى قائلاً: "يا منذر إنك عظيم في الدنيا فلا تصغر عن الآخرة، إن هذه المجوسية ليس فيها تكريم العرب، ينكحون ما نستحي من نكاحه، ويأكلون ما ينكر أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بقديم العقل والرأي".³

أمّا حاطب بن أبي بلتعة سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر من قبل النجاشي، فكان من شعراء الجاهلية وفرسانها، وله علم بالنصرانية ومقدرة على المحاوره، ومن دهاة القوم، أسمع المقوقس كلاماً بليغاً وأقام عليه الحجّة والبرهان، حتى قال المقوقس معترفاً برسالة الإسلام "إن القبط لا يتابعوني على إتباعك وأنا أضنّ بملكي" ثم قال: "أنت حكيم جئت من عند حكيم".⁴

وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُمان، فهو سفير قرش إلى النجاشي مرتين ليطرد المسلمين من الحبشة، فأخفق فيهما، وكان خطيباً مصقفاً، فهو من ألمع خطباء الصحابة والتابعين، بل ومن أبلغ خطباء العرب، فقد استطاع أن يستقطب أهل عُمان ملكاً وشعباً، وأقنعهم بدخول دين الله سبحانه وتعالى وترك الشرك والضلال بدون حرب ولا دماء.

¹ المباركفوري، أبو الحسن عبد الله بن محمد عبد السلام، مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح إداره البحوث العلمية والإفتاء -الجامعة السلفية -الهند، ط 3، 1404 هـ -1984م، ج 1، ص 54.. ابن حنبل، أحمد، الزهد ص 119.

² خطاب، محمد شيث، سفراء النبي، مؤسسة الريان - بيروت، ط 1، 1997 م - 1417 هـ، ص 818

³ ابن القيم، زاد المعاد، مطبعة الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1970، ج3، ص73.

⁴ الحلبي، السيرة الحلبيّة - ج 3، ص 353. / الزيلعي جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان - بيروت، ط 1، 1418 هـ / 1997م، ج 4، ص 422.

وكان من دهاة العرب المعدودين، واسع الحيلة سهل التخلص، فعندما طلب منه أربطون الروم في القدس أن يرسل له سفيرًا يكلمه ويفاوضه، ذهب بنفسه إليه متقمصًا صفة السفير، حتى يعلم بنفسه ما يدور في ذهن الأربطون، ويستكشف عيوب حصونهم حتى يسهل عليه فتحها.

وشعر عمرو بن العاص أن الأربطون أمر بقتله أثناء الخروج، فاستدرك أمره وقال: أيها الأربطون أن هنالك عشرة مثلي يستشيرهم القائد عمرو، فأرى أن أحضرهم ليسمعوا منك مثلما سمعت فيشيروا عليه بما قلت فطمع الأربطون في قتلهم جميعًا، فتراجع عن قراره قائلاً بنفسه: إن قتل جماعة أحب إلي من قتل واحد، فخرج عمرو بن العاص وتخلص من موت أكيد ولكن الله سلم، فلما أدرك الأربطون أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد خدعه قال: " هذا أدهى الخلق ".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سمع بصنيع عمرو بن العاص: " ضرينا أربطون الروم بأربطون العرب لنرى عما تنفجر"¹.

وإذا رجعنا إلى سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مصعب بن عمير رضي الله عنه، وكيف نقل أهلها من الشرك إلى الإسلام واستطاع أن يغزو قلبي "سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنه" في ساعة واحدة من الزمن، قائلاً لكل واحد منهما: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره، فقال كل واحد منهما له على حدة: أنصفت وجلسا فسمعا منه دعوة الحق فأسلما، فأسلمت بإسلامهما قبائلهما، وكان هذا النجاح المنقطع النظير في أقل من عام.²

وعلى إثر ذلك كانت بيعة العقبة الثانية التي غيرت مجرى تاريخ البشرية جمعاء، حيث أصبح للرسول صلى الله عليه وسلم أنصاراً وللاسلام داراً، وكانت سفارة مصعب بن عمير رضي الله عنه من أنفع وأنجح سفارات الإسلام. فهؤلاء السفراء هم حقاً جند محمد عقيدة وثقافة وعلمًا وشجاعة.

¹ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: مفيد قمحية 1424هـ - 2004م، ط 1، ج 19، ص 108.

² اللحام، حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، دار الفكر المعاصر - بيروت ودمشق، ط 1، 1422هـ 2001م، 118 - 119. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط 3، 1402هـ 1982م، ج 1، ص 195 - 197.

المطلب الثاني: الصبر والشجاعة:

عادة ما يمثل الرسول أو السفير من بعثه وأرسله من قوة وعزم وشجاعة، فكيف إذا كان هذا السفير سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ناداه ربه تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹.

فكان لكل سفير من سفرائه قصة تضحية في الثبات والصبر والشجاعة، يقول الطبري: "إن سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبيب بن زيد) ﷺ إلى مسيلمة الكذاب قد أخذ بالعزيمة، فقطعه مسيلمة الكذاب قطعة بعد أخرى، وهو يحاول أمام أتباعه أن يفتته عن دينه"²، فخيّب حبيب بن زيد ﷺ ما كان يصبو إليه مسيلمة الكذاب بصموده وصبره وشجاعته.

ثم قام مسيلمة الكذاب بحرق جثته الطاهرة بالنار، ومضى حبيب بن زيد ﷺ إلى ربه شهيداً، شاهداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة والصدق، ومكذباً لمسيلمة الكذاب في دعواه الكاذبة وسط جمهور المرتدين.³

وقد نال رضوان الله عليه رضى الله ورسوله بثباته، ورد الله مسيلمة الكذاب وأتباعه بغيظهم لم ينالوا خيراً، فقال كلمة الحق أمام سلطان جائر وكافر نصحه فقتله، فكان من سادة الشهداء، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله"⁴.

ويقول القرني معلقاً على هذا المشهد واصفاً ثبات هذا الصحابي بقوله: " فلم يلب ولم يهتر، ولا صاح ولا قال تأن، حتى لقي الله شهيداً."⁵

¹الأحقاف، الآية 35.

²أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج 20، ص 505.

³الزليعي جمال الدين عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط 1، 1414 هـ، ج 2، ص 248.

⁴الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط 1، 1990، مع تعليقات الذهبي، حديث رقم (4884)، باب ذكر اسلام حمزة، ج 3، ص 215، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الألباني صحيح. السلسلة الصحيحة، حديث رقم (374)، ج 1، ص 716.

⁵القرني، عائض بن عبد الله، مقامات القرني، مكتبة الصحابة - الشارقة، ط 3، 1423 هـ 2002م، ص 20.

وأما دحية الكلبيّ سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم الذي قال لحراسه: استأذنوا لي على قيصر، فإنني رسول رسول الله، ففزعوا منه، فأسرعوا إلى استقباله، مع أن غيره من الوفود كانت تنتظر الأيام والأسابيع حتى يؤذن لها بالمثل بين يديّ قيصر الروم.

وقد شاهد دحية الكلبيّ ضعف هرقل أمام البطارقة عندما أخبرهم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى استشهاد كبير الأساقفة (ضغاطر) الذي رافق هرقل في رحلة الحج من القسطنطينية إلى بيت المقدس مشياً على الأقدام شكرًا لله تعالى لانتصارهم على الفرس، لأن (ضغاطر) أعلن إسلامه على الأساقفة بعد أن خلع عنه لباسه الأسود ولبس ثياباً بيضاء استعداداً للموت في سبيل الله بعد أن أطلع دحية الكلبيّ ﷺ على كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاد دحية ﷺ يقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى.¹

وأما سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى الشام فكان (الحارث بن عمير الأزدي) الذي يقول عنه الخصري وغيره: بأن شرحبيل بن عمرو الغساني أحد عمال الروم اعترضه في قرية مؤتة، فقال له: أين تريد؟ فقال الحارث: أريد الشام. فقال له شرحبيل: لعلك من رسل محمد؟.

قال الحارث: نعم أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوثقه وقتله صابراً، فلم يخف ولم ينكر رضي الله عنه بأنه سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل النجاة بحياته، مفضلاً الاستشهاد في سبيل الله على الحياة. وكان بإمكانه أن يقول بأنه تاجر أو قاصد قوم، أو باحث عن رزق، أو باحث عن ضالة، ولكنها عزيمة سفراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم.²

وأما خبيب بن عدي ﷺ فكان من أمره، أن أسر في طريق ذهابه مع نفر من أصحابه إلى قبائل عضل وقارة الذين ذكروا أن بهم إسلاماً، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم من يعلمهم ويفقههم في أمور الدين، فغدروا بهم واستصرخوا عليهم حياً من قبيلة هذيل التي قتلت بعضهم، وباعت بعضهم في مكة لتتأثر قريش لبعض قتلاها في بدر.

¹ أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، ج 2، ص 650 - 651

² أبو حامد عز الدين، عبد الحميد بن محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية الحلبي وشركاه، ج 15، ص 61. ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر - عمان، 1415هـ - 1995م، ج 2، ص 343.

فسجن في مكة المكرمة فترة من الزمن، ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به من الحرم إلى الحل (المتعيم)
فلما أجمعوا على صلبه قال: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال:

والله لولا أن تقولوا: إن ما بي من جزع لزدت.

ثم قال: " اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم احداً، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزق

ولست بمبد للعدو تخشعاً إني إلى الله مرجعي

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه، وأنت معافى في أهلك؟ فقال: لا والله، ما يسرنى أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، ثم صلبوه وقتلوه ومضى إلى ربه شهيداً، بعد أن قال: السلام عليك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام يا خبيب¹.

وأما صاحبه عاصم بن ثابت ؓ الذي كان قد عاهد الله أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركاً، فقد قاتل حتى قتل، وقد دعى الله بقوله: "اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره".

وكانت قريش قد أرسلت من يحضر جمجمته لسلافة بنت سعد التي نذرت أن تشرب بها خمراً، ثأراً لمن قتل من أقاربها في معركة بدر الكبرى، فأحاطت به الدبابير من كل جانب، فلم يقدروا منه على شيء²، وهذا صنيع صحابي لو أقسم على الله لأبره.

وأما جعفر بن أبي طالب ؓ: الذي كان أول سفير إسلامي مقيم في دولة أجنبية، فكان سيد الشجعان وهو يحاور النجاشي وسفير قريش عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، اللذان قدما الرشاوى المستطرفة للنجاشي وبطانته والتي جلباها معهما من مكة المكرمة.

¹ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران، ت430 هـ معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1، 1422 هـ - 2002 م ج 2، ص 221 - 222.

² المصري، محمود، أصحاب الرسول، دار التقوى - القاهرة، ط 1، 1423 هـ - 2002 م، ج 2، ص 154.

واتفقا مع البطارقة على أن يشيروا على النجاشي بطرد المهاجرين من الحبشة، ثم قالوا: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا أشراف قومهم وعشائهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقال البطارقة في الحال: صدقا بما قالوا، أسلمهم إليهم ليردوهم إلى بلادهم، فأحضر النجاشي جعفر بن أبي طالب وصحبه الكرام وسأله عما قال عمرو بن العاص وصاحبه فقال جعفر: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فبعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله وحده، ونخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، وبالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجعنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به عن الله؟.

قال جعفر: نعم، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى من حوله من الأساقفة ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما.

ثم عاد عمرو بن العاص في اليوم الثاني فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأحضرهم النجاشي مرة ثانية، وسألهم عن قولهم في المسيح فخافوا، ولكنهم أجمعوا على الصدق وقالوا: نقول والله ما قال الله وَعَلَى وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم.

وقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلي مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عودًا من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم عليه السلام ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقتها، فقال: وإن نخرتم والله.

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فانتم شيوؤم بأرضي بمعنى الآمنون بلسان الحبشة، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن يكون لي جبل من ذهب وأن آذي رجلاً منكم، ثم قال لحاشيته: ردوا

عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه. فقالت أم سلمة التي تروي القصة: "فخرجنا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار"¹.

وإذا كانت بداية إسلامه بطولة وثباتًا في مكة، وهجرة في سبيل الله إلى الحبشة، سجل فيها انتصارًا لدين الله على أعدائه، بأن هدى الله تعالى النجاشي على يديه وبعض أهل الحبشة، وخسر عمرو بن العاص وصاحبه سفارتهما إلى النجاشي، فقد سجل جعفر بن أبي طالب ﷺ استشهاده فريدًا من نوعه في معركة مؤتة، فقطعت يداه واحدة بعد الأخرى، حتى فاضت روحه إلى بارئها ليبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة.²

وعند السيوطي أن سفير رسول الله "حرام بن ملحان" أخا أم سلمة الذي كان أحد سفراء بئر معونة، حمل كتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر في الكتاب، وأمر رجلا من حاشيته فطعن حرام بن ملحان بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم حملوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه عن آخرهم، ولم يراعوا عهدًا ولا ذمة، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه كثيرًا ودعا على عصية ورعل وذكوان في صلاة الفجر شهرًا كاملاً.³

وأما شجاعة جرير بن عبد الله البجلي ﷺ سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فصورة مشرقة أخرى من صور شجاعة السفراء، فقد كان فارسًا مقدمًا اختاره خالد بن الوليد ﷺ ضمن مئة فارس من صفوة جيشه كل فارس يرد جيشًا وحده أو كل فارس بمئة وتعاهدوا على الاستشهاد، للتأثير على معنويات الأعداء في معركة اليرموك مع الروم وكانوا عند حسن ظن قائدهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.⁴

¹ حوى، سعيد، الأساس في السنة حوى، سعيد، الأساس في السنة، دار السلام للطباعة، ط 1، 1409 هـ - 1989 م ج 1، ص 252 - 258

² انظر: البوطي،، فقه السيرة النبوية، ص 91 - 92

³ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، ت 911 هـ، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت 1985 م، ط 1، ج 1، ص 369.

⁴ خطاب، سفراء النبي، ص 300.

المطلب الثالث: حسن الهيئة و المظهر:

قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أبردتم إليّ بريدًا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"¹، وقد استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا بقدم سهيل بن عمرو سفير قريش في الحديبية وقال: "سهل الأمر"، وكما يقال بأن الرسول أو السفير دليل عقل من أرسله.

ذكر الأثيوبي أن دحية الكلبي رضي الله عنه سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم كان من أجمل الناس، قال الأثيوبي الولوي: "كان يضرب به المثل في حسن المظهر"².

"وكان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي رسول الله على هيئة دحية الكلبي لجماله، وكان دحية إذا قدم الشام لم تبق مخدرة في بيتها إلا خرجت لتتظر إليه لحسنه وجماله"³.

وكان جعفر أشبه الناس برسول الله خَلَقًا وَخُلُقًا، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشبهت خلقي وخلقي"⁴. وكان مصعب بن عمير من أجمل فتیان مكة منظرًا، وأرجحهم عقلًا، وكان عثمان بن عفان سفير رسول الله إلى قريش من أجمل الناس وأجودهم، ذا هيئة ووقار، ووجيهًا في قومه وعشيرته، وعمّ خيره المسلمين جميعًا، وجهّز جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وتبرّع بقوافله التجارية القادمة من الشام لفقراء المدينة.⁵ و قال صلى الله عليه وسلم عن جرير البجلي عندما جاءه وافدًا من بلاد اليمن: "يقدّم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، وإن على وجهه كمسحة من ملك"⁶

¹ الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان ابو الحسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي د ط، 1414هـ 1994م، مكتبة القدس - القاهرة، ج 8، ص 47، رواه البزار والطبراني في الأوسط وفي اسناد الطبراني عمر بن راشد، وثقه العجلي، وضعفه جمهور الأئمة، وبقيّة رجاله ثقات، وطرق البزار ضعيفة "هـ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج 3 ص 181، رقم 1186، ورقم 4034.

² الأثيوبي الولوي، محمد بن العلامة علي بن آدم بن موسى، شرح الفية السيوطي في الحديث، مكتبة الغرياء - المدينة المنورة، ط 1414هـ 1993م ج 2، ص 212.

³ أبي بكر البقاعي، إبراهيم بن عمر الرباط، مصرع التصوف، الناشر: عباس الباز - مكة المكرمة، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ج 2، ص 235.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء 43، عن البراء بن عازب، حديث رقم 4251. ج 3، ص 159.

⁵ الصلابي، علي محمد، سيرة عثمان بن عفان، دار الفجر - القاهرة، ط 1، 1425هـ / 2004م، ص 110.

⁶ البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، الأدب المفرد، باب التبسم، حديث رقم 250، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3، 1409هـ، 1989م دار البشائر الإسلامية - بيروت، ج 1، ص 97. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج 8، ص 200، حديث 3193.

فلما دخل كان كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم جمالاً وبهاءً وأدباً.¹ وقال عبد الملك بن عمير (رأيت جريراً كأن وجهه شق القمر)، وقال عمر بن الخطاب: (جرير يوسف هذه الأمة)²، وقال العسقلاني: قال الخولاني: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه رجلاً جميلاً أبيض وضيء الوجه، براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان معاذ بن جبل شاباً سمحاً من خيرة شباب قومه، وقال الواقدي: كان من أجمل الناس، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المشاهد.³

وهذا يبين لنا لماذا كان الخلفاء يختارون السفراء من أهل الجسامة والوسامة ونفاذ الرأي وحصانة العقل والجرأة والحلم والقدرة على كظم الغيظ والثقافة والأصل النبيل، بحيث يكون السفير عفيفاً شجاعاً محتالاً في المناظرة جامعاً للسنن والتاريخ، عالماً بالأموال والضرائب، فالسفراء يمثلون الخليفة ويتكلمون باسمه ويتفاوضون ويبرمون الاتفاقيات نيابة عنه ويكونون على دراية تامة بكل تفاصيل مهامهم.

فكان المطلوب منهم أن يظهروا بأعلى حُلة وأجمل منظر ترتاح العيون لرؤيتهم فيجذبون إليهم المستمعين، ويرتاحون لمجالسهم والإصغاء إليهم، فتنفذ الرسالة إلى نفوسهم.

هذا في الوقت الذي كان فيه السفراء الغربيون يثيرون اشمئزاز الملوك من رائحتهم الكريهة ومظهرهم المؤذي للعيون، حتى أن صلاح الدين أصدر أمراً بأن لا يدخل عليه أحد من سفراء وأمرأء الفرنجة حتى يغتسل قبل مقابلته في الخيمة⁴.

¹ أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، ت285هـ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط3، 1417هـ / 1997م ج 1، ص154

² ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوح، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط3، 1408هـ / 1988م، ج 4، ص 545.

³ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، دار الجبل - بيروت، تحقيق: علي البجاوي، ط 1، 1412هـ، ج 6، ص 136.

⁴ أبو عامر، علاء، الوظيفة الدبلوماسية، دار الشروق، عمان، ط1، 2001، ص56.

المطلب الرابع: الصدق والامانة

لا بد أن يتصف السفراء بالصدق والامانة في تبليغ الرسالة التي يحملونها إلى الدول الأخرى، لأنهم سفراء قومهم وأمتهم وأميرهم، فالصدق يمنعهم من الكذب، والامانة تمنعهم من الخيانة، فيوصلوا مطالب دولتهم على الوجه الأكمل والأمثل.

وغالبًا ما يتعرض السفراء للأغراء المادي والمعنوي، فيضعفون أمام المغريات والرشاوي التي تعرض عليهم من قبل أعداء امتهم، ولا عاصم لهم من ذلك إلا الله، ثم صدقهم وأمانتهم وتقواهم التي يتمتعون بها، فلا بد عند إختيار السفراء أن يكونوا صادقين وأمناء.

وقد ساق لنا التاريخ أمثلة على خيانة السفراء، مثلما فعل الرجال بن عنفوة سفير ابي بكر رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب الذي اغراه بالمال فارتد عن الإسلام وأصبح من شيعته وأتباعه¹.

ومثلما فعل سفير معاوية بن ابي سفيان إلى الروم، الذي أغراه ملك الروم بالمال، فتساهل السفير في مطالب معاوية لصالح الروم، ولما ظهر ذلك لمعاوية عزله عن سفارته².

فلا بد أن يكون السفير عند إختياره صادقًا أمينًا عفيفًا نزيهًا، يترفع عن كل المغريات المادية والمعنوية. كما هو حال عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما ذهب سفيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش فعرضوا عليه أن يطوف بببيت الله الحرام أثناء سفارته، فأبى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ممنوعون عن ذلك، وكان عند حسن ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم به³.

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه لا يختارون السفراء إلا ممن اتصف بهذه الصفات الحميدة، لأن حسن المنبت ونبل الأصل والعشيرة يدفعان السفير إلى العمل الصادق والكريم بكل أمانة وإخلاص.

¹ اليحصبي، ابو الفضل القاضي، عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مكتبة المدينة المنورة، ج 1، ص 342.

² عفيفي، محمد صادق، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، مكتبة الأنجلوا – القاهرة، ط 1، 1998م، ص 70. التابعي، محمد، السفارات في الإسلام، مكتبة مدبولي – مصر الجديدة، ص 95.

³ ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر – دمشق، ط 1، 1984م، ج 5، ص 181. ابن الفراء، ابو على الحسيني بن محمد، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص 33.

المبحث الثالث: الجهات التي أرسلوا لها.

المطلب الأول: سفراء الدول.

1- سفراء رسول الله إلى نجاشي الحبشة وهم:

أ-: جعفر بن أبي طالب أول سفير إلى الحبشة على رأس المهاجرين.

في السنة الخامسة للبعثة النبوية، وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب أصحابه من المحن والشدائد والبلاء، قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدقٍ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" فخرج عند ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، فكانت أول هجرة في الإسلام¹ فخرج المهاجرون إلى الحبشة، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب، وحمله كتاباً إلى النجاشي ملك الحبشة، فأكرم النجاشي وفادتهم، وكان عند حسن ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

وكان سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب ﷺ شامخاً بدينه، ومعتزلاً بعقيدته مهما كانت النتائج، موضعاً بكل ما أعطاه الله من شجاعة وبلاغة ما كانوا عليه في الجاهلية من الشرك والضلال.

ب - عمرو بن أمية الضمري سفيراً ثانياً إلى الحبشة: أوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بعد صلح الحديبية إلى النجاشي ملك الحبشة سفيراً ثانياً بعد جعفر بن أبي طالب، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة يدعو فيها إلى الإسلام، فأسلم النجاشي وطلب منه رسول الله أن يزوجه أم حبيبة ويرسلها ومن عنده من المسلمين المهاجرين إلى المدينة المنورة.

فأصدق النجاشي أم حبيبة أربع مائة دينار مهرًا لها، وبعث بكسوة إلى رسول الله، وجهّزهم بسفينتين، وبعث معهم وفدًا حبشيًا إلى المدينة المنورة؛ ليعلموا إسلامهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعقاب غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقُدومهم مثل فرحهم بفتح خيبر، وكانت سفارة عمرو بن أمية الضمري ردًا على سفارة عمرو بن

¹ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (ت 213 هـ)، السيرة النبوية، دار المنار - القاهرة، 1410 هـ، 1990م، ج 1، ص 302. الثعالبي، عبد العزيز، الرسالة المحمدية، تحقيق صالح الخرفي، دار بن كثير - دمشق، ط 1، 1418 هـ 1997م ص 55

العاص الثانية إلى الحبشة في أواخر السنة السادسة للهجرة، وقد طلب عمرو بن العاص من النجاشي أن يسلمه عمرو بن أمية الضمري ليقتله إرضاءً لقومه أهل مكة، وقد أئب النجاشي عمرو بن العاص على معاداته لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وطلبه قتل سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إنه ضربه على أنفه حتى أدماه فتلقى الدم بثوبه، وتمنى عمرو أن لو ابتلعت الأرض.

وقال النجاشي: يا عمرو أتسألني أن أعطيك رسول رسول الله الذي يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى؟، ودعاه إلى الإسلام مما أوقع الإسلام في قلب عمرو بن العاص وبائع النجاشي على الإسلام، وأعاد النجاشي عمرو بن أمية الضمري إلى المدينة محملاً بالهدايا وبالمسلمين، بعد أن أكرمهم خير إكرام.¹

وهنا يتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمن مكر قريش بعد صلح الحديبية، وإن الدولة أصبحت آمنة من الاجتثاث، وأن رسول الله قد حيد قريشاً عن قتال المسلمين، واتجه لفتح خيبر التي كانت تتآمر مع قريش ضد المسلمين.

بل ذهب جيش المسلمين إلى مؤتة لقتال الروم الذين كانوا أقوى دولة في ذلك الزمان، والتي تبعد عن المدينة أضعاف ما تبعده مكة، أي أن قريشاً لا تقوى على مهاجمة المسلمين حتى ولو كان جيش المسلمين مشتتباً مع جيش الروم بعيداً عن المدينة، مما حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيره عمرو بن أمية إلى النجاشي طالباً تسهيل عودة مهاجري الحبشة إلى المدينة المنورة، وتزويجه بأمة حبيبة، وقد كان رد النجاشي في غاية التمام والكمال.

2- مصعب بن عمير رضي الله عنه سفيراً إلى يثرب: بعد أن تمت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج، في السنة الثامنة للبعثة النبوية، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واثنى عشر رجلاً من يثرب، والتي سميت ببيعة النساء، بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء المبايعين مصعب بن عمير رضي الله عنه، ليعلم المسلمين شرائع الإسلام، ويفقههم في أمور الدين، وينشر الإسلام بينهم.

¹ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ) كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1424هـ/1984م ج 2، ص 742-744. الخليلي، عبد الهادي، السلم في القرآن الكريم والسنة، دار ابن حزم - بيروت، ط 1، 1429هـ/2008م ص 552.

وكان شابًا من شباب الإسلام السابقين الأولين¹ وقد نزل مصعب بن عمير في بيت أسعد بن زرارة، وبدءا يدعوان إلى الله، وفي يوم من الأيام التف حولهما مجموعة من المسلمين، مما أثار حفيظة سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا بني عبد الأشهل، وكانا على الشرك.

فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانهما أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا. فجاء أسيد حاملاً حربته، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه فاصدق الله فيه، فوقف أسيد عليهما متشتمًا وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فقال أسيد: أنصفت ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب رضي الله عنه وتلا عليه القرآن، فشرح الله صدره للإسلام.

ثم قال: ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين فعمل بما قالوا.

ثم قال أسيد إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرشده إليكما الآن - سعد بن معاذ - فلما رآه سعد بن معاذ قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ فقال كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالوا نفعل ما أحببت.

وقد سمعت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، فقام سعد مغضباً للذي ذكر له، فأخذ حربته وخرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً أراد منه أن يسمع منهما، فوقف متشتمًا، فقال له مصعب ما قاله لأسيد، فأسلم سعد، وشهد شهادة الحق مثل صاحبه.

¹ المباركفوري مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، ج 5، ص 356. مريسي، محمد سعيد، عظماء الإسلام، اقرأ - الفسطاط - مصر، 1423هـ - 2003م، ص 50.

فرجع إلى قومه وقال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة، قال إن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة.

وهكذا عمّ الإسلام قبيلتي الأوس والخزرج خلال ستة شهور، وما أن حل موسم الحج التالي، حتى جاء مصعب بن عمير يبشّر رسول الله بإسلام أكثر أهل يثرب، وقد قدم مع مصعب رضي الله عنه بضع وسبعون من المسلمين، وعزّ عليهم ما يتعرض له رسول الله وأصحابه في مكة من الأذى والاضطهاد، فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً وكانت بيعة العقبة الثانية (الكبرى).¹

وعلى إثر هذه البيعة هاجر المسلمون إلى يثرب أفراداً وجماعات، سرّاً وعلانية، وأقاموا دولة الإسلام فأصبح للإسلام داراً، وللرسول أنصاراً، وللمهاجرين إخواناً، وأصبح اسم يثرب منذ ذلك اليوم: المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

3-: دحية الكلبي سفيراً إلى قيصر وإلى أسقف الروم الأكبر:

بينما كان قيصر الروم يمشي في حمص راجلاً من القسطنطينية إلى بيت المقدس، شكرًا لله على ما منحه من الظفر والنصر على الفرس واسترداده بيت المقدس، وصله دحية الكلبي حاملاً كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبعت الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتلك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فعليك إثم الأريسيين " وعند وصوله بيت المقدس احتفل بانتصاره على الفرس، فأرسل هرقل إلى ركب من قريش كانوا تجارًا بالشام، وكان فيهم أبوسفيان، فسألهم عن أوصاف رسول الله وأتباعه، فتبيّن هرقل أن هذه صفات الرسل، وقال بأن هذا الرسول سيملك موضع قدمي هاتين، مما دعا أبا سفيان أن يقول: " لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر"²

¹ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت(450هـ، الحاوي في فقه الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1414هـ 1994م، ج2، ص 1. ابن كثير، البداية والنهاية ج 3 ص 178.

² ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 304-306. ابوشهية، د محمد بن محمد، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، دار القلم - دمشق، ط 5، 1419هـ 1999م، ص 459-360.

وحاول هرقل أن يقنع البطارقة بصدق رسول الله وكتابه، ولكنه عندما رأى رفض البطارقة خاف على نفسه ومملكه فأحجم عن ذلك.

وكان نصّ جواب ملك الروم هرقل إلى رسول الله: "إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك، فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك أخدمك وأغسل قدميك"¹.

وقد رجّح محمود شيث خطاب أن تكون الرسالة شفوية لا كتابية، خوفاً من رجال الدين النصارى.

وطلب قيصر الروم من دحية الكلبي أن يعرض أمر رسول الله على (ضغاطر) الأسقف الأكبر لدى الروم، الذي ما أن سمع من دحية ما جاء به إلى قيصر حتى خلع ملابسه السوداء ولبس ثياباً بيضاء. ثم أخذ عصاه وخرج على الروم في الكنيسة وقال: "يا معشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد، يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله، وما كاد ينهي ضغاطر كلامه حتى وثب عليه رجال الدين فضربوه وقتلوه، فلما رجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر، قال: " قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا فالأسقف الأكبر ضغاطر كان والله أعظم عندهم وأجوز قولاً مني "².

ومما لا ريب فيه أن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن غريبة على أهل الكتاب فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كما قال الله في كتابه العزيز ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾³، وكما اتضح لنا ذلك من أسئلة هرقل لأبي سفيان، ومن موقف الأسقف ضغاطر الذي لبس ثيابه البيض استعداداً للاستشهاد في سبيل الله، فلو استطاع هرقل إقناع القساوسة بالإسلام لأسلم الروم جميعاً.

ومهما كانت النتائج فقد أقام سفير رسول الله الحجة عليهم، وكان أثر الدعوة في نفوسهم عظيماً، حتى وصل خبر كتاب رسول الله إلى روما وعلمائها، وقال أحد أهل العلم في روما لهرقل: نعم إنه النبي

¹ خطاب، سفراء النبي، ج 1، ص 90. انظر: الحيدر أبادي، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 37

² أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج 2، 650 - 651.. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 56.

³ سورة البقرة، آية 146.

الذي بشر به عيسى عليه السلام، فلم يكن مبعثه صلى الله عليه وسلم مستغرباً ولا مستهجنًا بل كان منتظرًا وإرهاصاته كثيرة.

وهنا نلاحظ قوة سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن أدائه وشجاعته وبلاغته وهو يخاطب هرقل بقوله: هل كان المسيح يصلي؟ فقال قيصر: نعم، فقال دحية: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك لمن دبر السماوات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى النبي الأمي الذي بشر به موسى عليه السلام وعيسى بن مريم عليهما السلام، وعندك أثارة من علم تكفي عن العيان، وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا، واعلم أن لك ربًا يقسم الجبابة ويغير النعم، فأخذ قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه ورأسه وقبله¹.

4-: عبد الله بن حذافة السهمي سفيرًا إلى كسرى:

خرج عبد الله بن حذافة السهمي حاملًا رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى يدعو فيه إلى الإسلام في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة، وكان كسرى قد حكم سبعًا وثلاثين سنة، وقد أحيط كسرى بجلال لم يبلغه ملك قبله، فكان من أشد ملوكهم بطشًا، وأنفذهم رأيًا وأبعدهم غورًا، وقد سمى نفسه الرجل الخالد بين الآلهة، والإله الأوحد بين الرجال، الذي يصحو مع الشمس، والذي يهب عينيه للنيل.

وكان نص كتاب رسول الله إلى كسرى: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًا، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس"².

قال عبد الله بن حذافة: "دفعت إليه كتاب رسول الله، فقرأه عليه، ثم أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله قال: اللهم مزق ملكه " ثم ما كان من كسرى إلا أن بعث إلى باذان عامله على اليمن " إن عبدًا

¹ الكتاني، محمد عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، حققه: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، 2008، ط2، ج1، ص182.

² أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك) ج 2، ص 65-656.

من عبيدي قد كتب يدعوني إلى دينه، فابعث إليه رجلين جليدين يأتني به مربوطاً، وإن أبا عليهما فليضربا عنقه " فلبى بأذان أمر كسرى.

وأرسل رجلين بكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدفعوا إليه الكتاب، فتنبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما أرجعا عني يومكما هذا لتأتني غداً فأخبركما بما أريد، فلما كان الغد، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرا صاحبكما أن الله تبارك وتعالى قد سلط عليه ابنه شيرويه فقتله في هذه الليلة " فرجعا إلى بأذان فأخبراه بذلك، وعندما جاء كتاب شيرويه إلى بأذان يفيد بقتله والده وأن عليه الطاعة والولاء أسلم بأذان والأبناء باليمن.¹

وعند أبي زهرة أن النبي قال: أخبراه أن ديني سيبلغ ما بلغ كسرى، وينتهي إلى الخف والحافر، وقولا إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء، وأعطى رسول الله أحد الرسولين منطقة فيها ذهب وفضة كانت قد أهديت إليه.²

وهكذا بلغ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدى الأمانة، وكان نجاح عبد الله بن حذافة نجاحاً عظيماً حيث أصر كسرى على كفره، ولكن عامله على اليمن أسلم وحسن إسلامه، وأسلم معه أناس من أهل اليمن، وبقوا على إسلامهم في أيام الردة، وقاتلوا المرتدين قتلاً شديداً، وكان لبأذان أثر كبير في مقتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن، فكتب الله الفلاح لبأذان فأسلم، وأما كسرى فقد أصر على كفره ومن معه من المجوس.³

5 - :حاطب بن أبي بلتعة سفيراً إلى المقوقس:

أوصل حاطب بن أبي بلتعة كتاب رسول الله إلى المقوقس في الإسكندرية، فقرأ الكتاب، فقال لحاطب ما منعه إن كان نبياً أن يدعو عليّ، فيسلط عليّ؟ فقال له حاطب: "ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه واضطهده؟. ثم عاد المقوقس قائلاً لحاطب: "أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبياً؟ قال: "بلى"، قال: فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده؟، فأجابه حاطب: "فعيسى

¹ ابن سعد، محمد بن سعد منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ط 1، 1410هـ-1990م دار الكتب العلمية - بيروت، ج 1، ص 199. / 260.

² أبو زهرة، محمد، خاتم النبيين، د ط، دار التراث - بيروت، 1392هـ - 1972م، ج 3، ص 133-134.

³ أبو الوفاء، طارق محمد، تاريخ صنعاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2009، ص 34-35.

بن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه، لم يدع عليهم حتى رفعه الله "قال: " أحسنت، أنت حكيم
جئت من عند حكيم"¹

وقال حاطب: "إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الربّ الأعلى، فانتقم الله منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر
بك، وإن لك دينًا لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، وما بشارة
موسى بعبسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى
الإنجيل، ولسنا ننهك عن دين المسيح، ولكننا، نأمرك به " فقال المقوقس: "إن القبط لا يتابعوني على
إتباعك، وأنا أضنّ بملكي" وإياك يا حاطب أن تخبر القبط بما تحاورنا به.²

وقبل المقوقس كتاب رسول الله، وأخذه ووضع في وعاء من عاج، وختم عليه وأكرم حاطبًا وأحسن
نُزله، ولما عاد حاطب رضي الله عنه إلى المدينة حمّله المقوقس هدايا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم: منها ألف مثقال ذهبًا، وعشرين ثوبًا، وبغلة وحمارًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووهب
لحاطب مالا عظيما، بالإضافة إلى جاريتين تزوج رسول الله منهن مارية القبطية، ألتي أنجب منها
ولده إبراهيم. ووهب لحسان بن ثابت الثانية وتسمى شيرين،، وأرسل مع حاطب جنداً أوصلوه إلى
مأمّنه.³

وحمل المقوقس حاطبًا رسالة جوابية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نصها: "لمحمد بن عبد
الله، من المقوقس، سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا
قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسلك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في
القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام"⁴.

ويرى الباحث أن سفارة حاطب رضي الله عنه إلى المقوقس عظيم مصر كانت من السفارات
الناجحة، التي جعلت المقوقس يتعامل مع سفير رسول الله بكل أدب واحترام، وشهد له بأنه حكيم جاء
من عند حكيم، وطلب منه أن يكتفم أمر الحوار بينهما عن القبط، ولم يتأخر عن استقباله كما يفعل مع

¹ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 2، ص32-33.

² الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ج 4، ص422. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر
والقاهرة، دار الفكر - القاهرة، ط 1، 1418هـ - 1988م، ج 1، ص 88 - 89.

³ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 1، ص 517.

⁴ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1405هـ - 1985م ج 4، ص 395 - 396.

بقية الوفود، وما بعثه من الهدايا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإكرامه لسفيره ﷺ حاطب ﷺ وإرساله طبيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول رسول الله للطبيب: ارجع إلى قومك فإننا قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، إلا دليل قاطع على أثر رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه.¹

ولولا حب الملك والجاه لكان المقوقس ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولكن إعلانه للإسلام أقرب من رد الطرف، ولكن حكمة الله اقتضت أن تفتح مصر بعد هذا التاريخ بثلاثة عشرة عاماً على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه.

6 - شجاع ابن وهب الأسدي سفيراً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

فقد وصل شجاع بن وهب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وهو في غوطة دمشق منشغلاً في تهيئة الاستقبال لهرقل ملك الروم، أثناء مسيره إلى بيت المقدس راجلاً على قدميه شكرًا لله لانتصاره على الفرس، فلم يتمكن من الدخول إليه مباشرة، وأقام على بابه يومين منتظرًا، و محاورًا حاجبه الذي سرعان ما أعلن إسلامه أمام شجاع بن وهب ﷺ، مخفيًا ذلك عن الحارث خوفًا على نفسه.

أما الحارث بن أبي شمر فبعد أن قرأ الكتاب قال " من ينزع مني ملكي " واستأذن هرقل لقتال رسول الله، ولكن هرقل منعه من ذلك، وأمره أن يرد سفير رسول الله ردًا حسنًا، فأكرمه وعامله بالحسنى.²

وهكذا ندرك تمامًا أن شجاع بن وهب ﷺ نجح في سفارته إلى الحارث، فقد أسلم حاجبه وبعض حاشيته، وبقي الحارث على كفره، إلا أنه أحجم وتراجع عن محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بناءً على أمر هرقل ونصيحته لأن دحية الكلبي كان قد وصل إلى هرقل وسلمه رسالة رسول الله ؛ لأن الحارث لا يعدو إلا أن يكون تابعًا لهرقل وخادمًا له.

¹ الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 3، 2008م، ج 3، ص 352.

² أبو شهية، السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، ص 364.

7 - سليط بن عمرو إلى هوزة بن علي صاحب اليمامة.

فقد استعان سليط بن عمرو بثمامة بن أثال الذي كان شريكاً في الملك لهوزة، إلا أن هوزة كان أقوى منه في قومه، وكان ثمامة بن أثال قد أسلم قبل الحديبية، فاشتراط هوزة لإسلامه أن يكون له الأمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعندما أخبر سليط رسول الله بشرط هوزة قال صلى الله عليه وسلم: "لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وبإد ملكه" فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل عليه السلام بأن هوزة قد مات¹ فكان نجاح هذه السفارة أقل من غيرها، ولكن نتائجها أثمرت فيما بعد.

8 - عمرو بن العاص سفيراً إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان:

وصل عمرو بن العاص إلى عُمان، حاملاً رسالة رسول الله إلى ملكيها جيفر وعبد، وحوار الأخوين فأسلم عبد ثم تبعه جيفر و كانا تابعين لملك الروم هرقل.

وأخبر عمرو بن العاص الأخوين أن نجاشي الحبشة قد أسلم، ولم يدفع للروم درهماً بعد إسلامه، وإن ملك الروم عندما خُرض على النجاشي لأنه قطع الخراج عنه قال هرقل: "رجل رغب في دين واختاره لنفسه، ما أصنع به، والله لولا الضنّ بملكي لصنعت مثلاً صنع"². فأسلما وحسن إسلامهما، وأسلمت القبائل العربية بإسلامهم، ومكنا عمرو بن العاص وعاوناه على جمع الصدقات من الأغنياء وردها إلى الفقراء، وجمع الجزية وعندما ارتدت بعض القبائل عن الإسلام عند وفاة رسول الله ثبنا على الإسلام، وتعاوننا مع الجيش الذي بعثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمحاربة المرتدين حتى عادت عُمان بكل أهلها إلى الإسلام.³

وهكذا يتبين لنا أن عمرو بن العاص الذي فشل في سفارتين إلى النجاشي ضد المسلمين في جاهليته، نجح في سفارته هذه أكمل نجاح، مع أنه كان محملاً بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته واستخدم كل أساليب الكذب والخداع والمراوغة، إلا أن فشله كان ذريعاً.

¹ الزيلعي الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ج 4، ص. 425.

² الزيلعي الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ج 4، ص 423.

³ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ ج 2، ص 222-223.

وفي سفارته هذه استخدم الحجّة والبيان والذكاء الخارق في بيان مهمته التي وكله بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب الله له التوفيق والنجاح وأسلمت عُمان وقبائلها على يديه فسبحان مقلب القلوب.

9 - : سفارة رسول الله إلى اليمن وهم خمسة وفود.

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن كلال وإخوته بعد عودته صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل عليهم إلا نهاراً، وأن يتطهّر ويحسن الطهور، ويصلي ركعتين، وأن يسأل الله النجاح والقبول، وأن يأخذ الكتاب باليمين ويدفعه إليهم باليمين، فإنهم قابلون، وأن يقرأ عليهم " سورة البينة " فإذا فرغت فقل: آمين محمد وأنا أول المؤمنين. فلن تأتيك حجة إلا دحضت، فكان الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام، فأسلم الحارث وإخوانه ومن يلوذ بهم، فأصبحت أول سفارة إسلامية في اليمن.¹

وأما الرسالة الثانية فقد حملها معاذ بن جبل ومالك بن مرارة و أبو موسى الأشعري: وتضمنت شرائع الإسلام وتفاصيل الزكاة والأنصبة، وممن تؤخذ الزكاة ولمن تعطى، وعدم إكراه أهل الكتاب على الإسلام وأن عليهم الجزية، وأحكام الديّات والجروح قصاص، وعن خطورة الشرك والكبائر وغيرها من الأحكام.²

وأما الرسالة الثالثة فقد حملها خالد بن الوليد إلى همدان باليمن يدعوهم فيها إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم بعث رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام، فقرأ عليهم كتاب رسول الله فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله الكتاب خرّ ساجداً شكراً لله ثم رفع رأسه، فقال "السلام على همدان، السلام على همدان، السلام على همدان".³

وأما الرسالة الرابعة فقد حملها إلى اليمن عمرو بن حزم وكانت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهور عدة، وتضمنت أموراً إدارية وتنظيمية.

¹ الخثعمي السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن، ت 581هـ، الروض الأثف، دار الفكر - بيروت، د ط، 1409هـ، 1989م، ج 4، ص 251. (2) الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 121.

² ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت 751هـ مكتبة مصطفى الحلبي - مصر، 1970م، ج 3، ص 42

³ سابق، سيد، فقه السنة، دار الفتح للنشر - القاهرة، ط 21، 1420 هـ 1999م، ص 159.

وأما الرسالة الخامسة فقد حملها جرير بن عبد الله إلى قبيلتين باليمن يدعوهما إلى الإسلام فأسلما.

ويري الباحث أن اليمن قد حازت الكثير من السفراء و الرسائل، وأنها فتحت سلماً لا حرباً، وإن تأخر رسول الله في إيفاد الرسل إليها إلى ما بعد فتح مكة لأن الطريق لم تكن آمنة لوقوع مكة بين اليمن والمدينة المنورة، وقد نجح سفراء رسول الله في دعوة القبائل اليمنية إلى الإسلام، فالسفير الأول: المهاجر بن أمية أسلم على يديه زعماء أكبر قبائل اليمن، والسفير الثاني معاذ بن جبل وصاحبه حملوا اليهم شرائع الإسلام التفصيلية، والسفير الثالث " علي بن أبي طالب " أسلمت على يديه قبائل همدان.

والسفير الرابع "عمر بن حزم" فكان يحمل في طياته كتابه أنظمة إدارية وتنظيمية وتوجيهية تساعد على السيطرة التامة على اليمن.

وأما السفير الخامس "جرير" فقد كان مساعداً لمن سبقوه من السفراء، لأنه كان خبيراً باليمن لكونه من أهلها وقد صمد هؤلاء السفراء مع أهل اليمن في مواجهة الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وتمكنوا من قتله وإنهاء فتنته ليبقى اليمن السعيد حصناً للإسلام إلى آخر الدهر¹.

وإن تعدد السفراء الذين بعثوا إلى اليمن سببه تعدد القبائل اليمنية ومناطقها، التي كانت تسمى المخاليف، فلم يكن لها وحدة سياسية واحدة تجمعهم.

وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابييين الجليلين أبا موسى الأشعري وجرير البجلي في إدارة شؤون اليمن الإدارية والتنظيمية لمعرفةهما باليمن لأن أصولهم القبلية ترجع إليها، وقد قسمها رسول الله بين أصحابه إدارياً وخاصة بعد وفاة باذان الذي أقره رسول الله في منصبه حتى مات.

10 - :العلاء بن الحضرمي سفيراً إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين.

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، وأرسله مع العلاء بن الحضرمي، فكتب المنذر إلى رسول الله: "أما بعد، يا رسول الله، فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي

¹ ابن أثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص143-144.

مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك. " فكتب إليه رسول الله: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا اله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد: " فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح لنفسه، وأنه من يطيع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ¹."

وهنا ندرك تماماً أن رسول الله قد ترك للمنذر بن ساوى ملك البحرين، مثلما ترك للباذان حكم اليمن، ما داموا معتقدين للإسلام، وما دامت دعوة الله لا يحول بينها وبين عباد الله حائل، وأن الإسلام لا يلجأ لخيار الحرب إلا إذا تعذر خيار السلم والموادعة، وأن الكتاب الواحد والسمير الواحد قد ينتج أفضل مما تنتجه السيوف والحروب في دعوة الآخرين إلى دين الله تعالى.

المطلب الثاني: سفراء في أرض المعركة.

1 - نعيم بن مسعود:

استطاع حيي بن أخطب زعيم قبيلة بني النضير، التي أجلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة المنورة، أن يجمع قبائل قريش وغطفان وكنانة وغيرها من القبائل لمحاربة الرسول والمسلمين، بالإضافة إلى يهود بني قريظة الذين أقنعهم بنقض العهد والميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاصروا المدينة المنورة وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقد وصف الله حال المسلمين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ²﴾.

¹ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 3، ص 73. مرسى، عظماء الإسلام، ص 108.

² سورة الأحزاب، الآيتان 9 - 13

وأثناء هذا الحصار الذي طال أمده، وشقّ على المسلمين أثره، وإذا بنعيم بن مسعود يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لا يعلمون بإسلامي فمرني بما شئت، فطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخذل عنه القوم ما استطاع لأنهم لا يعرفون بإسلامه قائلاً له (إن الحرب خدعة)¹.

فذهب نعيم بن مسعود إلى بني قريظة - وكان عشيراً لهم في الجاهلية - وقال لهم: قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم وإني محدّثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نعم، فقال: تعلمون ما حلّ لبني النضير وقينقاع من إجلائهم وأخذ ديارهم وأموالهم، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وغيره، فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمدًا فاننقم منكم، قالوا: فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم مضى إلى قريش وقال لهم: تعلمون ودّي ونصحي لكم؟ قالوا: نعم قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض العهد مع محمد وأصحابه وقد راسلوه ليأخذوا منكم رهائن يدفعونها إليه ثم يوالونه عليكم ويرجع جناحهم التي كسرت - يعنون بذلك قبيلة بني النضير - فإن طلبوا منكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك.

وفي ليلة السبت من شوال - سنة 5هـ - بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة: أنا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع والخف، فهلا نناجز محمدًا، فرد عليهم اليهود أن اليوم يوم سبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ولن نقاتل حتى تبعثوا إلينا رهائن، فقالت قريش وغطفان: إنا والله لا نرسل إليكم أحدًا فأخرجوا معنا حتى نناجز محمدًا، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذل الفريقان، ودبت الفرقة بين صفوفهم وخارت عزائمهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب ويقول "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم"²، فأرسل الله الريح فقلبت قلوبهم وقلعت خيامهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب والخوف والبرد الشديد وتهيأوا للرحيل، وجاء حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بخبر رحيلهم، فأصبح الرسول والمسلمون وقد ردّ الله عدوهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال، فصدق الله وعده، وأعزّ جنده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير 56، باب الحرب خدعة 157، حديث رقم 3030.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير 56، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال ال بعد زوال الشمس 112، حديث 2965، ج 2، ص 330.

وفي الحال حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة، وقذف الله الرعب في قلوبهم، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، الذي قال "أرى أن يقتل الرجال، وتسبى الذراري والنساء وتقسّم الأموال"¹، وانتهى أمر بني قريظة إلى الأبد، لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله.

وعلى إثر غزوة بني قريظة خلت مدينة رسول الله من آخر قبائل اليهود، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وأورثهم الله أموالهم وديارهم، أغنت المهاجرين عن أموال وبيوت إخوانهم الأنصار.

وأما بالنسبة لقريش فقد هزمت الى غير رجعة كما قال صلى الله عليه وسلم "الآن نغزوهم، ولا يغرؤنا، نحن نسير إليهم"².

وهنا لا بد أن نشير دائماً وأبداً أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام قد أخذوا بأسبابه المادية، فحفروا الخندق بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه، وطلب رسول الله من نعيم بن مسعود أن يخذل عنه القوم فإن الحرب خدعة، فمثلاً كان المسلمون يدافعون بسيوفهم عن المدينة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، كان نعيم بن مسعود يعمل على إيقاع الخلاف والشقاق بين أعداء الإسلام مستغلاً حادثة إسلامه وعدم معرفتهم بذلك، وعلاقته القوية ببني قريظة وقريش، بالإضافة أنه من قبيلة غطفان التي كانت تشكّل حزباً من الأحزاب المعتدية على المدينة، ونجح في ذلك نجاحاً منقطع النظير، فقد خدم وقدم بدبلوماسية ما تعجز الجيوش عن تحقيقه رغم حادثة إسلامه، فسبحان القائل في كتابه العزيز ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾³.

2 - ربيعي بن عامر أمام رستم:

بعث سعد بن أبي وقاص قائد جيش المسلمين في معركة القادسية، ربيعي بن عامر إلى رستم قائد جيش الفرس بناءً على طلبه سفيراً، فدخل ربيعي على رستم بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكباً فرسه حتى داس طرف بساط رستم، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتم حين

¹ الحلي، السيرة الحلبية، ص 448.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، 64، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب 29، حديث رقم 4109، ج 3، ص 127.

³ البقرة، الآية 256.

دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق، فخرق عامتها، فقال له رستم: ما الذي جاء بك ؟ فقال ربي: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله، قال رستم: وما موعود الله ؟ قال ربي: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر والنصر على من بقي، فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال ربي: نعم وإن مما سن لنا نبينا أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية فنكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو الحرب والمنازعة في اليوم الرابع، وأنا كفيل على أصحابي، فقال رستم: أسيّد أصحابك أنت ؟ فقال ربي: بل أنا واحدٌ منهم، ولكنّا كالجسد الواحد بعضنا من بعض يجير أدنانا على إعلاننا، فخلا رستم برؤساء قومه، فقال هل رأيتم أو سمعتم كلاماً قط أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب، أما ترى إلى صفاقة ثيابه ؟ فقال رستم: ويحكم إن العرب تستخفّ بالثياب وتصون الأحساب فهم ليسوا مثلكم، فلا تنظروا إلى ثيابه ولكن انظروا إلى رأيه وكلامه.¹

3 - : عبادة بن الصامت أمام المقوقس.

أورد النويري أن عمرو بن العاص أرسل عبادة بن الصامت على رأس وفد إلى المقوقس في فتوح مصر، وطلب منه أن يكون المتكلم نيابة عن الوفد، وكان عبادة بن الصامت أسود البشرة، فلما ركبوا السفن ودخلوا على المقوقس، تقدّمهم عبادة بن الصامت، فهابه المقوقس لسواد لونه، فقال: نحوا هذا عني وقدموا غيره يكلمني.

فقالوا جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير علينا فلا نخالف رأيه وأمره قال المقوقس: كيف رضيتم أن يكون الأسود عليكم أميراً ؟ فقالوا: إنه من أفضلنا موضعاً وسابقة وعقلاً ورأياً، فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإنني أهاب سوادك، وإن أشتدّ كلامك، علي ازددت منك مهابة، فقال عبادة ابن الصامت: إني قد

¹ أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، ج 2، ص 401. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 19، ص 126.

خلفت من أصحابي ألف فارس هم أشدّ مني سوادًا وقوة وشبابًا، وإني بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي، فهال المقوقس ما سمع¹، وكان فتح المسلمين لمصر من أسهل الفتوح، لقناعة المقوقس بعدالة الإسلام وقوة المسلمين، وظلم أسياده الرومان.

المطلب الثالث: سفراء قريش إلى رسول الله في الحديبية.

ما أن وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء الحديبية على مشارف مكة يريد العمرة، مبتعدًا عن جهة جيش المشركين، لابسًا ملابس الإحرام ومقلدًا القلائد للهدي، حتى أخذت قريش ترسل رسلها إليه من أجل أن تصده عن دخول مكة فأرسلت إليه:

أ - بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بديل يصف لرسول الله قوة قريش وحلفائها، فأخبره رسول الله أننا لا نأتي لحرب أو قتال، وإنما جئنا معتمرين، فإن شاءوا مددناهم مدة، وإن أبوا إلا القتال، فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، فرجع بديل بن ورقاء يصف لقريش موقف المسلمين الحازم.

ب - السفير الثاني: عروة بن مسعود الثقفي الذي حاور الرسول وصحبه وحذّره قوة قريش، ولكن هاله حب أصحاب رسول الله لنبيهم، وقال واصفًا ذلك لقريش دخلت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا يعظّمه أصحابه مثلما يعظّم أصحاب محمد محمدًا، وإنه عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فرفضت قريش ذلك وأرسلت السفير الثالث.

ج - السفير الثالث: الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله قال لأصحابه هذا من قوم يتألّهون و يعظّمون الهدي والبدن فابعثوها في وجهه، واستقبله المسلمون يلّبون، فقال الرجل: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن بيت الله، وتحجّ لخم وجذام وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، هلكت قريش ورب الكعبة إنما هم عمّار، ورجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحلّ، هذا الهدي في قلائده، وقد أكل أوباره من شدة الحبس، فقالوا له: إجلس ما أنت إلا أعربي لا علم له، فقال: والله ما على هذا حالناكم وعاقدناكم، أن تصدّوا عن بيت الله من جاءه معظّمًا، وهدد بفسخ

¹ النويري،، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 19، ص 187، / الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع سليمان، الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، عالم الكتب - بيروت، تحقيق: محمد كمال، ط 1 1417هـ، ج 1، ص 244.

الحلف مع قريش قائلاً: "والله لننفرنّ عنكم نفرة رجل واحد"¹، فقالوا: مه، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

د- ثم أرسلوا مكرز بن حفص، ولم تفصل كتب السيرة عنه شيئاً إلا أنه رجل فاجر، ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

خراش بن أمية فعقرّوا بعيره، وأرادوا قتله فمنعهم سيّد الأحابيش، ثم أرسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، وأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء معتمراً لا محارباً، وأخرت قريش عودة عثمان، وأشيع بأنه قد قتل فكانت بيعة الرضوان التي سمعت قريش بها فها لها الأمر فأرسلت:

هـ - سهيل بن عمرو سفيراً إلى رسول الله فقال لأصحابه سهل الأمر لكم، متفائلاً باسمه، وقال سهيل لرسول الله: هات نكتب كتاباً فتم صلح الحديبية²، وبعد كتابة الصلح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام أن يذبحوا هديهم، فتلكئوا وترثثوا في ذلك، فقام رسول الله ونحر ما ساقه من الهدي بناءً على مشورة زوجته أم سلمة رضوان الله عليها، فتدافع المسلمون على ذبح هديهم.

وأثناء عودة المسلمين إلى المدينة نزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فطابت نفوسهم بها، لأن الله وصف ما حدث في الحديبية فتحاً مبيناً³.

ويرى الباحث أن الله وصفه فتحاً لما سيترتب عليه من خير للمسلمين، فقد رضي الله عن المسلمين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، وهذه غاية الغايات، وكذلك حيّد رسول الله قريش ليتقرّغ إلى يهود خيبر وفتحها، وإرسال رسله إلى ملوك العالم.

واستطاع المسلمون الاحتكاك بالروم عسكرياً لأول مرة في معركة مؤتة، واختلط المسلمون بالمشرّكين، فتعرّف المشركون على الإسلام فأسلم خلق كثير، وهذا ما جعل جيش المسلمين عند فتح مكة عشرة آلاف مقاتل بينما كانوا في الحديبية ألف وأربعمئة مقاتل، وهذا يعني تضاعف أعداد المسلمين بعد هذا الصلح.

¹ أبو شهية، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، ج 2، ص 328.

² الحكي، د حافظ محمد، مرويات صلح الحديبية، دار ابن القيم - الدمام، ط 1، 1411هـ، ص 169.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2004، مجلد 16، ص 183.

وهذا العمل الدبلوماسي الذي مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية فضح قريش أمام العرب في الجزيرة العربية، لأنها منعت المسلمين من أداء العمرة، وهذا كان يعدّ هتكاً لعرف كان يستهجنه العرب، ويتضح هذا من قول الحليس بن علقمة: هلكت قريش ورب الكعبة، أيمنع العمار والهدي والبدن من الوصول إلى بيت الله الحرام؟، وكيف يمنع من جاء معظماً لبيت الله من دخوله؟.

المطلب الرابع: أغراض السفارة

أغراض السفارة:

للسفارات أغراض ومهام تقوم بها لأنها وسيلة الوصل بين الأمم والشعوب والدول، ومن أغراض ومهام السفراء في الأسلام:

1. تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى الى الناس، فكانت مهمة مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة نشر الإسلام وتعليم أهل المدينة القرآن الكريم حتى سُميَ (بالمقرئ) فدخل أهل المدينة في دين الله أفواجاً¹.

وفي السنة السابعة للهجرة وبعد صلح الحديبية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله إلى زعماء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام قائلاً لهم في رسالته: "اسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين"، فمنهم من أسلم كملكي عُمان، ومنهم من رد ردّاً حسناً كهزقل، ومنهم من رد ردّاً قبيحاً ككسرى فارس².

2. فداء الأسرى وتبادلهم: وكان حكم الأسرى في الإسلام معروف، إما المن وإما الفداء، وكان الفداء يأخذ أساليب عدة منها:

أن يقوم اسرى الكفار بتعليم مجموعة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، أو يدفعوا مبلغاً من المال مقابل فك أسره كما حصل على أثر معركة بدر، أو أن يبادل المسلمون أسراهم بأسرى أعدائهم كما فعل الخليفة العباسي الواثق عند ما تبادل الأسرى مع الروم³.

¹ البوطي، فقه السيرة، ص 106.

² التابعي، محمد، السفارات في الأسلام، مكتبة مدبولي - القاهرة، ص 113.

³ السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ألروض الأنف، موقع الأسلام، ج 3، ص 132.

3. عقد الصلح والمعاهدات بين المسلمين وأعدائهم: ولعل من انصع الأمثلة على ذلك إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وخراش بن أمية رضي الله عنهما إلى قريش ليبيّنوا لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء معتمراً لا غازياً، فبعثت قريش سفرائها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أبرزهم سهيل بن عمرو الذي تم بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية¹.

4. للتهنئة والتعزية (المجاملات)

وقد أرسلت الدولة البيزنطية رسلاً لتهنئة الخليفة المهدي عندما بويع بالخلافة في بغداد، وعندما مات البردويل والد ملك الفرنجة كتب إليه صلاح الدين الأيوبي يعزّيه بوفاة أبيه، ويهنئه بجلوسه على العرش من بعده².

وما زال هذا العرف قائماً في أيامنا هذه ونشاهده عندما يولى حاكم على شعبه أو يموت.

5 للتبادل التجاري والثقافي:

وهذا أمر لا تستغني عنه الدول والشعوب في حياتها، فهي تتبادل المنافع التجارية والبعثات الثقافية فيما بينها، وقد تبادل هارون الرشيد مع شارلمان فيما بينهم الهدايا التي كانت مما تنتجه صناعاتهم في ذلك الوقت³.

6. المصاهرة والزواج

كان من مهام السفراء أحياناً أن يكون السفير واسطة الخطبة والمصاهرة بين زعماء القبائل والدول، فعندما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشي في الحبشة، طلب منه أن يخطب حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها من النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

¹ الصويكت، سليمان، السيرة النبوية عند الهيثمي، ف كتابه مجمع الزوائد، مجمع الملك فهد للطباعة – المدينة المنورة ج 1، ص

49. النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة – بيروت، ج 1، ص 316.

² عفيفي، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، ص 51.

³ أندريه، كلو، هارون الرشيد ولعبة الأمم، ترجمة صادق الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات – بيروت، ط 1 2005م

وسلم، فجهزها النجاشي مع الوفد العائد إلى المدينة المنورة وأصدقها بأربعمئة دينار، وأصبحت أم للمؤمنين¹.

المطلب الخامس: الأسباب التي تعطل العمل الدبلوماسي بين الدول

1. نشوب الحرب بين الدول مما يدفع الدولة الإسلامية أن تطلب من السفير مغادرة أراضيها في مدة محددة تحافظ بها على سلامته، وسلامة عياله وأعضاء سفارته، وأمواله ومتاعه، لأنه لا يجوز أن يُعتدى على السفير أو خطفه وأخذه رهينة نكاية بدولته: حتى ولو كانت الحرب قائمة: لقوله سبحانه وتعالى "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"².

والشاهد على ذلك أن أبا سفيان عندما وفد على المدينة على أثر مظاهرة ومناصرة قريش لبني بكر على خزاعة مخالفين في ذلك بنود صلح الحديبية الذي أبرموه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يتعرض لأي أذى من المسلمين، وقد سار في شوارع المدينة آمنًا، فقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق وعمر وعلي رضي الله عنهم لعلهم يجيبوه في تمديد الصلح، ولكنه رجع بخفي حنين³.

2. إذا رأى الحاكم المسلم خيانة من أحد سفراء الدولة الأخرى، كالتجسس، أو إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين، أو تحريض الرعية على السلطان، أو التناول على سيادة الدولة فعند ذلك ينبذ لهم على سواء مع المحافظة على دمه وعرضه وماله حتى يبلغ مأمنه⁴.

3. إذا تغيرت سياسة الدول الأخرى من مهادنة إلى محاربة، كأن يستبدل حاكم بآخر، أو تغيرت سياسته، مما يحدث خللاً في العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، كما جرى عندما جاء نقفور ملكاً للروم بعد زوال الملكة التي كانت على علاقة ودٍ واحترام مع هارون الرشيد، فأرسل للرشيد رسالة فيها من التهديد والوعيد مما أغضب الرشيد فرد عليه برسالة قال فيها "من عبد الله هارون

¹ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب - بيروت، ط 3، 1424 هـ / 1984 م، ج 2، ص 742 - 744.

² سورة التوبة: الآية 6.

³ البوطي: فقه السيرة: ص 390.

⁴ التابعي، السفارات في الإسلام: ص 184.

الرشيد إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، الجواب ما تراه لا ما تسمعه" ثم أرسل إليه جيشاً أدبه¹.

¹ القشغلندي، احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1987م ج 6، ص 446. السيوطي وتاريخ الخلفاء ص 231.

الفصل الرابع الحصانة الدبلوماسية

المبحث الأول: تعريف الحصانة الدبلوماسية ومشروعيتها.

المطلب الأول: الحصانة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مشروعية الحصانة الدبلوماسية.

المطلب الثالث: الحصانة التي وفرها الرسول للوافدين إليه.

المبحث الثاني: الحصانة التي وقّرها الرسول للسفراء الوافدين إليه.

المطلب الأول: معاملة سفراء ما قبل الهجرة.

المطلب الثاني: معاملة سفراء ما بعد الهجرة.

المبحث الثالث: سفراء الإسلام ضحايا الإرهاب.

المطلب الأول: الشهيد الحارث بن عمير الأزدي.

المطلب الثاني: شهداء ماء الرجيع.

المطلب الثالث: شهداء بئر معونة.

المطلب الرابع: سفارة خراش بن أمية وعثمان بن عفان الى قريش.

المطلب الخامس: الشهيد حبيب بن زيد الأنصاري.

المطلب السادس: الشهيد فروة بن عمرو الجذامي.

المبحث الرابع: ردود الرسول صلى الله عليه وسلم على من آذى رسله.

المطلب الأول: ردوده عندما كان في مكة قبل الهجرة.

المطلب الثاني: ردوده عندما كان في المدينة بعد الهجرة.

المطلب الثالث: تطبيقات نبوية في الحصانة الدبلوماسية.

الفصل الرابع: الحصانة الدبلوماسية.

المبحث الأول: تعريف الحصانة الدبلوماسية ومشروعيتها.

المطلب الأول: الحصانة لغة واصطلاحاً.

الحصانة لغة: من الحصن، وهو كل موضع حصين لا يمكن الوصول إلى جوفه¹، فنقول مثلاً درع حصين، أي أنه محكم.

وقد جاء في مختار الصحاح: أن أصل كلمة حصانة يرجع إلى كلمة حصن، والحصن واحد الحصون، ويقال حصن حصين، وحصّن القرية تحصيناً؛ أي: بنى حولها وتحصن من العدو.²

والحصن هو المكان، وحصانة معناها المنع، وتحصن؛ أي: اتخذ له حصناً ووقاية.³

والحصانة لغة: مصدر من الفعل "حصن" ويقال حصن المكان فهو حصين، أحصنه صاحبه، والحصن كل موضع لا يوصل إلى ما في جوفه.⁴

والحصانة مصدر الفعل حصن، وأصل هذه الكلمة يدل على الحفظ والحياطة والحرز، يقال حصّن المكان يحصّنه حصانه فهو حصن منيع، وحصن حصين؛ أي: منيع، كما يطلق الحاصن والحصان على المرأة المتعفة ومنه قول حسان بن ثابت:

حصانٌ رزانٌ ما تُزَن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

فالحصانة تدل على المنعة والقوة التي تمنع الغير من الوصول إلى من اتصف بها بإيذاء أو تنقّص.

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1190

² الرازي، مختار الصحاح، ص 140.

³ ابراهيم انيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 201.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 100.

أما الحصانة اصطلاحًا.

لم يرد لفظ الحصانة الدبلوماسية في النصوص الشرعية، ولا في كتب الفقهاء المسلمين على الإطلاق، وإنما ورد مصطلح المحصّن والمحصّنة والإحصان في ما يتعلق بالرجل والمرأة في بيان عقوبة الزنا مثل:

1- (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات)¹، بمعنى العفيفات عن الوقوع بالزنا. 2- (والمحصنات من النساء)²؛ أي: ذوات الأزواج. 3- (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)³ بمعنى الحرائر.

وقد اشتملت كتب الفقهاء على مصطلح (عقد الأمان) الذي توفّره الدولة الإسلامية لمن يدخل أراضيها بإذنها للقيام بالسفارة أو السياحة أو التجارة أو التعليم. وتعني في الوقت الحاضر الحماية والرعاية التي يتمتع بها السفير أو الرسول والتي توفرها عادة الدولة المضييفة، فيشعر السفير بالأمان على نفسه وعياله وأمواله وعرضه، حتى يتمكن من القيام بعمله على أكمل وجه بدون خوف أو وجل، ويقول أبو الهيثم أستاذ القانون الدولي (بضرورة حماية المبعوث الدبلوماسي من الاعتداء عليه والحفاوة به)⁴.

وعرّفها القاموس السياسي (إعفاء بعض الأشخاص أو الهيئات من ولاية القضاء التي يتمتع بها رؤساء الدول الأجنبية وممثلوها السياسيون)⁵.

وقد أصبحت سياسة متبعة بين الحكومات تتضمن عدم ملاحقة ومحاكمة الدبلوماسيين تحت طائلة قوانين الدولة المضييفة، وتم الاتفاق على الحصانة الدبلوماسية في مؤتمر فينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961م.

وتشمل الحصانة السياسية: الحصانة الشخصية، والمالية، والقضائية.

وقد تزامن وجود الحصانة مع وجود الدبلوماسية عبر التاريخ البشري، وقد عرفت الدول والشعوب منذ القدم، وكان لها مكانة وقداسة عظيمة عند بعض الأقاليم، وقد أشبع فقهاء الإسلام موضوع عقد الأمان

¹ سورة النور، الآية 23.

² سورة النساء، الآية 24.

³ سورة النساء، الآية 25.

⁴ أبو هيثم، علي صادق، القانون الدبلوماسي، ص 158.

⁵ عطية الله، القاموس السياسي، ص 580.

بحثاً في كتب الفقه المعتبرة مستلهمين ذلك من معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للرسول الوافدين عليه وحسن استقبالهم.

المطلب الثاني: مشروعية الحصانة الدبلوماسية:

مشروعية الحصانة الدبلوماسية

أدلة الكتاب: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾¹ فهذه الآية تدل على عدم جواز ان تمس حصانة الرسل والسفراء لأن المستجير والمستأمن لهما الأمان والحماية طوال مدة إقامتهم في الدولة الإسلامية². ويقول الإمام الطبري في تأويل هذه الآية: "وإن استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم بعد إنقضاء الأشهر الأربعة لسماع كلام الله منك وهو القرآن الذي أنزله الله عليك فأجره"³ ويقول الإمام الخطابي "إن الله حقن دماء الرسول أو السفير بهذه الآية حتى يبلغ مأمنه، ويعود بجواب ما أرسل به"⁴.

وجاء رجل من المشركين إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد إنقضاء الأشهر الأربعة فيسمع كلام الله أو يأتيه بحاجة قتل؟، فقال علي رضي الله عنه: لا لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ...﴾⁵، وهنا استدل علي رضي الله عنه بهذه الآية على حماية الرسل القادمين إلى دار الإسلام.

وأما من السنة فإن مسيلمة الكذاب أرسل كتاباً مع رسولي ابن النواحة وابن أثال، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتشهدان أنني رسول الله؟ فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال الرسول عليه السلام: آمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما"⁶.

¹ سورة التوبة، الآية 7.

² ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 2، ص 338.

³ الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، دار الفكر - بيروت، د ط، 1405م، ج 10، ص 79.

⁴ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، معالم السنن بهامش ابن داود، دار الكتب العلمية - بيروت، د ط، 1981م ج 3، ص 193.

⁵ الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ج 8، ص 76-77.

⁶ أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في الرسل، رقم الحديث 2761، ج 2، ص 289، والحديث صحيح، صححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث 2761، ج 6، ص 261.

ويقول الشوكاني معلقاً على هذا الحديث "الحديث يدل على تحريم قتل الرسل الواصلين من الكفار، وإن تكلموا بكلمة الكفر في حضرة الإمام أو سائر المسلمين".¹

وعندما وُجد ابن النواحة في المدينة في وقت آخر ولم يكن سفيراً قال له عبد الله بن مسعود: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

لولا أنك رسول لضربت عنقك، فأنت اليوم لست برسول، وأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى ابن النواحة قتيلاً في السوق".²

وهنا ندرك الحصانة التي تمتع بها ابن النواحة عندما كان متلبساً في عمله كسفير فلم يقتله رسول الله وعلل ذلك لكونه رسولاً وسفيراً، ولكن عبد الله بن مسعود قتله في اللحظة التي لم يكن بها رسولاً، فلا يجوز الغدر بالسفراء، وقال علي رضي الله عنه "وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر".³

وقال الإمام محمد بن حسن الشيباني: "لو أن رسول ملك أهل الحرب جاء إلى معسكر المسلمين، فهو آمن حتى يبلغ رسالته".⁴

ومن خلال ما أسلفنا يتبين لنا أن حماية السفير لا تقع على الإمام وحده، بل على المسلمين جميعاً، ويبقى السفير على أمان ويتمتع في عقد أمان الرسل، وإن توفى الحاكم الذي أعطاه إياه.

¹ الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار، دار الجليل – بيروت، د ط، 1973م، ج 8، ص 182.
² أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في الرسل، حديث رقم 2772، ج 2، ص 289. والحديث صحيح صححه الألباني صحيح وضعيف أبي داود رقم الحديث 2662، ج 6، ص 262.

³ الشيباني، السير الكبير، ج 1، ص 320.
⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 251.

المطلب الثالث: الحصانة التي منحها رسول الله للرسول الوافدين إليه:

1. معاملة سفراء ما قبل الهجرة:

لا شك أن الله تعالى بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ وقال عليه الصلاة والسلام لعلّي "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"² وكان صلى الله عليه وسلم لا يترك مناسبة ولا فرصة ولا سوقاً ولا نادياً إلا ودعا من خلاله إلى الإسلام. ولا يخلص إلى وفدٍ قادم إلى مكة إلا ودعاه إلى الإسلام، رغم المعوّقات التي كانت تضعها قريش في طريقه، فكانت تعترض الوفود القادمة إلى مكة المكرمة للتضليل والتشويه، فتصف رسول الله بالسحر والشعر والكذب والكهانة والجنون.

ولكن هذه الوفود ما إن تسمع من رسول الله قولاً، أو ترى منه فعلاً حتى ينقلب السحر على الساحر، وتخرج من عند رسول الله بوجه يشرق الإيمان منها، معلنة إسلامها بشجاعة على رؤوس الأشهاد من قريش، أو مبدية إعجابها برسول الله، فتساله وتصالحه، أو مترتبة بإعلان إسلامها حتى يظهره الله على قومه.

ومن وفود وسفراء ما قبل الهجرة:

1 - وفود أشراف قريش إلى أبي طالب عمّ رسول الله لمنعه من الدعوة إلى الله أكثر من مرة ؛ حيث كان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه وأشراف قومه واضحاً فقال: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم استعبر وبكى ظاناً أن عمّه خاذله" فلما ولّى ناداه عمه وقال: اذهب يا ابن أخي وقل ما أحببت والله لا أسلمك أبداً وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

¹ سورة الأنبياء، الآية 107.

² صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير 56، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، 102، 3/ 1077. وفي مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، 4/ 1872.

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيوناً¹

2 - وبعد إسلام الصحابييين حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما تطوَّع عتبة بن ربيعة وكان سيِّداً في قومه مطاعاً، أن يعرض على رسول الله أموراً لعلَّه يقبلها، فقصد عتبة رسول الله قائلاً: يا ابن أخي إن كنت تريد مما تدعو إليه مالاً جمعنا لك حتى تصبح أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا، وإن كنت تريد علاجاً طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فلما فرغ عتبة بن ربيعة من كلامه قال رسول الله: " هل فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: "فاسمع مني ". فقال: أفعل، فقرأ رسول الله عليه أوائل سورة فصلت، ثم قال: " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك". فقام أبو الوليد إلى قومه مبيناً لهم الذي سمعه من محمد ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة، وطلب منهم أن يتركوا رسول الله وشأنه، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، فقالوا له: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم.

وعند ابن كثير في تفسيره ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾². قال عتبة: حسبك، حسبك، ووضع يده على فم رسول الله وناشده بالرحم أن يكف عن القراءة وذلك مخافة أن يقع النذير، ثم قام إلى القوم فقال ما قال - واعترض رسول الله وهو يطوف بالكعبة أربعة من أشرف قريش وهم: الأسود بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل.

وعرضوا على رسول الله أن يعبد ما يعبدون، ويعبدون ما يعبد، لينال كل طرف خير ما يعبد الطرف الآخر على حد زعمهم، فأنزل الله سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾³، ثم عرضوا عليه تبديل القرآن أو التنازل عن بعض آياته، فأنزل الله ﴿وَإِذَا تُلِّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

¹ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، د ط، ج11، ص 167.

² سورة فصلت، الآية 13.

³ سورة الكافرون

أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنْني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ¹.

وكان رد رسول الله حاسماً في ذلك، فقد قنطهم مما تطمح نفوسهم إليه من صده عن بعض ما أنزل الله إليه من الكتاب، فزادهم غيظاً عليه، واضطهاداً له ولأصحابه رضوان الله عليهم.²

4 - وبعد خروج رسول الله والمسلمين من شعب أبي طالب على إثر نقض وشق صحيفة المقاطعة الظالمة، ازداد المرض على أبي طالب، فقام خمسة وعشرون من سادات قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، وأمّية بن خلف، وعرضوا على أبي طالب أن يكف رسول الله عنهم ويكفوا عنه، ويدعهم لدينهم ويدعونه لدينه، فقال لهم رسول الله " أرأيتم إن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها، ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم " فقال أبو جهل: لنعطيكها وعشر أمثالها، فقال صلى الله عليه وسلم: "تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه " فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، ما سمعنا بهذه في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ؟، ثم قال بعضهم لبعض: والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئاً مما تريدون، فانطلقوا واصبروا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قاموا فرعين ينفضون ثيابهم.³

وفيه قال الله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا حِينٌ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ⁴﴾.

وهكذا يرى الباحث أن سفراء قريش كانوا يأتون إلى رسول الله ليفاوضوه بعد أن يفشلوا في محاجته بما لديهم من فصاحة وبلاغة وبيان، وكانت كل سفارة تأتي إلى رسول الله بعد أن يضيقوا عليه وعلى أصحابه، فسمية وزوجها ياسر رضي الله عنهما أول الشهداء الذين فاضت أرواحهم إلى بارئها تحت التعذيب، وعمار بن ياسر أول من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يملك رسول الله إلا أن يواسيهم بقوله: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

¹ سورة يونس، الآية 15.

² ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط 1، 1420هـ - 2000م، ج 30، ص 509.

³ أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 8، ص 6965.

⁴ سورة ص، الآيات 1-7.

وزيّرة الأمة السوداء تستشهد في سبيل الله على يد بني مخزوم، بعد أن كانت من مواليهم قبل إسلامها، وبلال بن رباح ملقى على رمضاء مكة المكرمة الحارة، وقد وضع على صدره صخرة كبيرة، وسيده أمية بن خلف جلده بسياطه وتتبعث منه كلمات الصبر والتوحيد والاستعلاء أحد، أحد، أحد.

والمسلمون المستضعفون يختبئون في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعيداً عن أعين قريش خوفاً على أنفسهم، وفريق من المسلمين قد هاجر إلى الحبشة فراراً بدينه في جوار ملك لا يظلم عنده أحد، ثم آل الأمر بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومن ناصرهم من بني هاشم إلى شعب أبي طالب بعد أن اتفقت قريش على مقاطعتهم، وأخذ منهم الجوع مأخذه لمدة ثلاث سنين حتى تنادى بعض أشرف مكة لفك الحصار الظالم عنهم¹.

ورغم ذلك كانت قريش تشعر بقلق بالغ حيال صمود وثبات المسلمين، وفشل محاولاتها في ثنيهم عن دينهم، وإسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسماع القبائل لأخبار ما يجري بين قريش ورسول الله، مما جعلها ترسل وفودها وسفراءها إلى رسول الله، لعلها تحقق نجاحاً دبلوماسياً ينهي ظاهرة النبوة أو تغير مسيرتها ولكن أتى لهم ذلك.

فاستخدمت وسائل الترغيب والترهيب، وعرضت الذهب والسيوف، فعرضت على رسول الله الملك والمال والجاه والزواج، والمساومة على الدين: نعبد إلهك عاماً وتعبد آلهتنا عاماً، وعرضت على أبي طالب أن تعطيه شابين من خيرة أبنائها مقابل أن يفرط بآبائه أخيه لقتله، واستخدمت قريش وسائل القتل والتنكيل والتجويع والمقاطعة، ولكن جواب الرسول وصحبه الكرام إما أن يعيشوا مسلمين سعداء أو يموتوا شهداء.

2. معاملته صلى الله عليه وسلم للرسول الوافدين عليه بعد الهجرة:

لقد حظي الرسل القادمون على رسول الله بما لا يحظى به أي رسول إلى أي ملك من الملوك، أو زعيم من الزعماء، فقد تمتّعوا بالأمن والأمان، وحسن الضيافة والاستقبال.

¹ ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص299 - 302.

فقد خصص رسول الله للوفود والسفراء مساكن للنوم والراحة والإكرام، واختار لهم خير البيوت وأوسعها، مثل دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه التي أطلق عليها "الدار الكبرى" لسعتها، وهي أول دار بناها أحد المهاجرين بعد هجرتهم إلى المدينة.

وكان عبد الرحمن بن عوف يستقبل بها ضيوف رسول الله وكانت تسمى "دار الضيفان" وكذلك جعل رسول الله دار رملة بنت الحارث من بني النجار مكاناً لإسكان الوفود وإطعامهم، وكانت واسعة جداً حتى أن رسول الله قد جمع وحبس فيها يهود "بني قريظة" لما نزلوا على حكمه على إثر غدرهم في غزوة الخندق.¹

وقد أنزل رسول الله وفد ثقيف في دار المغيرة بن شعبه ووفد نجران في دار أبي أيوب الأنصاري، وأنزل عبد الرحمن بن مالك الهمداني في دار يزيد بن أبي سفيان، وأعطى وفداً من هوازن هدايا ثمينة، وقبل هدية عامل هرقل على معان، وقد أكرم رسول الله بخمسمائة درهم، المرسل مع رسوله فروة بن عمرو الجذامي، وأكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقدم لهم أجود الطعام، وأبرد الشراب، ويأمر بلالاً بخدمتهم، وكان إكرام رسول الله للوفود والرسل يتفاوت قلة وكثرة بحسب الإمكانات المتاحة والمتوفرة، حتى يتمكن من إيصال رسالته إلى العالمين على أكمل وجه.

لذلك كان إكرامهم لا يتوقف على الاتفاق مع الوفد أو الاختلاف معه، بل هي حالة منفصلة عن ذلك تماماً، فكان يتم احترام الوفد وإكرامه ولو كان يحمل التهديد للنبي كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد مسيلمة الكذاب الذي شهد لمسيلمة بالرسالة في حضرته صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك أكرمه واستضافه وأبلغه مأمنه.²

وعندما وصل سفير هرقل إلى رسول الله أثناء وجوده في تبوك بعد أن نصره الله بالرعب من مسيرة شهر، استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة هرقل، ومكّن سفيره من رؤية خاتم النبوة بناءً على وصية هرقل.

¹ علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط 4، 1422 هـ - 2001 م ج 9 ص 331.

² الفتاوي، الحصانة الدبلوماسية، ص 30.

وقال له "إنك رسول وإن لك حقًا، ولكنك جئتنا ونحن قوم مرمّلون؛ أي: (مسافرون) ولو كان عندنا جائزة لجوّزناك بها". فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنا أكسوه حلة صفورية يا رسول الله¹، وقال رجل من الأنصار: علي ضيافته².

وعند الشنقيطي في أضواء البيان "أن النبي لما ظهر على خيبر قسّمها ستة وثلاثين سهمًا، فكان لرسول الله والمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الباقي لمن ينزل به من الوفود والأمور ونواب الدهر"³

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الوفود والسفراء في مسجده، وقد خصص يوم الجمعة لاستقبالهم، وشكل فريقًا من الصحابة لاستقبالهم يضم أبا بكر الصديق وبلال بن رباح وخالد بن سعيد وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وربيع بن كعب الأسلمي لينظّموا دخولهم عليه.

وقام رسول الله بخدمة وفد النجاشي بنفسه، فقال له الصحابة الكرام: يا رسول الله دعنا نكفيك خدمتهم، فقال إنهم قد أكرموا إخواننا - يعني بذلك مهاجري الحبشة -، وكان رسول الله يلبس أحسن وأجمل ما عنده من الثياب، وأمر أصحابه بذلك، فقد استقبل وفد كندة ولبس حلة يمانية وأبو بكر وعمر مثل ذلك.

وعند وفاته أوصى بالسفراء والوفود خيرًا فقال "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم..⁴ أي أعطوهم الجائزة أو العطية، وهذا أمر منه بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييبًا لنفوسهم، وترغيبًا لهم ولغيرهم من المؤلفة قلوبهم بالإسلام، وإعانة لهم في سفرهم.

وهكذا نرى أن هذه الوصية تؤكد أن إكرام الرسل كان سنة متبعة عند رسول الله لكل الوفود، إذ أعطى فروة بن مسيك اثني عشر أوقية، وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حلة من نسج عُمان، وهكذا عامل بقية الوفود، فكان يكسوهم بُردًا ويحملهم طعامًا.

¹ حلة صفورية: جنس من الثياب (تاج العروس)

² ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 2، ص 40.

³ الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 2، ص 97./ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج 3، ص 119.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الوصية 25، باب ترك الوصية لمن لم ليس له شيء يوصي به 5، حديث رقم 4232، ص 621

ومن الجدير ذكره أنه ما زالت هنالك سارية في المسجد النبوي تسمى سارية الوفود، وكان لها دكة من الطين تجلس عليها الوفود أثناء استقبالها¹، وذكر ابن القيم في زاد المعاد أكثر من ستين وفدًا قدموا على رسول الله عام الوفود²، بينما ذكر ابن سعد في الطبقات أكثر من سبعين وفدًا ما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مسلمين أو مسالمين وكان يستقبلهم بأجمل ثيابه، وإنه كتب أكثر من ثمانين كتابًا ووثيقة بينه وبين الآخرين سواء كانوا من أعدائه أو أصدقائه³ وقد وضع المسلمون ديوانًا جديدًا يسمى "ديوان الإنشاء" وهو أول ديوان وضع في الإسلام، يتضمن مكاتبات النبي إلى الملوك والأمراء وشيوخ العشائر ومعاهدات الهدنة مع قريش.

ويرى الشيخ ابن العثيمين أن رسول الله قد أحرَّ حجه إلى العام العاشر للهجرة، ولم يحج في العام التاسع للهجرة الذي فرض الله فيه الحج لثلاثة أسباب:

أولاهما: لتكاثر الوفود والسفراء الوافدين إلى المدينة المنورة في ذلك العام، إما مسلمين ليتعلموا أمور دينهم، وإما مسالمين للرسول ومعاهدين، وهذا فيه فوات مصلحة عظيمة للإسلام والمسلمين، لذلك حرص رسول الله على تحقيقها وعدم التفريط بها.

وثانيهما: إن العام التاسع للهجرة كان آخر عام حج فيه المسلمون و المشركون معًا، فاختار الله لنبيه أن لا يكون حجه فيها أخلاط من المشركين، وكان أمير الحج أبا بكر الصديق، ونودي بأنه لن يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وثالثهما: حتى تكون هذه الوفود المسلمة ضمن حجاج بيت الله الحرام في العام العاشر للهجرة فيكون ذلك أكثر جمعًا للمسلمين.⁴

وما يراه الباحث من خلال ما تقدم، إن عام الوفود شهد دخولاً في دين الله أفواجًا، ووجدوا من المعاملة الحسنه ما شرح الله به صدورهم. وكانت أعدادهم تزيد على سبعين وفدًا، و يدل على ذلك أن جيش

¹ أبو عبيد، عارف خليل، العلاقات الدولية، دار النفائس - عمان، ط 1، 1427هـ، 2007م، ص 56. شرح بلوغ المرام / عطية بن محمد سالم، الشبكة الإسلامية، درس رقم 231.

² ابن القيم الجوزية، زاد المعاد ج 3، ص 31 - 65

³ العلامة الزرقاني، (ت 1122هـ)، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني (ت 923هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1417هـ - 1996م، ج 5 ص 113 - 237. ابن سعد، الطبقات، ص 290 - 358.

⁴ اللقاء الشهري، محمد بن صالح العثيمين، موقع الشبكة الإسلامية اللقاء 15، ص 3. لقاء 62، 72.

المسلمين في فتح مكة كان عشرة آلاف مقاتل، وبعدها في غزوة تبوك بلغ ثلاثين ألف مقاتل، وفي حجة الوداع بلغ من صحب رسول الله أكثر من مائة ألف من المسلمين يشهدون حجة الوداع.

وقد أعد رسول الله لهذه الوفود من حسن الضيافة والاستقبال والأعطيات ما سرّهم وألّف قلوبهم، ومن الحصانة التي تحفظ للوفد والسفير دمه وعرضه وماله حتى يبلغ مأمنه بعد أن يوصل رسالته ويسمع كلام الله.

وكان مسجد رسول الله يعجّ بالوفود والسفراء مسلمين ومسالمين، ورسول الله يستقبلهم بأجمل ثيابه، ويقدم لهم أجود ما عنده من الطعام والشراب، ويقوم على خدمتهم، وقد نصب لهم خياماً داخل المسجد ليسمعوا كلام الله، وهذا ما حدا بأعداد كثيرة من هذه الوفود أن تعلن إسلامها عندما شاهدت صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وطريقة عيشهم ومعاملتهم.

المبحث الثاني: سفراء الإسلام ضحايا الإرهاب.

المطلب الأول: الشهيد الحارث بن عمير الأزدي سفيراً إلى ملك بصرى الشام.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني في قرية مؤتة، فقال له: أين تريد؟ قال: "أريد الشام"، قال شرحبيل: "لعلك من رسل محمد؟"

قال الحارث: "نعم أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم" فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره.¹

وعلى إثرها جهّز رسول الله جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، وأمرهم بالمسير إلى مؤتة حيث استشهد الحارث بن عمير، وكانت معركة مؤتة أول احتكاك عسكري بين المسلمين والروم ثأراً لهذا السفير الشهيد رضي الله عنه، وقد استعمل رسول الله على هذا الجيش زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليترض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم، وقد تتابع القادة الثلاثة استشهاده.²

وهنا يرى الباحث أن عبارة محمد الخضري رحمه الله بأنه لم يقتل لرسول الله رسولاً غيره غير دقيقة إلا إذا كان يعني الرسل الذين بعثهم في آن واحد بعد صلح الحديبية مباشرة، لأن شهداء بئر معونة والرجيع كانوا من السفراء الذين قضوا نحبهم في سبيل الله سبحانه تعالى.

¹ الخضري، محمد، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مكتبة الإيمان - المنصورة - مصر، ط 1، 1415 هـ - 1994 م ص 170.

² الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، دار الفجر - القاهرة، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ج 2، ص 488 - 489.

المطلب الثاني: شهداء ماء الرجيع.

في السنة الرابعة للهجرة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من قبيلتي عضل وقارة، وذكروا أن فيهم إسلامًا، وسألوا الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم الدين ويقرؤهم القرآن. فبعث معهم ستة رجال، أو عشرة رجال، فلما كانوا على ماء الرجيع، استصرخوا عليهم حيًا من هذيل فأحاطوا بهم من كل جانب.

وأعطوهم العهد والميثاق أن لا يقتلوا منهم أحدًا إذا استسلموا. فنزل ثلاثة منهم على عهدهم فغدروا بهم فقتلوا واحدًا وباعوا إثنين لقريش لتأخذ ثأرها منهم، منهم خبيب بن عدي الذي قتلوه صلبًا عندما رفض أن يعطيهم الدنية في دينه.

فقالوا له: أتحب أن يكون محمدًا في مكانك هذا وأنت معافي في أهلك؟ فقال: والله لا أحب أن يشاك محمدًا بشوكة وأنا في مكاني هذا. فلما أجمعوا على صلبه، قال: دعوني أصلي ركعتين فصلاهما، وقال: والله لولا أن تقولوا: إن ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا وأقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا، ثم أنشد قائلاً

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي.

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع.

ولست بمبد للعدو تخشعًا ولا جزعا إني إلى الله مرجعي

وفي الصحيح أن خبيب أول من سنّ الركعتين عند الاستشهاد، وأنه روي وهو أسير يأكل قطعًا من العنب وما بمكة ثمرة.¹

أما عاصم بن ثابت ومن بقي معه فقد قاتلوا حتى نالوا الشهادة في سبيل الله، وقد بعثت قريش جماعة لإحضار جمجمة رأسه، ولكن الله حال بينهم وبينه، حيث أحاطت به الدبابير من كل ناحية، لأن عاصمًا عاهد الله ألا يمس مشرکًا، أو يمسّه مشرک. وقال: "اللهم إني حميت دينك أول النهار،

¹ المباركفوري، صفى الدين، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة مصر، ط 21، 1431 هـ 2010 م، ص 260. / الأصبهاني، أحمد، معرفة الصحابة، ج 2، 221-222.

فاحم لحمي آخر النهار". وكانت سلافة بنت سعد، قد نذرت أن تشرب بقحف رأسه خمراً، ثم أرسل الله سيلاً فحملة إلى مكان بعيد.¹

المطلب الثالث: شهداء بئر معونة:

وفي نفس الشهر الذي حدثت به مجزرة الرجيع، حصلت مأساة بئر معونة، ووصل خبرهما لرسول الله في ليلة واحدة، فغلب عليه الحزن والقلق، ودعا على من قتلهم في صلاة الفجر ثلاثين صباحاً. فقد قدم أبو البراء بن عامر بن مالك الملقب "ملاعب الأسنة" إلى المدينة المنورة، فدعاه رسول الله إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يسلموا.

فقال "إني أخاف عليهم أهل نجد" فقال أبو البراء: أنا جار لهم، فبعث رسول الله معهم سبعين رجلاً من خيار المسلمين وفضلائهم وقرائهم، فساروا ونزلوا بئر معونة، وأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فلم يقرأ الكتاب، وأمر رجلاً فطعنه من خلفه، فلما أنفذها ورأى الدم وقد نضح عليه، قال حرام: الله أكبر فزت ورب الكعبة، فدعى عامر بن الطفيل قبائل عسيرة ورعل وذكوان، وأحاطوا بأصحاب رسول الله من كل جانب، فقاتل المسلمون حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد الذي تظاهر بالموت فظنوه ميتاً فنجوا. وكان عمرو بن أمية والمنذر بن عقبة في سرح الدعاة المسلمين فشاهدوا الطير تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر وقاتل المشركين حتى قتل، وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما علموا أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه، فرجع عمرو بن أمية الضمري إلى المدينة المنورة يحمل أخبار المصاب الجلل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.²

وهذا يبين لنا ما كان يتحمله سفراء الأسلام من القتل والأسر والصلب والغدر في سبيل حمل الإسلام إلى الآخرين، وكانوا يستعذبون الموت في سبيل الله، كما قال حرام بن ملحان عندما طعن وفار الدم من جرحه: فزت ورب الكعبة.

¹ المصري، أصحاب الرسول، ج 2، ص 154. د/ عبد الرحمن رأفت، صور من حياة الصحابة، دار النفائس - بيروت، ط 1 1412هـ، ص 381. الخصري، نور اليقين، ص 128.

² ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 2، ص 122. المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 260. السيوطي، الخصائص الكبرى، ج 1، ص 369.

المطلب الرابع: سفارة خراش بن أمية ثم عثمان بن عفان إلى قريش وما تعرضا له:

فقد بعث رسول الله خراش بن أمية، إلى قريش على جمل له يقال له الثعلب، ليبلغ عنه أشرافهم بما جاء له، فعقر عكرمة بن أبي جهل الجمل، وأرادت قريش قتل خراش بن أمية، فمنعهم سيد الأحابيش، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله فأخبره بما لقي، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش، بعد مشورة مع عمر بن الخطاب وأصحابه الكرام ليخبرهم أنه لم يأت لقتال وإنما جاء معتمراً، وأمره أن يأتي المستضعفين في مكة من المسلمين ويبشرهم بالفتح القريب.

وقد عرضت عليه قريش أن يطوف بالبيت، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله، ثم بلغ رسول الله أن عثمان قد قتل، فدعى رسول الله أصحابه لبيعة الرضوان، وضرب رسول الله بإحدى يديه على الأخرى، وقال هذه عن عثمان بن عفان، ثم أفرجت قريش عن عثمان مقابل بعض أسرى المشركين الذين وقعوا في يد المسلمين.¹

ويرى الباحث أن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قد نجح في إيصال رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش، وأقنعهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام قد جاؤوا معتمرين لا محاربين، مما جعل قريش تسفر سهيل بن عمرو نيابة عنها ليقاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر صلح الحديبية، علاوة على ذلك فإن عثمان رضي الله عنه كان موضع ثقة عند قريش لقربته من زعمائها، ولدماثة خلقه الذي كان معروفاً به.

¹ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط 1، 1968م، موقع الوراق، ج 2، ص 96. الصالحى الشامى، الإمام محمد بن يوسف (ت 942هـ)، سبل الهدى والرشاد، ط 1، 1414هـ-1993م، دار الكتب العلمية - بيروت، ج 5، ص 46 - 49.

المطلب الخامس: الشهيد حبيب بن زيد رضي الله عنه.

وصل سفيراً مسيلمة الكذاب إلى المدينة المنورة، يحملان رسالته إلى رسول الله، التي يقول فيها: "أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقریش نصف الأرض، ولكن قریشاً قومًا يعتدون"، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما تقولان أنتما؟ فأجابا: نقول كما قال. فقال لهما: "أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"¹.

ثم أرسل رسول الله حبيب بن زيد برسالة إلى مسيلمة الكذاب يقول فيها "من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين".

فأغضبت الرسالة مسيلمة الكذاب، فأمر قومه أن يقيّدوا حبيب وأن يقتادوه حيث جمع أتباعه وعامة الناس، وقال مسيلمة الكذاب لحبيب: انتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال حبيب: أشهد أن محمداً رسول الله.

فقال مسيلمة: وتشهد أنني رسول الله؟ فقال حبيب: إن في أذني صمماً عن سماع ما تقول.

فأخذ مسيلمة الكذاب يقطع من جسد حبيب قطعة قطعة وعضواً عضواً ليشهد له بذلك، وحبيب بن زيد رضي الله عنه صابر شامخ بدينه، يستعذب الموت في سبيل الله حتى فاضت روحه إلى بارئها.² فما أن ولا صاح ولا قال تأنّ، بل اشتاق للجنة وحنّ.³

وهنا يستشعر الباحث موقف رفيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة أحد نسيبة بنت كعب المازنية، وقد جاءها نعي ابنها حبيب بن زيد وقد قطع مسيلمة الكذاب إرباً إرباً، فقالت محتسبة ابنها عند الله: لمثل هذا الموقف أعدته، وعند الله احتسبته، لقد بايع رسول الله صغيراً ووفى له كبيراً وشاركت رضي الله عنها في معركة اليمامة التي قتل فيها مسيلمة الكذاب، وقرت عينها في مصرعه.

¹ سبق تخريجه، ص 79

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر، الرياض، ط 2، 1420 هـ - 1999 م، ج 4، ص 606.

³ القرني، مقامات القرني، ص 20.

المطلب السادس: السفير فروة بن عمرو الجذامي.

كان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان مقره في معان، وقد اشترك مع جيش الروم في معركة مؤتة ضد المسلمين، فأبهرته شجاعة المسلمين وثباتهم، رغم قلة عددهم وكثرة الروم، فدخل الإسلام في قلبه، فبعث مسعود بن سعد الجذامي سفيراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلمه بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء وحملاً وأثواب لين، وقباء من سندس مخصص بالذهب.¹

وعندما علمت الروم بإسلامه ووصول سفيره إلى المدينة المنورة، طلبوا فروة حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، وحاولوا فتنته عن دينه، فرغبوه بالملك الواسع إن رجع عن دين محمد، وهددوه بالقتل إن بقي على إسلامه، فأظهر شجاعةً وصبراً واحتساباً، وقال لملك الروم إنك لتعلم أن عيسى بن مريم قد بشر بمحمد ولكنك تظن بملكك، فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال لها عفراء بفلسطين أنشد قائلاً:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه على ذلك الماء، فمضى إلى الله شهيداً.

أما سفيره فقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادته، وأجازه بخمسمائة درهم.²

¹ خطاب، سفراء النبي، ج 1، ص 646

² ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 48، ص 272. / الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط 15، 2002م، ج 5، ص 143.

المبحث الثالث: ردود الرسول عليه الصلاة والسلام على من آذى رسله: المطلب الأول: عندما كان في مكة قبل الهجرة:

اتسمت هذه الفترة بالصبر على الأذى والاضطهاد على من آذاه وآذى رسله الكرام، فقد كان أبو لهب يكذب رسول الله وهو يدعو القبائل للإسلام في أسواق العرب، وعندما قال أبو لهب لرسول الله عندما صعد بالدعوة على جبل الصفا تباً لك ألهذا جمعتنا؟ انزل الله سبحانه وتعالى سورة المسد على رسوله مبيناً مصير أبي لهب من الخسارة والهلاك.¹

ويدل على ذلك موقفه من أهل الطائف الذين حرّضوا صبيانهم وسفهاءهم على رشقه بالحجارة حتى شجّوا رأسه وأدموا قدميه، ورجع محزوناً مكروباً لأنه لم يسلم منهم رجل واحد ولا امرأة، مستغيثاً بالله على ما آل إليه حاله بقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا رب المستضعفين إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي".²

وقد رد الله على الوليد بن المغيرة في سورة القلم بقوله ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُوا لَوْ تَدْهِنُ فَيَذَهُنَّ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينًا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾³ وقوله سبحانه تعالى ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾⁴

ولم يرد رسول الله على قريش عندما وضعت فرث الجزور على ظهره عندما سجد عند الكعبة، ولا عند استشهاد سمية وزوجها ياسر، وإنما كان يدعوهم إلى الصبر على الأذى.

¹ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، دار القلم - بيروت، حققه أبو إيهام رمضان، ط 1، 1408 هـ، 1989 م، ج 3، ص 2009.

² ابن قيم الجوزية زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 3، ص 425. ابن تيمية الحراني، أحمد عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، تحقيق الأخوين محمد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1408 هـ / 1987 م، ج 5، ص 183.

³ سورة القلم: الآيتان 8 - 15.

⁴ سورة المدثر: الآيتان 11 - 18.

وكان أبرز سفيرين لرسول الله قبل الهجرة جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي ملك الحبشة، ومصعب بن عمير إلى المدينة الذين تحلّيا بالصبر الجميل حتى حققا انتصارًا دبلوماسيًا للإسلام والمسلمين، فكانت الحبشة ملاذًا آمنًا للمسلمين المهاجرين إليها، وأصبحت المدينة دارًا للإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: عندما كان في المدينة بعد الهجرة.

فقد كان الرد مختلفًا جدًّا عما كان قبل الهجرة على من اعتدى على سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه بعض الأمثلة:

1 - عندما نقض يهود بني قنيقاع وثيقة المدينة التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة المنورة، وذلك بإظهار غيظهم من انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر، فقالوا: "يا محمد لا يغرنك أنك لاقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، وأنت لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنت لم تلق مثلنا".

ثم قاموا بكشف ثوب امرأة مسلمة قدمت إلى سوقهم لتشتري ذهبًا، فصاحت يا للمسلمين، فحمل أحد المسلمين على اليهودي الذي كشف ثوبها فقتله، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فأخرجهم رسول الله من المدينة، وهم يحملون أموالهم وأهاليهم إلى أذرعات من أرض الشام فما لبثوا أن هلك أكثرهم، وكانوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود.¹

2 - أما يهود بني النضير فقد تأمروا أن يلقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة من فوق حائط جلس رسول الله في ظله، عند ما ذهب إليهم ليأخذ ما عليهم من دية رجلين قتلتهما أحد المسلمين كما هو متفق عليه في وثيقة المدينة، فبعد أن رحّبوا بقدومه إليهم همّوا بقتله، ولكن الله أطلعه على حقيقة مكدهم فحاصره رسول الله خمسة عشر يومًا، ثم أجلاهم عن المدينة بما حملت الإبل من طعام ومتاع إلا السلاح.²

¹ ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 3، ص 126 - 127.

² الصلابي، علي محمد، الأنتسراح ورفع الضيق في سيرة الصديق، دار التوزيع والنشر - القاهرة، 1423هـ/ 2002م، ج 1، ص 73.

3 - وأما يهود بني قريظة فقد ظاهروا الأحزاب في حصارهم للمسلمين في غزوة الخندق ونقضوا وثيقة المدينة التي كانت بينهم وبين رسول الله، فاشتد الأمر على المسلمين ووصف الله حالهم بقوله "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تفعلون بصيرا، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزلا شديدا".¹

وعندما انتهت المعركة وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال جبريل عليه السلام: يا محمد إن الملائكة لم تضع أسلحتها، وأمره أن يقاتل بني قريظة فقال الرسول لأصحابه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة.

وحاصرهم المسلمون أكثر من عشرين ليلة ونزلوا من صياصيمهم على أن يحكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه والذي كان جريحا في معركة الخندق، فحكم أن تقسم أموالهم ويقتل رجالهم وتسبى نساؤهم، فقال لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد، فذاقوا وبال أمرهم لنقضهم المعاهدة بينهم وبين رسول الله، فقتل منهم سبعمائة رجل، وسبيت نساؤهم وذرايرهم وبيعوا في الأسواق.

4 - مطاردة قبيلة بني لحيان الذين قتلوا سفراء بئر الرגיע خبيب بن عدي وأصحابه، حيث باغتهم رسول الله في ديارهم رغم بعدها عن المدينة المنورة مئتي ميل، ففروا تاركين ما يملكون من الإبل والشيء والمتاع.²

5 - وعندما علم رسول الله بمقتل سفيره الحارث بن عمرو الأزدي علي يد عامل الروم شريحيل الغساني، جهّز رسول الله جيش غزوة مؤتة، وعيّن قاداته الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فإن أصيبوا فليختر المجاهدون من بينهم واحداً، فاختروا خالد بن الوليد، وكان أول احتكاك بين المسلمين والروم بسبب مقتل سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلفه الله بالنصر المبين.³

¹ أبو ضياء المكي، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد، تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة المنورة، دار الكتب العلمية - بيروت / ط 2، 1424هـ/2004م ج 1 ص 263. العصيري، أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد - الرياض، ط 1، 1417هـ / 1996م ج 1، ص 81.

² الصلابي، السيرة النبوية، ج 2، ص 360.

³ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ/1985م، ج 2، ص 118. / قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 4، ص 5.

6 - بيعة الرضوان: عندما تناهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أشيع بأن قريش قتلت سفيره عثمان بن عفان في مكة، دعى عليه الصلاة والسلام المسلمين للبيعة على الاستشهاد ثأراً لعثمان بن عفان رضي الله عنه وقال " لا نبرح حتى نناجز القوم " ¹.

عندها تسابق المسلمون على بيعة رسول الله مما أربح قريش فخلت سبيل عثمان بن عفان ومن معه، وأرسلت سهيل بن عمرو لكتابة الصلح مع رسول الله الذي أطلق عليه صلح الحديبية، والذي وصفه الله بأنه فتح عظيم فقال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ ².

ومدح الله ورضي عن صحابة رسول الله الذين بايعوه تحت الشجرة بقوله ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ³.

وكانت فوائد هذا الصلح كثيرة منها:

- أ - حيد رسول الله قريش، وأقفل جبهتها عن قتاله فهدم الحلف الذي بينها وبين خيبر.
- ب - تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال يهود خيبر الذين كانوا يؤلبون قريشاً على قتاله بعد أن كانوا يحرضون قبائل اليهود في المدينة من قبل.
- ج - أرسل جيشاً إلى مؤتة لمعاقبة من قتل سفيره الحارث بن عمرو بعد أن قيد قريشاً ببنود صلح الحديبية فأصبحت المدينة آمنة من عدوانهم أثناء حربه الروم.
- د - أرسل الرسل والسفراء إلى ملوك وحكام العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، بمعنى أنه وسع مجال الدعوة إلى خارج الجزيرة.

¹ الحنفي، يوسف بن موسى أبو المحاسن، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب - بيروت، د ط، د . ت، ج 2، ص 369.

² سورة الفتح: الآيات 1-2.

³ سورة الفتح: الآية 18.

هـ - اختلط المسلمون والمشركون بعد أن أمن بعضهم بعضاً، فعرف الناس دين الله من أخلاق المسلمين بعيداً عن التشويش والتضليل، فأسلم خلق كثير منهم أبرز قادة مكة خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم كثير.¹

و- فتح مكة: بعد سنتين من صلح الحديبية عندما ظهرت قريش حليفها قبيلة بني بكر على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبح الرسول والمسلمون في حلٍّ من هذا الصلح، لأن قريش قد نقضت أحد بنوده.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وأزال دولة قريش، وقضى على عبادة الأوثان والأصنام في مكة، وذاقت قريش وبال أمرها الذي تمثّل بخرقها لبنود صلح الحديبية.²

7 - وعندما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سفيره عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، غضب كسرى ومزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام "مزّق الله ملكه"³. فعدى عليه ابنه شيرويه فقتله، ثم فتح الله على المسلمين تلك البلاد وغنم المسلمون كنوز كسرى وقصوره وأرضه.⁴

¹ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 5، ص 114.

² الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 1421 هـ - 2000 م، ج 15، ص 179.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم 2، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان 7، حديث رقم 64، ج 1، ص 27.

⁴ الزيلعي، نصب الرأية لأحاديث الهداية، ج 4، ص 421. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: عبد الله اليماني، دار المعرفة - بيروت، د ط، ج 2، ص 296.

المطلب الثالث: تطبيقات نبوية في الحصانة الدبلوماسية.

لقد مكّن المصطفى الوفود والسفراء من توصيل رسالتهم إليه على أكمل وجه، فوَقَّر لهم كل ما يمكن أن يسهل عليهم هذه المهمة من مأكّل ومشرب ومأمن، فاستضافهم في أفضل البيوت وأوسعها، واستقبلهم في مسجده الشريف، وأعطاهم الجوائز والأعطيات، فشرح الله صدور بعضهم للإسلام، ومنهم من سالم الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من أصر على كفره وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1 - استقباله رسل مسيلمة الكذاب في المدينة.

أورد الطبري أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصله رسل مسيلمة الكذاب يحملون كتابًا يقول فيه: إني أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، ولقریش النصف الآخر، فقال لهم: فما تقولان أنتما؟، قالوا نقول كما قال مسيلمة، فقال عليه الصلاة والسلام: أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما، وقد وفر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وفره لبقية الرسل من الضيافة والاستقبال رغم ردتهم عن الدين. ثم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة إلى مسيلمة الكذاب قال فيها: " من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.¹

2 - استقباله عامر بن الطفيل سفير قومه إلى المدينة.

وفي كتاب الوافي بالوفيات أن عامر بن الطفيل: الذي قاد قبائل رعل وذكوان وعصية، وقتلوا شهداء بئر معونة كما أسلفنا، جاء بعدها على رأس وفد إلى المدينة المنورة، فقال: يا محمد أخيرك بين ثلاث:

أ- أن يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر.

ب - أو أكون خليفتك من بعدك.

ج - أو أغزوك بألف أشقر وألف شقراء.

¹ أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري، (تاريخ الرسل والملوك) ج 3، ص 146. انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج 3، ص 457

فأصابته غدة في عنقه في بيت امرأة من بني سلول، فعزّ عليه أن يموت ببيت امرأة سلولية فقال: "غدة في العنق وأموت في بيت امرأة سلولية"، فقال انتوني بفرسي فركب ليرجع إلى قومه، فمات في الصحراء.

وكان عامر بن الطفيل قد أعدّ خطة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء وجوده في المدينة هو ورجلان من قومه فحال الله سبحانه وتعالى بينه وبين مراده.¹

فرغم أن له سابقة سيئة مع المسلمين بقتله شهداء بئر معونة، إلا أنه عندما جاء وافداً وسفيراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبيلته عامله بالحسنى، ولولا علمه بحصانة السفراء عند رسول الله لما قدم إليه وقد غدر وقتل أكثر من سبعين شهيداً، إلا أن الله تعالى كفى المسلمين شره، فأهلكه قبل أن يعود إلى قومه.

3 - استقبله أبا سفيان سفير قريش إلى المدينة.

ما إن نقضت قريش صلح الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمساعدتها لحليفها بني بكر على خزاعة، حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وصل عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة المنورة يستنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وبني بكر واصفاً جريمتهم بقوله: قتلونا ركعاً سجداً.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "نصرت يا عمرو بن سالم" ثم تبعه بديل بن ورقاء مع نفر من خزاعة فتهياً رسول الله لقتالهم وما أن أحست قريش بغدرها ونقضها لصلح الحديبية مع رسول الله، وشعرت بعواقبه الوخيمة على نفسها، حتى أرسلت أبا سفيان إلى المدينة المنورة ليجدد العهد ويمدد الصلح مع رسول الله، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما ستفعله قريش إزاء غدرها وعدوانها على خزاعة ونقضها لصلح الحديبية.

فقال لأصحابه: "كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة"، فوصل أبو سفيان إلى المدينة المنورة ودخل على ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله فطوته عنه.

¹ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ - 2000م، ج 16، ص 330.

فقال: يا بنية، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابك بعدي شرّ.

ثم أتى رسول الله فكلمه، فلم يردّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الصديق ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال عمر أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟ والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدكم به.

ثم جاء إلى عليّ وفاطمة رضي الله عنهما فلم يجد جواباً، حتى وصل به الأمر أن يقول لفاطمة: هل لك أن تأمري ابنك الحسن فيجبرني بين الناس فيكون سيد العرب أبد الدهر، فأجابته بأنه صغير، ولا يجبر أحداً على رسول الله.

ثم قال: يا علي انصحنى فأنت أقرب الناس مني رحماً، فقال له عليّ رضي الله عنه: إنك سيد بني كنانة، فقم وأجر نفسك بين الناس والحق بأرضك، ففعل.¹

ومن خلال ما سبق يتبين للباحث كيف استقبل رسول الله سفراء خزاعة عمرو بن سالم وبديل بن ورقاء بكل حفاوة واحترام واعداءهم بأنه سينصرهم على قريش وبني بكر.

وكيف استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان سفير مكة الذي لم يجد من يستمع إليه من المسلمين والصحابة الكرام في المدينة، حتى ابنته أم حبيبة منعتة من الجلوس على فراش رسول الله.

ومع ذلك مشى أبو سفيان في طرقات المدينة المنورة آمناً مطمئناً لم يعتد عليه أحد من المسلمين لأنه سفير قومه، رغم أن سيوف قريش ما زالت تقطر دماً من خزاعة حلفاء الرسول والمسلمين.

وعاد أبو سفيان إلى مكة لا يحمل جواباً شافياً لقومه، واصفاً لهم ما سمعه من الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام، مما جعل أهل مكة في حيرة من أمرهم، لا يعلمون ما يخططه الرسول لهم نادمين على صنيعهم في نقض شروط صلح الحديبية، وهذه سنة الله في خلقه أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، فأخذ رسول الله لقتالهم، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يأخذ عنهم العيون والأخبار.

¹ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1، 1407هـ - 1987م، ج 2، ص 239. انظر ابن القيم الجوزية، زاد المعاد ج 3، ص 35.

وما هي إلا أيام قليلة وإذا بمكة المكرمة تفتح عنوة وتستسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدخلها فاتحاً منتصراً متواضعاً، لم تأخذه نشوة النصر للثأر والانتقام، بل السماحة والعفو عند المقدرة، وقام الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام بتكسير الأصنام من حول الكعبة وهو يقول ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾¹.

4 - : استقباله كعب بن زهير وافداً على المدينة:

يقول ابن عبد البر: عندما أسلم بجير بن زهير غضب كعب على أخيه، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشبب بنساء المسلمين وخاصة الأنصار، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه. فأرسل له أخوه بجير رسالة يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل أناساً من الذين أهدر دمهم وعفى عن آخرين، فإن جئته مسلماً ستنتال عفوه.

فقدم كعب بن زهير إلى المدينة المنورة متكرراً، ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر تقدّم إليه كعب بن زهير قائلاً: يا رسول الله رجل يبائعك على الإسلام، ويسط يده وحسر عن وجهه. وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مقام العائذ بك، أنا كعب بن زهير، فأمنته رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه عند ذلك مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأنشد يقول:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُشف مكبول
نبئت إن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

إلى أن وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

¹ سورة الإسراء، الآية 81.

عندها ألبسه الرسول بردته وطابت نفسه وعفى عنه، وهي البردة التي كان يتوارثها الخلفاء المسلمون عندما يبايعون على الخلافة، ونال كعب بن زهير صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

5 - استقباله عدي بن حاتم الطائي سفير الطائين الى المدينة:

لما رأت سفانة بنت حاتم الطائي رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أسرها المسلمون قالت: "يا محمد إني ابنة سيد قومها، كان أبي يحمي الذمار، ويفكّ العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط فلا تشمت بنا الأعداء، فخلّ سبيلنا، أنا ابنة حاتم الطائي" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، وخلّوا عنها فإن أباه كان يحبّ مكارم الأخلاق، والله يحبّ مكارم الأخلاق.

وعندما جاء ركب من قومها كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه نفقة وطعامًا وثيابًا، ووفر لها ولمن معها الرواحل ورجعت إلى أخيها وقومها، وقصّت عليهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، ورغبت أخاها عدي بالقدوم على رسول الله والاستماع لدعوته.

فقدم عدي بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدرك أنه رسول الله حقًا عندما أجلسه على وسادة من ليف وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، وعندما شاهده عدي بن حاتم يقضي حاجة امرأة عجوز مرة، وحاجة جارية صغيرة مرة ثانية استوقفناه على قارعة الطريق، وأدرك أنه نبي ورسول وليس ملكًا ولا سلطان.

وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أخذه للمرباع من قومه محرّم بالنصرانية التي يدين بها، فأسلم وحسن إسلامه، ثم رجع عدي بن حاتم إلى قومه داعيًا إلى الله تعالى، فقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعونه على الإسلام، وكان لعدي بن حاتم وقبيلته صحبة صالحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخدمة طيبة للإسلام في زمن الخلفاء الراشدين ومحاربة المرتدين.²

¹ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج 1، ص 46. وانظر الجمحي، محمد بن سلام. (ت 232هـ) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني - جدة، ج 1، ص 103.

² الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 4، ص 35-36. أبي الفتح الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق مفيد قمحية، ط 2، 1986م ج 1، ص 368.

6 - استقبله أبا رافع سفير قريش إلى المدينة المنورة:

روي عن أبي رافع أنه قال: " بعثتني قريش إلى النبي محمد، فلما رأيته وقع الإسلام في قلبي، فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أرجع إليهم، فقال: "إني لا أحبس الرسل فارجع إليهم فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع" ¹.

ويرى الباحث أن هذه الأمثلة السالفة الذكر لا يمكن أن يتحلّى بها إلا من انطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ²

¹ سبق تخريجه ص 79.

² سورة فصلت، الآية 33

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أما بعد: فقد تم بتوفيق من الله وعونه إتمام هذا البحث المتواضع في هذا المجال، آملاً من الله جلّت قدرته أن أكون قد وفّقت في إعدادة، فما كان صواباً فمن الله وتوفيقه، وما كان خطأً فمن نفسي والشيطان.

نتائج البحث:

أجمل الباحث أهم نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

1 - لا يوجد اتفاق عام على تعريف الإرهاب بجميع أشكاله وأقسامه سواء كان من قبل الأفراد أو الجماعات أو الدول، لهذا كثرت التعريفات وتعددت لأنها ناتجة عن اختلاف الأهواء والمصالح والمبادئ.

والإرهاب ظاهرة كونية قديمة عرفت البشرية وعانت منها كثيراً، جوهرها واحد، ولكن أشكالها ومظاهرها متعددة ومتنوعة.

2- وجوب احترام إنسانية الإنسان أياً كان دينه ولونه ومعتقداته فهو معصوم الدم والمال والعرض، وإذا كان سفيراً أضيف إلى ما سبق له حصانة دبلوماسية.

3- إن إرسال الرسل والسفارات هي حاجة بشرية لا يمكن الاستغناء عنها في حالتي السلم والحرب

4- إن الرسل والسفارات قديمة قدم البشرية وهي من أقدم العلوم والمعارف الإنسانية، لذلك يصعب تحديد بدايتها بشكل دقيق.

5- إن الإسلام لم يكن البادئ بها، ولكنه أقر بعضها، وأضاف إليها قواعد ومبادئ لم يسبقه إليها أحد، فهي في الإسلام ثابتة ودائمة لأنها شرع الله تعالى، وعند الآخرين يعتريها التبديل والتغيير حسب المصالح والأهواء.

- 6- إن احترام الرسل في الإسلام ليس عرفاً يحترم إحتراماً فحسب، وإنما هو قربي إلى الله نثاب على فعلها، ونعاقب على تركها، فهي تكليف من الله سبحانه وتعالى يجب الوفاء به.
- 7- ثبتت مشروعية السفارة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترجمها الخلفاء المسلمون على مر التاريخ الإسلامي على أكمل وجه، وأنصع صورة.
- 8- إنه لا بد أن تتوافر بالرسل صفات جبليّة وخلقية كالجمال وحسن المظهر والفتنة والذكاء، ومكتسبة كالعلم في المعارف الإنسانية كاللغات وطبائع الأمم والشعوب والجغرافيا وحسن التأتي.
- 9- السفير هو الناطق الرسمي باسم وليّ أمر المسلمين أمام الملوك والدول المرسل إليها.
- 10- لا يمكن للسفير أن يقوم بمهمة السفارة إلا إذا كان آمناً على نفسه وعياله وماله في جميع الظروف والأحوال سلماً أو حرباً.
- 11- لا يجوز الإعتداء على السفير وعائلته وماله وعرضه ومتاعه وسكنه حتى لو كانت الحرب دائرة بيننا وبينهم.
- 12- الدبلوماسية لها معان قديمة، ولكنها تطورت في القرن الثامن عشر الميلادي حتى أصبحت قانوناً دولياً.
- 13- الحصانة الدبلوماسية يقابلها في الفقه الإسلامي عقد الأمان، وقد ازدحمت كتب الفقه الإسلامي في بيان أحكامها.
- 14- يرى الباحث أن الحالة الوحيدة - على حد علمه - التي قتل فيها سفراء الكفار في بلاد المسلمين، هو ما فعله قطز بسفراء التتار وذلك ليس لهوى في نفسه، وإنما لاجتهاد شرعي له ما يبرره.
- 15 - لا يمكن في الوقت الحاضر أن نبلور دبلوماسية إسلامية عملية مصدرها الإسلام لعدم وجود دولة تقوم على أساسه، بل فيه دول سياستها الخارجية قطرية أو قومية، إلا أن الأمر لا يخلو من سفراء يهتمهم أمر الإسلام والمسلمين بوجه عام ولو كان ذلك فردياً، فالخير في أمة الإسلام إلى يوم القيامة.

16- إن الواجب الشرعي يحتّم على كل مسلم العمل على إيجاد تلك الدولة التي تضع الإسلام موضع التطبيق وتمارس علاقاتها الخارجية مع الدول الأخرى على أساس الإسلام كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه عبر القرون الماضية، خاصة لمن يثق بموعود الله تعالى على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم - خلافة على منهاج النبوة.

التوصيات والاقتراحات:

1- ضرورة بيان زيف ما تدعيه الدول الظالمة من محاربة الإرهاب، ودحض الافتراءات والممارسات التي يقومون بها بحجة محاربة الإرهاب.

2- يرى الباحث ضرورة اهتمام جهازة أسيادنا العلماء بموضوع أحكام الدبلوماسية في الإسلام، وعلاقة الدولة الإسلامية الخارجية مع الدول الأخرى، ليسهل على من تلبس بهذا العمل الاستفادة منها.

3- يرى الباحث أنه من الانصاف أن توضع هذه الدراسات في مقررات المعاهد والجامعات التي تدرّس الدبلوماسية الحديثة، كي يستفيد الدبلوماسي المسلم من تراثه الإسلامي ومواقف سفراء الإسلام المجيدة حتى يكون خير خلف لخير سلف.

4- في الوقت الذي يحمل الكفار فيه مسؤولية ما يجري من الاعتداء على بعض سفرائهم أو سفرائهم للإسلام والمسلمين، يجب علينا أن نبين لهم أن هذه التصرفات ناتجة عن الظلم الذي يتعرض له المسلمون من الأعداء، وإن سيرة السلف الصالح تبين عكس ذلك

5- يجب السعي إلى تحديد مفهوم الإرهاب، والتمييز بينه وبين حق الدفاع عن النفس ومقاومة المعتدين، وعلينا أن نعرض الإسلام للعالم على حقيقته بأنه دين الرحمة والسلم والتسامح والأخوة البشرية.

وفي الختام أحمده سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام، وعلى عونه وتوفيقه وتيسيره على إتمام هذه الدراسة المتواضعة، وأسأله تعالى الإخلاص والتوفيق والسداد وحسن الختام، فما كان صواباً فمن الله، وما كان خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان مما أقول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الآيات

الرقم	الاية	رقم الصفحة	السورة	رقم الاية	رقم السورة
1.	﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	46	البقرة	2-1	2
2.	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	18	البقرة	19	2
3.	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	47	البقرة	23	2
4.	﴿ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾	11	البقرة	40	2
5.	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ	108	البقرة	146	2

				الْحَقُّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦﴾	
2	190	البقرة	16	6. ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٦﴾	
2	207	البقرة	49	7. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٩﴾	
2	249	البقرة	20	8. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَعْرَفَ عُرْفَةَ بَيْدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ	

				بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ فَلَيْلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٤﴾	
2	256	البقرة	34	9. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾	
2	261	البقرة	39	10. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبلةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾	
3	103	آل عمران	72	11. ﴿وَأَعِصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴿٧٢﴾	

3	159	آل عمران	46	12. ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿	
4	63	النساء	46	13. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿	
4	64	النساء	88	14. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿	
5	1	المائدة	18	15. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿	
5	33	المائدة	18	16. ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	

				وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ^ج ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨٦﴾	
5	67	المائدة	86	17. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ ^ط وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ^و﴾	
5	75	النساء	77	18. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾	

7	126-123	الأعراف	22	19. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَبِّحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَاَمَنَّا بِثَابِتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾
7	158	الأعراف	88-1	20. ﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
8	30	الأنفال	23	21. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

				وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ ﴿١٨﴾	
8	58	الأنفال	18	22. ﴿١٩﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قَوْمَ خِيَانَةٍ فَأَنذِرْ لَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٢٠﴾	
8	60	الأنفال	19-11	23. ﴿٢١﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْطَظَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٢٢﴾	
9	7	التوبة	129-80	24. ﴿٢٣﴾ فَمَا اسْتَقْلِمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾	
9	25	التوبة	20	25. ﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ ۚ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا	

				وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْرِبِينَ ﴿	
10	15	يونس	132	26. ﴿وَإِذَا تَنَلَّاهُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿	
14	4	إبراهيم	88	27. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿	
15	6	الحجر	47-22	28. ﴿وَقَالُوا يَتَّخِذُ الْآلِ نُزُلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿	
15	94	الحجر	76-47	29. ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿	

17	1	الإسراء	78	30. ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ ءَايَاتِنَا أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	
17	81	الإسراء	154	31. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	
19	83	مريم	85	32. ﴿أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّؤَهُمْ آرَاءًا﴾	
21	90	الأنبياء	11	33. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِيَّاهُ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾	

21	107	الأنبياء	88-1	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	34.
27	31-30	النمل	62	﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) لَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾	35.
27	27	النمل	61	﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	36.
27	36	النمل	62	﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتَكُمُ فَرَحُكُمْ﴾	37.
28	55-52	القصص	145	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمَّا بِه إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُوعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ اعْرَضُوا عَنْهُ	38.

				وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾	
28	32	القصص	12	﴿وَأَضْمَمْنَا إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾	39.
28	38	القصص	21	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا أَمْلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عِبْرَى فَأَوْفِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَأِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	40.
29	18	العنكبوت	86	﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	41.
30	5-1	الروم	77	﴿الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ	42.

				غَلَبَهُمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٤﴾	
31	13	لقمان	21	43. ﴿٤٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾	
33	13-9	الأحزاب	116	44. ﴿١١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ	

				المُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٣٨﴾	
38	7-1	ص	133	45. ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ	

				يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٣٨﴾	
38	4	ص	22	46. ﴿وَعِجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٢﴾﴾	
40	26	غافر	22-17	47. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٢﴾﴾	
40	29	غافر	22	48. ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٢﴾﴾	
41	33	فصلت	156-90	49. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾	

46	35	الأحقاف	96	50. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	
48	2-1	الفتح	149	51. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾	
48	18	الفتح	149	52. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	
49	13	الحجرات	88-78	53. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	

59	8	الحشر	42	54. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	
59	9	الحشر	40	55. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾	
63	8	المنافقون	41	56. ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُفِيقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	

				وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَكُنَا عَنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾	
67	15	الملك	39	57. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١﴾	
68	15-8	القلم	146	58. ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ عُدَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أُنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنِيَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾	

74	18-11	المدثر	146	59. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأْرِهْفُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾
74	2-1	المدثر	88	60. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ فُؤُ فَأَنْذِرْ﴾
76	9-8	الإنسان	40	61. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾
76	8	الإنسان	40	62. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
79	24	النازعات	21	63. ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
81	8-7	التكوير	19	64. ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

85	8	البروج	41	65. ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	
96	19-16	العلق	48	66. ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾	
109	كاملة	الكافرون	132	67. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾	
111	4-1	المسد	47	68. ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾	

مسرد اطراف الأحاديث كما ورد في البحث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1.	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم.	103
2.	اتق النار ولو بشق تمرة.	40
3.	اخرجوا اليهود من جزيرة العرب	38
4.	إذا أبردتم إليّ بريداً فأبعثوه حسن الوجه وحسن الاسم.	120
5.	إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.	112
6.	اذهبوا فانتم الطلقاء	23
7.	اذهبوا نصلح بينهم.	103
8.	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.	105
9.	أليست نفساً.	19
10.	إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع.	18
11.	الآن نغزوهم ولا يغزونا.	37
12.	انطلقوا باسم الله في سبيل الله لا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً.	62
13.	إنك شبيه خلقي وخلقي.	120
14.	انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القبراط	97
15.	إنما أنت رجل واحد فخذل عنا القوم فإن الحرب خدعة.	136
16.	إني لا أخيس العهد ولا أحبس الرسل ارجع إليهم فإن كان الذي في قلبك فارجع.	174/74
17.	ربح البيع أبا يحيى.	49
18.	صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.	48
19.	عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه	97
20.	كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وأنا بعثت للناس كافة.	65

21.	لا حمى إلا الله ورسوله.	39
22.	لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش.	95
23.	اللهم إنهم جباة فأطعمهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم.	21
24.	اللهم من ولي أمر من أمور أمتي فرفق بهم فارق به.	18
25.	اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب.	137
26.	لولا أنكم رسل لقتلتكما.	74
27.	لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم.	148/109
28.	مرحباً بالوفد ليسوا خزائاً ولا ندامى.	77
29.	مزق الله ملكه	39
30.	مضى عهد النوم يا خديجة.	47
31.	من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا،	20
32.	من حمل علينا السلاح فليس منا	18
33.	من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة	18
34.	الناس شركاء في ثلاث الماء والكأ والنار.	39
35.	نصرت بالرعب من مسيرة شهر.	12
36.	نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فآدأها مثلما سمعها، فرب حامل فقه لمن أفقه منه.	109
37.	نقش على خاتمه محمد رسول الله.	108
38.	هون عليك فإنني لست بملك وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة.	19
39.	والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.	131
40.	يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن وإن على وجهه كمسحة من ملك.	120

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
1.	المتنبي	1
2.	ابن جرير الطبري	12
3.	البخاري	12
4.	أديب اسحاق	16
5.	الترمذي	18
6.	مسلم	18
7.	ابن ماجة	19
8.	أبو داود	21
9.	البيهقي	23
10.	بطرس الناسك	23
11.	صلاح الدين الأيوبي	24
12.	عبد الحميد الثاني	26
13.	ادموند اللنبي	26
14.	غورو	32

33	أبو عبد الله الصغير	15.
35	أبو البقاء الرندي	16.
37	السلطان كوجم	17.
45	موسى بن جابر	18.
45	توماس روبرت	19.
71	فخري البارودي	20.
71	علي الجارم	21.
72	رشيد الخوري	22.
86	القرطبي	23.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ط 2، 1972 م، ج 1.

ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج 1.

الأثيوبي الولوي، محمد بن العلامة علي بن آدم بن موسى، شرح الفية السيوطي في الحديث، مكتبة الغرباء - المدينة المنورة، ط 1414 هـ / 1993 م ج 2.

الأحمد، محمد علي، سقوط الخلافة، دار الإسراء للنشر والتوزيع - عمان، ط 1، 1428 هـ / 2007 م، 552 م.

إسماعيل، وائل محمد، قوة الانتشار السريع، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1988 م.

ايرفنج، واشنطن، أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هلائي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ط 1، 2000 م.

باعمر، أحمد سالم، الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي، دار النفائس - الاردن، ط 1، 1421 هـ / 2001 م.

البخاري، صحيح البخاري، دار الفجر للتراث - القاهرة، 1426 هـ - 2005 م، كتاب التيمم، ج 1.

بركات، جمال، الدبلوماسية والإرهاب الدولي، مجلة الدراسات الدبلوماسية، معهد الدراسة الدبلوماسية، السعودية، العدد 2، إبريل، 1985 م.

البغوي، ابو محمد بن الحسن بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله وعثمان ضميرية، دار طيبة للنشر، ط 4، 1417 هـ / 1997 م / ج 3.

أبو بكر البقاعي، إبراهيم بن عمر الرباط، مصرع التصوف، الناشر: عباس الباز - مكة المكرمة، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ج 2.

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط 5، 1424هـ / 2003 م، ج 4.

أبو بكر العربي، القاضي محمد بن عبد الله، احكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 3، 1424هـ / 2003م، ج 4.

البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، دار الفكر - دمشق، ط 13، 1412هـ - 1991م.

البيروني، أبو الريحان محمد احمد، القانون المسعودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ، 2002م، ج 1.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1405هـ - 1985م ج 4. تاكيشي ايتوا، مأساة القنبلة الذرية، دار الشروق - القاهرة، ط 1، 1994م.

الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون، ومذيل باحكام الألباني، دار احياء التراث العربي - بيروت.

التميمي، محمد بن عبد الوهاب، جامعة محمد بن سعود - الرياض، حققه: عبد الرحمن بن ناصر البراك، ج 1، ص 81. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبيل الهدى والرشاد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1993م، ج 2.

جاء المولى، محمد احمد قصص العرب، المكتبة العصرية - بيروت، ط 1 2008 م 1429 هـ.

الجاسر، محمد طه، تركيا ميدان صراع بين الشرق والغرب، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط 1، 2002م.

جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، دار الشروق - رام الله، ط 1، 1998م، ص 164، 227. الحمد، جواد، المدخل للقضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق - عمان، ط 1، 1997م.

جرار، د صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة - عمان، ط 1، 2007م.

- ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: احمد عبد الرزاق واخرون، دار السلام للطباعة - القاهرة، ط 2، 1428هـ/2007م، ج 5
- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار المعارف - القاهرة، ط 4، 1977م، ج 2.
- جلال، السيد حسين، مؤامرة مد إمتياز شركة قناة السويس، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، 1990م.
- الجمحي، محمد بن سلام .(ت 232هـ) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني - جدة، ج 1.
- الحاكم، محمد بن عبد الله ابو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، ط 1، 1411هـ، دار الفكر - بيروت، ج 3.
- أبو حامد عز الدين، عبد الحميد بن محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية الحلبي وشركاه، ج 15.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي، صحيح بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومذيل باحكامه باب في الخلافة والأماره، ط 2، 1414هـ مؤسسة الرسالة - بيروت، حديث رقم 4491، ج 10.
- الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ ألدلسي بين الفتح الاسلامي وسقوط غرناطة، دار القلم - دمشق، ط 2، 1429هـ/2008م.
- حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار الجيل - بيروت، ط 1، 1411، 13هـ - 1991م ج 1.
- الحكمي، د حافظ محمد، مرويات صلح الحديبية، دار ابن القيم - الدمام، ط 1، 1411هـ.
- الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبيه، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 3، 2008م، ج 3.

الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم، السيرة الحلبيّة دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 3، ج 3.

حليمة، عبد المنعم مصطفى، تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، دار البيارق - بيروت، ط 1، 1418هـ - 1997م.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مسند بعبد الله بن عمر بن الخطاب، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط 2، 1420هـ - 1999م، مؤسسة الرسالة حديث رقم 4880، ج 8.

الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1، 1419هـ / 1998م، ج 18.

الحنفي، يوسف بن موسى أبو المحاسن، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب - بيروت، ج 2.

حوى، سعيد، الأساس في السنة حوى، سعيد، الأساس في السنة، دار السلام للطباعة، ط 1، 1409هـ - 1989م ج 1.

خالد، خالد محمد، رجال حول الرسول، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 2، 1973م، ج 20.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تهذيب وترتيب ابن كثير، دار الفاروق للنشر - عمان، ط 1، 1429هـ / 2008م.

خان ظفر الدين، تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس - بيروت.

الخنثمي السهيلي، الروض الأنف، دار الفكر - بيروت، ط 1، 1409هـ، 1989م، ج 4.

الخضري، محمد، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مكتبة الإيمان - المنصورة - مصر، ط 1، 1415هـ - 1994م.

خطاب، محمد شيث، سفراء النبي، مؤسسة الريان - بيروت، ط 1، 1997م - 1417هـ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار النهضة - مصر، 2006م، ط 1، ج 1.

الخمليشي، عبد الهادي، السلم في القرآن الكريم والسنة، دار ابن حزم - بيروت، ط 1، 1429هـ / 2008م.

خوري، مجيد، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، مؤسسة ابن رشد للنشر - القدس، 1970م.

د / حنان خميس / تاريخ الدبلوماسية [Http: www.asharglaraly.org.uk](http://www.asharglaraly.org.uk)

د/ عبد الرحمن رأفت، صور من حياة الصحابة، دار النفائس - بيروت، ط 1 1412هـ. الخصري، نور اليقين.

أبو داود، ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب في نفل السرية تخرج من العسكر 157،، دط، دت، دار الكتاب العربي - بيروت، ج 3.

الدسوقي، محمد، كتاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ط 1، دار الثقافة - الدوحة، 1407هـ - 1987م.

الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ / 1985م، ج 2.

الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، وفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ / 1987م، ط 1، تحقيق: عمر عبد السلام، ج 1.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 1421هـ - 2000م، ج 15.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الجيل - بيروت، 1987.

رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 11.

ريشاور، أدوين أولدفاذر، اليابان من هيرشياما، ترجمة يوسف سلب الشام، دار علاء للنشر، دمشق، ط 1، 2000م.

زلوم، عبد القديم، كتاب كيف هدمت الخلافة. دار العلم للملايين - بيروت، 1382هـ-1962م.

- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر - بيروت، د ط، 1409 هـ 1989 م 1998 م.
- أبو زهرة، محمد، خاتم النبیین، دار التراث - بيروت، د ط، ج 3.
- الزيلي جمال الدين عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط 1، 1414 هـ 2.
- الزين، سميح عاطف، الإسلام وثقافة الإنسان، دار الكتاب اللبناني _ بيروت، ط 1401، 7 هـ.
- السبكي، تاج الدين بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، دار هجر للنشر والتوزيع، ط 2، 1413 هـ، ج 8.
- السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد، (ت 101م)، المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ - 2001 م، ج 10.
- السرخسي، محمد بن أحمد، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات - القاهرة 1971 م، ج 1.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط 1، 1968 م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ط 1، 1410 هـ - 1990 م دار الكتب العلمية - بيروت، ج 1.
- السعدي، غازي، ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين من 1936-1983 م، دار الجليل - عمان، ط 1، 1985 م.
- السماك، محمد، الإرهاب والعنف السياسي، الشركة العالمية للكتاب - لبنان، 1992 م.
- سويدان، طارق، تاريخ فلسطين المصور، قرطبة للإنتاج - الرياض، ط 3، 1425 هـ.
- ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار الأفاق الجديدة - بيروت، ط 3، 1402 هـ 1982 م، ج 1.

- السيد، جمال بن محمد، كتاب: ابن القيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية، الناشر الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط 1، 1424هـ - 2004م، ج 1.
- السير هارلد نيكسون، الدبلوماسية، دارالشيعة للنشر والتوزيع، ترجمة وتعليق محمد مختار، مكتبة الانجلو-المصرية سنة 1957م.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، ت 911 هـ، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت 1985م، ط 1، ج 1.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر - القاهرة، د ط، 1418هـ - 1988م، ج 1.
- شاكر، محمود، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة، دار أسامة للنشر - عمان، ط 1، 2002م.
- الشامي، علي حسين، الدبلوماسية، دار الثقافة للنشر، عمان، ط 5، 1432هـ، 2011م.
- شبارد، عصام محمد، الدولة العربية الإسلامية الأولى، دار النهضة العربية - مصر، 1995م.
- الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة 1980م، ج 2.
- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 2، ص 97. / ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج 3.
- الشيخ، عبد الستار، الخلفاء الراشدون، دار القلم - دمشق، ط 1، 1420هـ - 2000م.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القلم - بيروت، ط 5، 1986م، ج 1.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ - 2000م، ج 16.
- الصلابي، علي محمد محمد، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة - مصر، ط 1، 1430هـ - 2009م، ج 1.

الصلابي، علي محمد، الأنشراح ورفع الضيق في سيرة الصديق، دار التوزيع والنشر - القاهرة، 1423هـ/2002م، ج 1 .

الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية وعوامل النهوض، دار ألبيارق - عمان، ط 1، 1420هـ/1999م.

الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، دار الفجر - القاهرة، ط 1، 1424هـ -2003م، ج 2.

الصلابي، علي محمد، سيرة عثمان بن عفان، دار الفجر - القاهرة، ط 1، 1425هـ / 2004م.

الصلابي، علي محمد، سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، مؤسسة اقرأ - مصر، ط 1، 1430هـ 2009م، ج 1.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير اليمني، سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار التراث العربي - بيروت 1417هـ - 1997م، د ط، ج 1.

أبو ضياء المكي، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد، تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة المنورة، دار الكتب العلمية - بيروت / ط 2، 1424هـ/2004 م ج 1.

طشطورش، هائل عبد المولى، مقدمة في العلاقات الدولية، طبع عام 2010 م، جامعة اليرموك، ص 15

طهماز، عبد الحميد، سيرة النبي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار القلم - دمشق، ط 1، 1424هـ 2003م.

طيب الله، مولانا محمد، الإسلام والسلام، ترجمة: محمد عبد الفتاح، مطبعة الأنجلو - المصريه، سنة 1960م.

ابن عاشور، التحرير والتتوير، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط 1، 1420هـ 2000م، ج 17.

أبو عبادة، سعيد محمد، الدبلوماسية، دار الشيماء للنشر والتوزيع، ط 1، 1430هـ -2009.

- ابن العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط 3، 1417 هـ / 1997 م ج 1.
- العدوي، د./إبراهيم أحمد، السفارات الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى، دار المعارف- مصر، سنة 1957 م.
- عرفة، محمد جمال، المحرقة النازية حلال وهولوكست غزة حرام مجلة الفرقان، العدد 75، بقلم نبيل الدجاني، عنوانه الارهاب.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر - عمان، 1415 هـ - 1995 م، ج 2.
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 48، ص 272. / الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط 15، 2002 م، ج 5.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، دار الجبل - بيروت، تحقيق: علي البجاوي، ط 1، 1412 هـ، ج 6.
- العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل وقطامش، دار الفكر ن ط 2، 1988 م، ج 1.
- العصيري، أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد - الرياض، ط 1، 1417 هـ / 1996 م ج 1.
- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 5.
- عطية، أحمد، القاموس السياسي، دار النهضة - القاهرة، 1968 م.
- عكاوي، ديب، دولة فلسطين والقانون الدبلوماسي الدولي، مؤسسة الاسوار، عكا، سنة 1991 م.
- العكش، منير، أمريكا والابادات الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، ط 1، 2009 م.

العلامة الزرقاني، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1417 هـ - 1996 م، ج 5.

علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط 4، 1422 هـ - 2001 م ج 9.
عمر، يوسف حسين، أسباب خلع السلطان عبد الحميد، دار الكتاب الثقافي - أريد، 1426 هـ/2005 م.

العمرى، عيسى صالح، دور المعاهدات في حكم العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، مطبعة الشعب - أريد، 2005 م.

عودة، بطرس عودة، المحاصرون في الواقع العربي، المكتبة الوطنية - عمان، ط 1، 1998 م.

عويس، د عبد الحليم، المجرمون المائة، مكتبة مدبولي الصغير - الجيزة، 2011 م، ط 1.

عويضة، الشيخ كامل محمد، غاليلو غاليلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1944 م.

أبو عيد، عارف خليل، العلاقات الدولية، دار النفائس - عمان، ط 1، 1427 هـ، 2007 م.

غالي، د بطرس بطرس و/ د محمود خيرى عيسى، المدخل إلى علم السياسة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط 9. 1990 م.

غريب، حسن خليل، تدمير تراث العراق وتصفية علمائه، دار الطليعة - بيروت، ط 1، 2008 م.

الغزالي، محمد، الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 9، 1410 هـ/1990 م.

الفاخوري، تميم محمد، اعلام الشعر العربي، دار المعرفة - بيروت، ط 1 2003 م.

أبو فارس، محمد عبد القادر، دروس وتأملات في الحروب الصليبية، جبهة للنشر والتوزيع - عمان، ط 1، 1422 هـ / 2002 م.

أبو فارس، محمد، الإرهاب، ص 235-237. انظر نوفل، أحمد سعيد، وجواد الحمد، معركة غزة، مركز دراسات الشرق الاوسط - عمان، ط 1، 2011 م.

الفتلاوي، د حسين، الدبلوماسية، دار وائل للنشر - عمان، 2010 م، ط 1.

- أبو فجر، صقر، الحركة الوطنية الفلسطينية، دار الشروق - رام الله، ط 1، 2003م.
- ابن الفراء، أبو علي الحسين بن محمد، رسائل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط 2، 1392م هـ - 1972.
- فرهود، كمال قاسم، موسوعة اعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار المشرق - شفا عمرو، 1994م، ج 5.
- الفلاح، حامد حسين، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، الجزء الثاني، دار الكتاب الثقافي - إربد، د ط، 1424هـ / 2003م.
- فوده، عز الدين، النظم السياسية، دار الفكر العربي -، القاهرة، 1961م.
- فياض، هيثم، الدبلوماسية المساومة القسرية والسياسة الدولية، دار دجلة، عمان، ط (1) سنة 2013 م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (بيروت: عالم الكتب، د.ط، د.ت) ج 4.
- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة - الكويت.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدر، دار الكتب للملايين - بيروت، ط 2، 1424هـ / 2004م، ج 19.
- القرني، عائض بن عبد الله، مقامات القرني، مكتبة الصحابة - الشارقة، ط 3، 1423 هـ 2002م.
- قطب، سيد، الظلال، دار الشروق - القاهرة، ط 30، 1422هـ، 2001م. ج 5.
- القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طویل، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1987م، ج 6.
- القيسراني، محمد بن طاهر، (ت 507 هـ)، تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)، 4 أجزاء، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، ط 1، 1415هـ، دار الصميعة، الرياض.

ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، 751 هـ مكتبة مصطفى الحلبي - مصر،
1970م، ج 3.

كارول جيمس، الحرب الصليبية، ترجمة قاسم عبده، مكتبة الشروق - القاهرة، ط 1، 1426 هـ
2005م/.

الكانداهولي، محمد يوسف، حياة الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت، د ط، ج 1.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 304-306. ابوشهية، د محمد بن محمد، السيرة النبوية في
ضوء الكتاب والسنة، دار القلم - دمشق، ط 5، 1419 هـ 1999م.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، القاهرة، ج 4.

الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية - بيروت. 1979م، د ط، ج 1.

اللاحام، حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، دار الفكر المعاصر - بيروت ودمشق، ط
1، 1422 هـ 2001م.

اللقاء الشهري، محمد بن صالح العثيمين، موقع الشبكة الإسلامية اللقاء 15.

لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي - القاهرة، ط 1، 2009م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني، دار الفكر - بيروت.

الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت(450 هـ، الحاوي في فقه
الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1414 هـ 1994م، ج 2.

المباركفوري، أبو الحسن عبد الله بن محمد عبد السلام، مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح إدارة
البحوث العلمية والإفتاء - الجامعة السلفية - الهند، ط 3، 1404 هـ - 1984م، ج 1.

المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة مصر، ط 21، 1431 هـ 2010م،
ص 260./ الأصبهاني، أحمد، معرفة الصحابة، ج 2.

محسن، عيسى خليل، فلسطين وسماحة المفتي أمين الحسيني، مطبعة قبة الصخرة - الاردن، ط 1، 1419هـ/1998م.

محفوظ، د حازم، أزدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، دار الثقافة للنشر - القاهرة، ط 1، 1425هـ / 2011م.

محمد الغزالي، فقه السيرة، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط7، 1988م، دار القلم - دمشق.

المحمصاني، صبحي، تراث الخلفاء الراشدين، دار العلم للملايين، بيروت 1984م.

مرسي، محمد سعيد، عظماء الإسلام، اقرأ - الفسطاط - مصر، 1423هـ - 2003م.

المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، الحرب الأمريكية على الإرهاب، دار التوزيع والنشر - فلسطين، بقلم: جون بيلجر.

مركز دراسات الوحدة العربية، الحرب على العراق، مركز دراسات الوحدة - بيروت، 2997م، ط 1.

المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق مفيد قمحية، ط 2، 1986م ج 1.

المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية نحو تعريف أكثر تفسيرية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 102 جزيان 2000م.

المصري، محمود، أصحاب الرسول، دار التقوى - القاهرة، ط 1، 1423هـ - 2002م، ج 2.

مصطفى، أحمد عبد الرحيم، الولايات المتحدة والمشرق العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، 1987م.

معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1، 1422هـ - 2002م ج 2.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ - 1997م، ج 1.

المنجد، صلاح، فصول في الدبلوماسية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة، ط 1، 1947م.

منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين والقضية الفلسطينية، ط 3، 2007م.

المهيري، سعيد عبد الله حارب، العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1416هـ - 1995م.

ابن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط 2، 1408هـ / 1988م، ج 4.

النسفي، عبد الله بن احمد بن محمود، تفسير النسفي، دار القلم - بيروت، حققه ابواهيم رمضان، ط 1، 1408هـ 1989م، ج 3.

نكسون، ريتشارد، نصر بلا حرب، تقديم المشير عبد الحليم أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة - القاهرة، 1409هـ / 1988م، ط 1.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: مفيد قمحية 1424هـ - 2004م، ط 1، ج 19.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1416هـ / 1996م، ج 4.

ابن هشام، السيرة النبوية، دار المنار - القاهرة، 1410هـ، 1990م، ج 1، ص 302. الثعالبي، عبد العزيز، الرسالة المحمدية، تحقيق صالح الخرفي، دار بن كثير - دمشق، ط 1، 1418هـ 1997م.

هويدي، فهمي، مقال إستدعاء سيناريو إبادة الهنود الحمر، مجلة الشرق الاوسط، العدد 23 / 1 / 2008م

الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي د ط، 1414هـ 1994م، مكتبة القدس - القاهرة، ج 8.

أبو هيف، علي صادق، القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف - الإسكندرية، ط 3، 1975م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1424هـ 1984م ج 2.

الياسري، ياسين طاهر، مكافحة الإرهاب، دار الثقافة والنشر، - عمان، ط 1، 1432هـ / 2011م.
اليونيني، قطب الدين أبو الفتح، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي - القاهرة، ط 2، 1423هـ 1992م، ج 1.